جامعة آل البيت

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

تيمورلنك وعلاقته مع سلاطين دولة المماليك
771 – 807هـ / 1370 – 1405م

Tamerlave and his Relationship with the State of the Mamluk Sultans (771-807 A.H/1370-1405 A.D)

إعداد

سعد جابر الفضلي

المشرف

الدكتور أنور الخالدي

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ

عمادة الدراسات العليا

جامعة آل البيت

2017م

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

التفويــض

أنا ســـعد جابر الفضـــلي أفوض جامعة آل البيت بتزويد نســـخ من رســـالتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبهم حسب التعليمات النافذة في الجامعة.

التوقيع:

التاريخ: 12 /4 / 2017م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إقرار والتزام بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها

أنا الطالـب: سعد جابر الفضلي **الرقم الجامعي: 1470303002**

التخصص: التاريخ **الكليـــــــــة: كلية الآداب والعلوم الإنسانية**

أعلن بـأنني قـد التزمـت بقوانين جـامعـة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها وقراراتها الســـارية المفعول المتعلقة بإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه عندما قمت شخصياً بإعداد رسالتي بعنوان:

تيمورلنك وعلاقته مع سلاطين دولة المماليك

771 – 807هـ / 1370 – 1405م

وذلك بما ينسـجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الرسائل والأطاريح العلمية. كما أنني أعلن بأن رسـالتي هذه غير منقولة أو مسـتلة من رسـائل أو أطاريح أو كتب أو أبحاث أو أي منشـورات علمية تم نشرها أو تخزينها في أي وسـيلة إعلامية، وتأسـيساً على ما تقدم فإنني أتحمل المسـؤولية بأنواعها كافة فيما لو تبين غير ذلك بما فيه حق مجلس العمداء في جامعة آل البيت بإلغاء قرار منحي الدرجة العلمية التي حصـلت عليها وسـحب شـهادة التخرج مني بعد صـدورها دون أن يكون لي أي حق في التظلم أو الاعتراض أو الطعن بـأي صـــورة كانت في القرار الصـــادر عن مجلس العمداء بهذا الصدد.

توقيع الطالب: **التاريخ: 12 /4 / 2017م**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة (تيمورلنك وعلاقته مع سلاطين دولة المماليك٧٧١ ـ ٨٠٧هـ / ١٣٧٠ ـ ١٤٠٥م) وأجيزت بتاريخ ٢٠١٧/٣/٢١ م

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الدكتور أنور عودة الخالدي،مشرفاً ورئيساً.	.....
الأستاذ الدكتور عليان عبدالفتاح الجالودي، عضواً.	.....
الدكتور محمد صياح العيسى، عضواً.	.....
الدكتور عيسى محمود العزام، عضواً خارجياً.	.....

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكر وتقدير

أشكر الله عز وجل على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، واتقدم بجزيل الشكر للدكتور أنور الخالدي الذي قدم الكثير من علمه ووقته خلال إعداد هذه الرسالة.

وأشكر اعضاء اللجنه الكرام على جهودهم الكبيرة التي ساهمت في إثراء محتوى هذه الرسالة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات ..... و

ملخص الرسالة ..... ط

المقدمة. 1

أسئلة الدراسة: 2
أهمية الدراسة: 3
أهداف الدراسة: 3
منهج الدراسة: 4
حدود الدراسة: 4
مخطط الدراسة: 5
الفصل الأول التعريف بتيمورلنك 7

1-1 مولده: 7
2-1 أصوله و نسبه: 10
3-1 نشأته: 11
4-1 اسمه وألقابه: 14
5-1 عائلته: 16
6-1 عاصمة دولته (سمرقند): 17
1 - 7 توسعاته: 24
1-7-1 الحروب ضد قبائل الجتة: 25
2-7-1 غزو خوارزم: 26
3-7-1 غزو خراسان: 29
4-7-1 غزو بلاد فارس789هـ/1387م: 32
5-7-1 غزو آذربيجان و العراق 1393/1384م: 34
6-7-1 غزو تيمورلنك لبلاد الشام: 35
7-7-1 غزو تيمورلنك للهند سنة 800-801هـ/ 1398-1399م: 36
8-7-1 معاركه مع العثمانيين: 37
9-7-1 التجهيز لغزو الصين: 40
8-1 عقيدته: 40
9-1 مذهبه: 43
10-1 شخصيته: 43

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

11-1 ثقافة تيمورلنك: 47
12-1 هواياته: 49
13-1 وفاته: 50
الفصل الثاني إنجازات تيمورلنك 53
2- 1 انجازات تيمورلنك السياسية والتنظيمية والإدارية: 53
1-1-2 سياسته الخارجية في معاركه مع الجتة لتأمين حدوده الشرقية[0]: 54
2-1-2 سياسته الخارجية في غزواته لبلاد فارس وخراسان: 54
3-1-2 سياسته الخارجية في غزو العراق: 56
4-1-2 تنظيمات الدولة التيمورية الإدارية والمالية والعسكرية: 56
4-1-2 -1التنظيمات الإدارية: 56
2-4-1-2 التنظيمات العسكرية: 66
2-2 انجازات تيمورلنك العسكرية: 78
1-2-2 غزو تيمورلنك للهند سنة 800-801هـ/1398-1399م: 79
2-2-2 غزو الدولة العثمانية (معركة أنقرة): 84
3-2-2 توجه تيمورلنك لغزو الصين (807هـ/ 1405م): 97
3-2 إنجارات تيمورلنك المدنية والحضارية: 101
1-3-2 الاقتصاد والمجتمع: 101
2-3-2 التجارة والأمن: 104
3-3-2 مركز سمرقند التجاري: 105
4-3-2 الفئات الاجتماعية: 109
5-3-2 الحدائق والقصور: 112
6-3-2 الموسيقى: 114
7-3-2 المرأة في المجتمع والمجال السياسي والحربي: 114
8-3-2 الفكر والفن: 118
9-3-2 الكتابة: 119
10-3-2 الفلك والتنجيم: 125
11-3-2 النشاط العمراني: 126
12-3-2 مقبرة تيمورلنك: 128
الفصل الثالث علاقة تيمورلنك بسلاطين المماليك 130
1-3 علاقة تيمورلنك بسلاطين المماليك قبل السلطان برقوق: 130
1-1-3 نشأة دولة المماليك: 130
2-1-3 الاتصالات بين تيمورلنك وسلاطين المماليك قبل السلطان برقوق: 133
2-3علاقة تيمورلنك بالسلطان برقوق: 134
1-2-3الاحتكاكات والاتصالات مع الظاهر برقوق: 134
2-2-3 طمع تيمورلنك بمصر: 139

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3-2-3 الاحتكاكات الأولى عام 789هـ: 140
4-2-3 فرار أحمد جلاير إلى دمشق: 141
5-2-3 وفد تيمورلنك عام 796هـ: 142
6-2-3 اصطدام الرهبا: 143
7-2-3 رسالة تيمورلنك الأولى: 145
8-2-3 رسالة تيمورلنك الثانية: 146
9-2-3 رد السلطان برقوق: 147
10-2-3 رسالة تيمورلنك الثالثة: 147
11-2-3 رد برقوق الثاني: 149
12-2-3 رسالة تيمورلنك الرابعة: 155
13-2-3 أسباب الإغارة على الشام: 157
3-3 الاتصالات السياسية بين تيمور والسلطان فرج (803 – 807هـ/ 1400 -1405م): 159
1-3-3 رسالة تيمورلنك الأولى 803هـ: 159
2-3-3 بعثة بيسق الشيخي: 160
3-3-3 رسالة تيمورلنك الثانية 804هـ: 162
4-3-3 رسالة تيمورلنك الثالثة 805هـ: 163
5-3-3 رسالة تيمورلنك الرابعة 805هـ: 163
6-3-3 اتفاق عام 805هـ: 164
7-3-3 البعثة التيمورية الثانية: 165
8-3-3 رد فرج السلطان المملوكي: 166
9-3-3 الوفد التيموري الثاني 806هـ: 167
10-3-3 بعثة منكلي بغا: 169
11-3-3 رد فرج الثاني: 170
12-3-3 محاولة تيمور التدخل في الحجاز: 172
خاتمة البحث 174
التوصيات 179
المصادر والمراجع 180
أولاً: المصادر العربية: 180
ثانيا: المراجع العربية والمراجع المترجمة: 184
Abstract 188

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملخص الرسالة

تسعى هذه الدراسة للتعرف على شخصية تيمورلنك السياسية والعسكرية ودراسة سيرة وحروب هذا الغازي، وفتوحاته، وتوسعاته، والعلاقة بينه وبين جيرانه من الدول الكبرى، والبحث عن عناصر القوة وجوانب القدرة على تحقيق النصر الذي حققه تيمورلنك في معظم معاركه وحروبه التي خاضها.

وتبرز أهمية هذا الموضوع من اختلاف المؤرخين حول كل جوانب شخصية تيمورلنك من حيث أصوله ونشأته وثقافته وحتى عقيدته، ومن هنا حاولت الدراسة التدقيق والكشف عن المادة البعيدة عن التحيز والخروج بمادة علمية مرضية بالاعتماد على مصادر متعددة من جهات مختلفة.

كذلك تأتي أهمية هذه الرسالة في دراسة تلك المرحلة التاريخية من حياة تيمورلنك السياسية والعسكرية ومحاولة الإجابة عن عدة تساؤلات أهمها هذا التساؤل الذي كان لا بد من إثارته حول تصميم تيمورلنك على غزو البلاد الإسلامية وتدميرها والقضاء على مظاهر المدنية والحضارة والرقي فيها بينما كان المجال أمامه مفتوحا للتوسع والفتح في أعماق آسيا الوسطى وأوروبا لنشر الإسلام بين الأمم في تلك الأصقاع لو أراد أن يؤكد انتماءه للإسلام ويثبت أنه شديد التمسك به كما برح يؤكد ذلك ويصر عليه.

وفي نهاية المطاف استخلصت الدراسة نتائج محددة من التجربة التيمورية قد تحفظ منطقتنا العربية من الاخطار المحيطة بها في الفترة الحالية والمستقبل القريب، فالمدقق في الأمور يرى بوضوح أن ما تعاني منه منطقتنا العربية اليوم من متربصين وطامعين وأخطار تحيط بها من الشرق والغرب (سواء من أمريكا أو من إيران أو حتى من تركيا وروسيا وإسرائيل) أشبه ما يكون بالأحوال في تلك الفترة السحيقة من التاريخ. والمؤسف والعجيب أن الحكام العرب يكررون نفس الأخطاء التي وقع فيها أسلافهم فهم منشغلون بمشاغل داخلية وصراعات محلية ومنازعات وخصومات سائدة بينهم وغافلون أو متغافلون عن الأطماع من حولهم في سبيل التمسك بالسلطة وبكراسي الحكم متجاهلين بذلك حكمة التاريخ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقدمة.

يعتبر النصف الثاني من القرن الثامن الهجري وبداية القرن التاسع الهجري من الفترات التاريخية الحافلة بالأحداث الخطيرة في التاريخ الإسلامي، حيث كان لها أثر واضح في النواحي الحربية والمدنية في ذلك الوقت خاصة في الجانب الشرقي من العالم الإسلامي.

ويرتبط تاريخ الجزء الشرقي من العالم الإسلامي بعلاقة وثيقة بتاريخ المنطقة العربية، فقد شهد المشرق تطورات سياسية واجتماعية أثرت في مسار الدولة العربية الإسلامية، تمثلت تلك التطورات في توجه السلاجقة إلى بلدان المشرق العربي وآسيا الصغرى، وقيام السلطنة السلجوقية، ومن ثم جاء الاجتياح المغولي من الشرق والغزو الصليبي من الغرب وظهور مشروع تحالف مغولي صليبي مرعب وضع المشرق العربي بين شقي رحى.

وقد أحدثت تلك التطورات تغييراً سياسياً، فقد ظهر عنصر جديد في معادلة القوى السياسية في المنطقة تجلى بقيام دولة المماليك في مصر والشام التي وقفت في وجه المد المغولي والصليبي، وفي النصف الثاني من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي ظهر التيموريين من جديد وسيطروا على معظم أجزاء آسيا تحت قيادة تيمورلنك الذي شغل دوراً بارزاً ومثَّل معلماً تاريخياً لفت أنظار المؤرخين المعاصرين له، وشغل حيزاً كبيراً من اهتمام الباحثين في العالم لدراسة سيرة وحروب هذا الغازي، الذي استطاع توحيد شعبه وتوجيه قواهم نحو الغزو الخارجي، وأقامإمبراطوريةمترامية الأطراف وفق منهج "الغاية تبرر الوسيلة " خلال أقل من نصف قرن، فخضع له حكام العالم الإسلامي، واتصل به ملوك أوروبا يخطبون وده ويطمعون في صداقته.

وكان تيمورلنك قائداً ميدانياً بامتياز، وأصبح أبرز حكام عصره في آسيا الوسطى، لاسيما بعد تحقيقه الانتصارات على جيوش بلاد فارس والعراق وجورجيا والهند والعثمانيين والمماليك في الشام ومصر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد أجمع المؤرخون والباحثون على اختلاف مناهجهم ونزعاتهم على تفرد تيمورلنك بميزات وصفات قلما اجتمعت في شخصيات التاريخ التي عرفناها ودرسناها وذلك لما يتميزبه ويتمتع به من جلد وطاقة وقوة احتمال وحيوية دافقة لا تقف عند حد.

إن تيمورلنك قد شغل حيزا كبيرا من اهتمام المؤرخين بصفة عامة ومؤرخي الحرب على وجه الخصوص فبحثوا في سيرة هذا الغازي المغولي الذي قضى على كثير من الممالك والدول في شرق العالم الإسلامي، فبحثوا جميعا عن عناصر القوة وجوانب القدرة على تحقيق النصر الذي حققه في معظم معاركه وحروبه التي خاضها.

كما أن تيمورلنك نجح في جميع مشاريعه وحقق رغبته العارمة في حب التملك والسيطرة والسيادة على العالم.

ومن هنا تبرز أهمية هذا البحث في محاولة لدراسة تلك المرحلة التاريخية من حياة تيمورلنك السياسية والعسكرية ومحاولة الإجابة عن عدة تساؤلات أهمها هذا التساؤل الذي كان لا بد من اثارته حول تصميم تيمورلنك على غزو البلاد الإسلامية وتدميرها والقضاء على مظاهر المدنية والحضارة والرقي فيها بينما كان المجال أمامه مفتوحا للتوسع والفتح في أعماق آسيا الوسطى وأوروبا لنشر الإسلام بين الأمم في تلك الأصقاع لو أراد أن يؤكد انتماءه للإسلام ويثبت أنه شديد التمسك به كما برح يؤكد ذلك ويصر عليه.

أسئلة الدراسة:

1. من هو تيمورلنك وما شخصيته ؟
2. ما الأعمال التي قام بها من أجل تدعيم دولة المغول؟
3. ما هي طموحات تيمورلنك التوسعية، وأين وصل امتداد دولته؟
4. ما هي عناصر القوة وجوانب القدرة على تحقيق النصر الذي حققه تيمورلنك في معظم معاركه وحروبه التي خاضها؟

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5. كيف كانت العلاقة بين تيمورلنك وبين سلاطين دولة المماليك؟

أهمية الدراسة:

تبرز أهمية هذا الموضوع من اختلاف المؤرخين حول كل جوانب شخصية تيمورلنك من حيث أصوله ونشأته وحتى عقيدته، إن المادة العلمية التي تناولت شخصية تيمورلنك وأعماله السياسية والعسكرية إما متحيزة له وتمثل وجهة نظر الدولة التيمورية وأغلبها فارسية، أومصادر متحيزة ضده وتمثل وجهة نظر دولة المماليك وأغلبها عربية، لهذا وجد الدارس اختلافا كبيرا بين المؤرخين حول هذه الشخصية؛ فحاول التدقيق والكشف عن المادة البعيدة عن التحيز والخروج بمادة علمية مرضية إلى حد ما بالاعتماد على مصادر متعددة من جهات مختلفة.

كذلك تأتي أهمية هذه الدراسة في البحث عن عناصر القوة وجوانب القدرة على تحقيق النصر الذي حققه تيمورلنك في معظم معاركه وحروبه التي خاضها.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى التعرف على ما يلي:

1. التعرف على تيمورلنك من حيث المولد والنشأة.
2. التعرف على أعمال تيمورلنك في دولة المغول.
3. التعرف على العلاقة الأولى بين تيمورلنك والمماليك.
4. التعرف على توسعات تيمورلنك وإنشاء الدولة التيمورية.
5. التعرف على انجازات تيمورلنك السياسية والإدارية والعسكرية والحضارية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منهج الدراسة:

سوف تتبع هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي وذلك من خلال الرجوع إلى الأدبيات المتعلقة بموضوع الدراسة من كتب ورسائل علمية ومجلات باحثة في موضوع الدراسة، والخروج بنتائج تفيد موضوع الدراسة.

حدود الدراسة:

الحدود الزمانية: سوف تغطي هذه الدراسة علاقة تيمورلنك والمماليك في تلك الحقبة الزمنية والتي تعود إلى سنة 787هـ/ 1385م.

الحدود المكانية: سوف يتم اختيار بلاد الشام مكاناً لأنها هي الأماكن التي قامت عليها الدراسة.

جهود السابقين:

لا بد من الإشارة الى جهود الباحثين الذين سبقوا في تناول تاريخ تيمورلنك ومنهم:

- **كتاب هارولد لامب، تيمورلنك، عربه عن الانجليزية عمر أبو النصر، بيروت، 1934م.**
- **أحمد عبد الكريم سليمان، تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة، دار النهضة العربية، القاهرة 1985م.**
- **كتاب تيمورلنك للعقيد محمد أسد الله صفا، دار النفائس، بيروت 1990م.**
- **صلة الدولة التيمورية بالعالم الإسلامي، رسالة دكتوراة اعداد محمد سالم بكر باعامر، جامعة أم القرى، 1993م.**
- **حملة تيمورلنك وآثارها على الهند الإسلامية، الدكتور ياسر عبد الجواد حامد، جامعة الموصل، 2008م.**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- **تيمورلنك وشخصيته السياسية والعسكرية، رسالة دكتوراه، إعداد حفظ الله ناصر عبد الله مصلح، جامعة دمشق، 2009م.**
- **تيمورلنك: عصره، حياته، أعماله، رسالة دكتوراة، إعداد مظهر شهاب، جامعة القديس يوسف، بيروت، 1981م.**

غير أن هذه المؤلفات والبحوث التي كتبت عن تيمورلنك تختلف عن هذا البحث حيث أن تلك البحوث تناولت جزئيات من حياة تيمورلنك أو بعض أعماله الحربية وعلاقاته مع بعض الحكام المعاصرين له، وقد استفاد الباحث من هذه المؤلفات والبحوث في بعض جوانب البحث.

مخطط الدراسة:

تمهيد:

مقدمة، أسئلة الدراسة، أهمية الدراسة، أهداف الدراسة، منهج الدراسة،حدود الدراسة، جهود السابقين.

الفصل الأول: التعريف بتيمورلنك:

- **مولده.**
- **أصوله ونسبه.**
- **نشأته.**
- **اسمه وألقابه.**
- **عائلته.**
- **عاصمة دولته (سمرقند).**
- **توسعاته.**
- **عقيدته.**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- مذهبه.
- شخصيته.
- ثقافته.
- هواياته.
- وفاته.

الفصل الثاني: إنجازات تيمورلنك:

- أعماله السياسية والتنظيمية.
- توسعات تيمورلنك وفتوحاته.
- اعماله الحضارية والمدنية.

الفصل الثالث: العلاقة بين تيمورلنك والمماليك:

- العلاقة بين تيمورلنك والسلاطين المماليك قبل برقوق.
- العلاقة بين تيمورلنك والسلطان برقوق.
- العلاقة بين تيمورلنك والسلطان فرج ابن برقوق.

الخاتمة:

- خاتمة البحث
- التوصيات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

التعريف بتيمورلنك

1-1 مولده:

اختلف المؤرخون في السنة التي ولد فيها تيمورلنك، فقد ذكرت المصادر الفارسية وكذلك المراجع الاوروبية أن تيمورلنك ولد في ليلة الثلاثاء الخامس والعشرين من شعبان 736هـ / نيسان 1335م[1]. أما المؤرخون العرب فذكروا أن مولده كان في عام 728هـ[2].

ولد تيمورلنك في قرية خواجة اليغار من أعمال مدينة كش[3]. ومدينة كش هي اليوم مدينة "شهر سبز"، أي المدينة الخضراء بالفارسية، وتقع جنوبي سمرقند في أوزبكستان[4].

ويتفق بعض المؤرخين أن والد تيمورلنك كان من أسرة عريقة من قبيلة البرلاس وأن والده كان أميرا وشيخا لتلك القبيلة[5]. ويؤكد خواندامير أن والد تيمورلنك كانت له مكانة كبيرة في قبيلته، فعندما تقاعد الأمير بركل عن القيادة تولى القيادة من بعده الأمير ترغاي والد تيمورلنك[6].

---

(1) شرف الدين على اليزدي، ظفرنامة، تحقيق مولوي محمد الهداد، ج 1، كلكتا، الهند، 1887م، ص10.

(2) ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر بانباء العمر، تحقيق وتعليق حسن حبشي، لجنة احياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1971م، وابن عماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج 7، دار المسيرة، بيروت، ص 12.

(3) ابن عربشاه الدمشقي، عجائب المقدور في أخبار تيمور، تحقيق علي محمد عمر، مطابع نافع، القاهرة، 1305 هـ، ص 3.

(4) رضا بازوكي، تاريخ إيران، طهران، 1316 هـ، ص 183.

(5) أحمد بن عبد الله البغدادي، عيون أخبار الأعيان ممن مضى من سالف العصور والأزمان، دار الكتب، القاهرة، مصورة في مجلدين بدار الكتب تحت رقم 3810، الورقة 447

(6) غياث الدين بن همام خواندامير : حبيب السير في أخبار أفراد البشر، ج 3، خيابان خسرو، 1238هـ، بدون مكان طبع، ص 3.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويحاول بعض المؤرخين ربط ولادة تيمورلنك بتنبؤات وأساطير تدل على أنه منذ ولادته كان عظيما، فقد جرت العادة مع الرجال الذين أصبحوا من المشاهير أن يبذل المادحون محاولاتهم

ليظهروهم بالمظهر الرفيع ويحيطوا مولدهم بكل الأعاجيب التي تشير إلى ماسيكون من شأنهم في المستقبل.

فيذكر " Prawdin" أن والد تيمورلنك تراغاي كان رجلا تقيا، وقد رأى في أثناء نومه شابا أنيقا ذا ملامح عربية يمسك سيفا في إحدى يديه وأخذ يلوح به في الهواء، وفجأة أنارت ومضات السيف العالم كله ! وقد سأل تراغاي أحد الشيوخ عن تفسير هذا الحلم فأخبره الشيخ أنه سوف يولد له ابن، وبقوة سيفه سوف يهزم العالم كله ويدخل الناس جميعا في الإسلام، وأنه سيطهر الأرض من ظلام الأخطاء والبدع . وعندما وضعت امرأته طفلها أحضره ترغاي إلى ذلك الشيخ الذي كان يقرأ القرآن الكريم وقطع عليه تراغاي قراءته عند كلمة " تمور"[1]. فلذلك سمى طفله تيمور.

ويذكر المؤرخون المسلمون أنه رؤى ليلة مولد تيمورلنك كأن شيئا يشبه الخوذه طائرا في السماء ثم وقع على الأرض فتطاير منه جمر وشرر.

ويضيف المؤرخون أنهم سألوا عن أحوال تيمورلنك الزواجر والقافه وتفحصوا عن ذلك الكهنة وأهل العيافة[2]، فقال بعضهم: يكون شرطيا وقال بعضهم ينشأ لصا حراميا، وقال قوم يكون قصابا سفاكا، وقال آخرون: بل يكون جلادا فتاكا.

---

(1) كانت الآية التي يتلوها الشيخ هي ((أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فاذا هي تمور)). آية 16 سورة الملك.

(2) العيافة: زجر الطير والتفاؤل باسمائها واصواتها وممرها، والظن والحدس وهي نوع من الكهانة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما ابن خلدون فقد اندفع هو الآخر في الحديث عن تلك التنبؤات عندما ذهب لمقابلة تيمورلنك مع وفد من علماء دمشق سنة 803هـ /1401م فرأى ابن خلدون أن يستغل الموقف ويقص عليه ما سمعه عن ولادته من تنبؤات فقد رأى أنه بذلك سوف يكسب وده وعطفه ، فقال له: "وكنت قبل ذلك بالمغرب قد سمعت كثيرا من الحدثان[1] في ظهوره، وكان المنجمون المتكلمون في قرانات العلويين يترقبون القران العاشر في المثلثة الهوائية[2] وكان يترقب عام 766هـ/ 1365م فلقيت ذات يوم من عام

واحد وستين بجامع القرويين من فاس الخطيب أبا على بن باديس خطيب قسطنطينة وكان ماهرا في ذلك الفن فسألته عن هذا القران المتوقع وما هي آثاره؟ فقال لي: يدل على ثائر عظيم في الجانب الشمالي الشرقي ومن أمة بادية، أهل خيام، تتغلب على الممالك وتغلب الدول ، وتستولي على أكثر المعمورة، فقلت ومتى زمنه؟ فقال: عام أربعة وثمانون تنتشر أخباره.

ولقد وجد حديث ابن خلدون استحسانا لدى تيمورلنك الذي كان يعتقد في أقوال المنجمين، وكان يسمح لهم بالحضور الى مجلسه لاعلان اكتشافاتهم وملاحظاتهم على الأجرام السماوية. وكان تيمورلنك يعتمد على أقوالهم في تحركاته وحملاته فهو لا يتحرك الا باختيار فلكي.

تأثر تيمورلنك بوفاة والدته حيث فقد عطفها وحنانها، و تأثر والده أيضا بوفاة زوجته واعتزل الحياة السياسية حزنا عليها ، وأقام في صومعة يتعبد ويتقرب الى الله، وانعكس هذا الوضع على تيمورلنك الذي أصبح يقضي معظم وقته وحيدا، ولكنه مع ذلك كان يحرص على مراقبة القوافل الآتية والراحلة ، يستمع الى أحاديث رجالها، ويتعرف على أخبار بلدانهم ويرى ما يحملون معهم من بضائع وصناعات[3].

---

(1) الحدثان : الليل والنهار، ويقال حدثان الدهر أي نوائبه وحوادثه، وحدثان الأمر أوله وابتداؤه.

(2) المثلثة الهوائية : كل ثلاثة بروج تكون متفقة في طبيعة واحدة من الطبائع الاربع وهي الجوزاء والميزان وبرج الدلو، والتر ج فيشل، لقاء ابن خلدون لتيمورلنك، ترجمة محمد توفيق، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت، مغفل تاريخ النشر، ص 132.

(3) السيد فرج، قاهر العالم تيمورلنك، دار الفكر العربي، القاهرة، 1957م، ص 22.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2-1 أصوله و نسبه:

اختلفت آراء المؤرخين حول نسب تيمورلنك، وانفرد المؤرخون الفرس بذكر نسب مطول له فقالوا: انه الأمير تيمور كوركان ابن الأمير ترغاي ابن الأمير بركل ابن ايلنكير نويان ابن الأمير انجل ابن قراجار نويان حتى يصل نسبه إلى يافث بن نوح عليه السلام[1].

أما المؤرخون العرب فقد ذكروا: أنه تيمور بن أيتمش قتلغ بن زنكي ابن سينا بن طارم بن طغريل بن قليج بن سنقور بن كنجك بن طفر سبوقا بن التاخان المغولي الأصل[2].

وقد جاء نسبه على شاهد قبره: توماناي، قاجولاي، ابرزمجي، برولا، قارجار، نويان ايلانكير، بركل، تراغاي، تيمور[3].

ويحاول المؤرخون الفرس ربط نسب تيمورلنك بنسب زعيم المغول الأكبر جنكيز خان حيث أن نويان بن تومنه خان يعتبر الجد الرابع لجنكيز خان والجد التاسع لتيمورلنك[4].

ان ما قيل عن تيمورلنك انه مغولي سببه أن الفرس ظلوا طويلا يعدون خانية جغتاي جزءا مكملا للدولة المغولية. ومن هنا أرجع المؤرخون الفرس نسب تيمورلنك الى جنكيز خان اعتقادا منهم بأن ربطه بهذا النسب سوف يرفع من قيمته ويزيد من عظمته ويرفع من شأنه بين قومه وأنه عن طريق هذا النسب يحق له أن يكون خانا على ما وراء النهر.

ويؤكد بعض المؤرخين أن تيمورلنك نفسه لم يدعى بأنه من سلالة جنكيز خان ولم يلقب نفسه بعد توليه الحكم بلقب خان اعترافا منه باختصاص الخانية بأحفاد جنكيز خان واكتفى بلقب الأمير، ولكي يتقرب إلى الجغتائيين فانه صاهرهم فحاز لقب كوركان أي صهر الملوك. ويؤيد هذا: النقش الموجود في مقبرة تيمورلنك.

---

(1) اليزدي، ظفرنامة، ص 730.

(2) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1970 م، ص 12.

(3) دائرة المعارف الإسلامية الترجمة العربية، ج ، 10 ص289-299.

(4) اليزدي، ظفرنامة، ج 1، ص 730.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولكن أحفاده ينفون أن تيمورلنك من سلالة جنكيز خان ، بل ينتمي إلى قبيلة برلاس[1].

وكان الأمير قزغن يقول لتيمورلنك "أنت من أصحاب النسب الشريف ولكنك لست من نسب جنكيز خان، وقد صار الاتفاق بين أجدادك وأبناء جنكيز خان أن يكون أبناء جنكيز خان الملوك وأن تكونوا أنتم أمراء الجيش وقد اتبعت هذا الاتفاق وقمت بموجبه أحسن قيام"[2].

ويذكر أن لتيمورلنك نسبا من جهة الأم يصل به إلى جنكيز خان[3].

وقد تبين للباحث من خلال الدراسة والاطلاع على المصادر المختلفة - ومنها المعاصرة للحدث والحديثة المتخصصة في المغول - أن نسب تيمورلنك كان تركيا من جهة أبيه من قبيلة برلاس التي هاجرت من مغولستان إلى ما وراء النهر سنة 664هـ/ 1263م واستقرت جنوبي سمرقند.

أما من جهة أمه (تكينة خاتون) كان مغوليا ينتمي إلى جنكيز خان كما دون على قبره.

3-1 نشأته:

ان اوائل ظهور تيمورلنك تبدو غير واضحة لذلك فقد اختلف المؤرخون حول مولده ونشأته.

اختلف المؤرخون في السنة التي ولد فيها تيمورلنك ، تقول رواية حافظ آبرومیرخوند ليلة الثلاثاء 5 شعبان سنة 736هـ/ 1335م في كش، أما المؤرخون العرب فذكروا أن مولده كان في عام 728هـ/ 1327م وكان مسقط رأس تيمورلنك في قرية خواجة اليغار من أعمال مدينة كش[4]. وقد أطنب المؤرخون في بيان ما وقع أيام ولادته بتنبؤات وأساطير تدل على عظمته منذ ولادته

---

(1) ابن عربشاه، عجائب المقدور في أخبار تيمور، ص 20.

(2) هارولد لامب، تيمورلنك، ترجمة عمر أبو النصر، بيروت، 1934 م، ص 27-28.

(3) ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر بانباء العمر، ج 1، ص 17.

(4) ابن عربشاه، عجائب المقدور في أخبار تيمور، ص 9.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد جرت العادة مع الرجال الذين أصبحوا من المشاهير أن يبذل المادحون محاولاتهم ليظهروهم بالمظهر الرفيع ويحيطوا مولدهم من ناحية أخرى بكل الأعاجيب التي تشير إلى ما سيكون من شأنهم في المستقبل[1].

وقد ظهر التناقض في كتابات المؤرخين حول وظيفة والده أيضا ، فذكروا ان والده كان من الفدادين[2]، رعاة الاغنام والابقار، وطائفة أوباش لا عقل لهم ولا دين، وقيل كان من الحشم الرحالة والاوباش البطالة[3]، وأنه كان اسكافا فقيرا[4]، وأنه كان من الفلاحين[5].

ثم ذكروا بعد ذلك أنه كان أمير مائة ، وتدرج حتى أصبح أحد أركان دولة السلطان حسين صاحب بلخ[6]. وأنه كان من ذرية جنكيز خان، من جهة أمه[7].

ان هذا التناقض يجعلنا نتساءل: هل حقا كان والد تيمورلنك من أسرة غير عريقة؟

ان بعض المؤرخين يتفقون على أن والد تيمورلنك كان من أسرة عريقة[8] من قبيلة البرلاس، وان والده كان أميرا وشيخا لتلك القبيلة[9].

---

(1) روي عن جنكيز خان الكثير من الروايات الخيالية التي تشير إلى قوته ودوره المستقبلي.

(2) فداد : شديد الصوت.

(3) ابنعربشاه، عجائب المقدور في أخبار تيمور، ص 4.

(4) ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986 م، ص 104.

(5) الغياثي، عبد الله بن فتح الله البغدادي، التاريخ الغياثي، تحقيق طارق نافع الحمداني، مطبعة أسعد، بغداد، 1975 م، ص 17.

(6) بلخ : مدينة مشهورة بخراسان ويقال لجيحون نهر بلخ، وقيل ان الذي بناها منو جهر بن ابرج بن فريدون.

(7) ابن عربشاه، عجائب المقدور في أخبار تيمور، ص 6-7.

(8) والباحث يتفق مع هؤلاء حيث ان تيمورلنك وعمه حاجي برلاس كانا من أبرز الشخصيات في مدينة كش نظرا لما كان عليه تراغاي من مكانة كبيرة في المنطقة.

(9) ابن عبد الحق البغدادي، عيون أخبار الاعيان ممن مضى من سالف العصور والازمان، مخطوط مصور بدار الكتب، القاهرة، الورقة 447.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويؤكد خواندامير أن والد تيمورلنك كانت له مكانة كبيرة في قبيلته، فعندما تقاعد الأمير بركل عن القيادة تولاها من بعده الأمير ترغاي والد تيمورلنك[1].

على كل حال اتفق بعض المؤرخين على أن والد تيمورلنك كان من أسرة نبيلةمن قبيلة البرلاس، وان والده كان أميرا وشيخا لتلك القبيلة وبالفعل قد يكون هذا الرأي الاقرب للصواب حيث كان عم تيمورلنك حاجي برلاس من ابرز الشخصيات البارزة في كش كما كان والده ترغاي أحد مشايخ القبيلة.

وقد أخطأ عندما ذكر عن حاجي برلاس أنه شقيق تيمورلنك[2] والحقيقة أنه كان عمه.

أما والدة تيمورلنك فالمعلومات عنها قليلة وقد ذكر يزدي أن اسمها تكينة خاتون[3] ولم يذكر المؤرخون التيموريون شيئا عن نسبها الا المؤرخ العربي ابن عربشاه حيث أشار: انه قرأ في كتاب فارسي

ان نسبها ينتهي إلى جنكيز خان[4]. وقد تأثرتيمورلنك بوفاة والدته حيث فقد عطفها وحنانها وتأثر والده أيضا بوفاة زوجته واعتزل الحياة السياسية حزنا عليها وأقام في صومعة يتعبد ويتقرب إلى الله وانعكس هذا الوضع على تيمورلنك الذى أصبح يقضى معظم وقته وحيدا[5]، بينما بقى والده حيا حتى سنة 761هـ / 1270م ولم يلبث أن توفى وتم دفنه فى كش[6]. وقد أمر تيمورلنك فيما بعد سنة 775هـ/ 1374م بنقل رفات أبيه إلى مقبرة ضخمة أقامها له بجوار المسجد الكبير في مدينة كش.

كان تيمورلنك منذ الثانية عشرة من عمره قد وصل إلى درجة من الادراك جعلته يرفض اللعب مع الصبية ويتصرف بعقلية الكبار ويتحلى بالرزانة والهدوء وعدم الميل إلى المجون[7].

---

(1) خواند امير، حبيب السيرفي أخبار افراد البشر، ج 3، ص 3.

(2) عباس إقبال اشتياني، تاريخ ايران بعد الإسلام، ترجمة محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة والنشر، القاهرة، 1989 م، ص 591-592.

(3) اليزدي، ظفرنامة، ج 1، ص 8.

(4) ابن عربشاه، عجائب المقدور في أخبار تيمور، ص 12.

(5) السيد فرج، قاهر العالم تيمورلنك، ص 22.

(6) اليزدي، ظفرنامة، ص 35.

(7) تيمورلنك الملك المغولي، تزوكات تيمور، ترجمه إلى الفارسية أبو طالب الحسيني وترجمه إلى الانجليزية ماجور دافي، جامعة اكسفورد 1782م، ص 56.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتميز تيمورلنك منذ نشأته الأولى بالجرأة والشجاعة وحب المغامرة وكان لا يجاريه أحد من أقرانه في عشق المغامرة والمخاطرة وكانت نشاطاته محصورة في تقليد المعارك الحربية من هجوم أو دفاع، وكان تيمورلنك يقول لرفاقه في جد وتصميم "لا بد أن أملك الارض وأقتل ملوك الدنيا" فيسخر منه البعض ويميل اليه البعض الآخر لما يرون فيه من شدة وحزم[1].

شب تيمورلنك على حب الخيل منذ أن دفع اليه أهله فرسا تقله في حله وترحاله، وأظهر تفوقا في فنون الفروسية وكان شديد المعرفة بخصائص الخيل وسماتها يفرق بين هجانها وهجينها بمجرد النظر إلى هيئاتها[2].

ويتفق المؤرخون على أن تيمورلنك كان بارعا في ركوب الخيل واستعمال القوس والسيف، وأنه كان مطبوعا بطابع عصره يعشق الفروسية والصيد والمبارزة والرمي، واعتنى بتعلم فنون الحرب والقتال وكان في ذلك لا يجاريه أحد من أقرانه[3].

وعاش تيمورلنك صباه بين قبيلة البرلاس وأتقن فنون الحرب الشائعة عند القبائل الصحراوية وبين أفرادها وهي عملهم الرئيسي، وكذلك رسوم الصيد والفروسية ورمي السهام حتى غدا فارسا ماهرا ورواميا للسهام وكان عالي الهمة طموحا فلم يقنع بذلك وخطا في طريق العلو والرئاسة[4].

1-4 اسمه وألقابه:

اسمه هو تيمور بن توركاي بن أبغاي، واطلق عليه تمور و تمرلنك[5].

تلقب تيمورلنك بعدد كبير من الالقاب والصفات ولم يكن تيمورلنك يهتم بالالقاب الإسلامية المعتادة التي كانت تطلق على حكام المسلمين في عصره،بينما كان العلماء وخطباء المساجد يلقبونه بألقاب منها العادل – الراشد – الامير – المجيد.

---

(1) ابن عربشاه، عجائب المقدور في أخبار تيمور، ص 5.

(2) ابن عربشاه، عجائب المقدور في أخبار تيمور، المرجع السابق، ص 6.

(3) خواند امير، حبيب السيرفي أخبار أفراد البشر، ج 3، ص 2.

(4) عباس إقبال، تاريخ ايران بعد الإسلام، ص 591-592.

(5) عبد الله بن فتح الله الغياثي، التاريخ الغياثي، ص 173.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكان تيمورلنك في اثناء امتداد وتوسع دولته يغير من ألقابه، ولكنه لم يتلقب بلقب خان[1].

ويبدو أن تيمورلنك لم يتخذ ذلك لنفسه خوفا من غضب خانات جغتاي ومراعاة فيما يبدو لحقوق أولاد جغتاي[2].

أما المؤرخون العرب فقد ذكروا أنه تيمور بن ايتمشبن زنكي بن سيبا بن طارم بن طرغيل بن قليج بن سنقور بن كنجك بن طغرسبوقا بن التاخان المغولي الأصل[3].

ولما استولى تيمور على ما وراء النهر وفاق الاقران تزوج بنات الملوك فزادوه في ألقابه (كوركان) وهو بلغة المغول (الختن) لكونه صاهر الملوك[4].

ويضيف ابن عربشاه وغيره من المؤرخين إلى صفات تيمورلنك صفة صاحب قران الأقاليم السبعة وقهرمان العين وصاحب الملوك والسلاطين[5].

وقد أطلق بعض المؤرخين العرب على تيمورلنك الطاغية في عهد المماليك الجراكسة.

أما ابن خلدون فقد انفرد في منح تيمورلنك الألقاب المختلفة دون تمييز فيسميه بالأمير، وسلطان العالم، وملك الدنيا، والأمير العظيم، وسلطان المغل والتتر، ومن الصفات التي أطلقت عليه من قبل السلطان فرج بن برقوق السلطان العظيم المقام[6].

ولا نستغرب أن يلقب تيمورلنك بكل هذه الالقاب والصفات فالحقيقة أنه لم يصل أحد من الحكام والسلاطين الذين في عصره إلى ما وصل اليه من التوسع والنفوذ والسلطة بغض النظر عن كل السلبيات التي سببتها غزواته.

---

(1) ابن عربشاه، عجائب المقدور في أخبار تيمور، ص 16.

(2) عباس إقبال، تاريخ ايران بعد الإسلام ، ص 600.

(3) اليزدي، ظفرنامة، ص 84.

(4) ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر بانباء العمر، ص20.

(5) ابن عربشاه، عجائب المقدور في أخبار تيمور، ص 316.

(6) والتر فيشل، لقاء ابن خلدون بتيمورلنك، مرجع سابق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5-1 عائلته:

كانت أولى زوجاته هي أولجاي توكان آغا وتنسب إلى قبيلة جلائر وربما كان قبلها نساء أخريات في حياة تيمورلنك ولكنها أول من عرفت منهن.

ثم سراي ملك هانم، وألوس آغا بنت خضر، وطغا تركان خاتون، والاربع أرامل للسلطان حسين[1] ودلشا آغا ، وتومان آغا بنت موس جلانر، وجليان آغا نجمة الصباح وقد قتلها في حياته بسبب وشاية ثم تبين براءتها بعد أن قتلها[2].

ثم تكل خانم وتلقب بالملكة الصغرى، ومن أبرز من بقى من زوجاته بعد وفاته سراي ملك هانم ، وتومان آغا، وتكل خانم.

وقد اقترن تيمورلنك ببعض هؤلاء النسوة لاسباب سياسية كما هو الحال مع نساءالسلطان حسين، وكان له الكثير من الجواري، ولم يكن بين زوجاته أي امرأة فارسية لأن الاتراك يتهمون الفرس بالجبن وينظرون اليهم نظرة ازدراء واحتقار[3].

أما أولاد تيمورلنك فهم أربعة أولاد وبنت واحدة:

1- **غياث الدين جهنكير: وكان ولى عهده وعينه تيمورلنك على أرزاق اثني عشر ألف فارس وجباية مناطق كافية تتحمل النفقات.**
2- **معز الدين عمر شيخ: وعينه على رزق عشرة ألاف فارس مع أرض تتوافق بالعطاء المقرر.**
3- **ميران شاه : وعينه على أرزاق تسعة آلاف فارس مع ولاية تتحمل نفقات الجنود.**
4- **شاه رخ : وعينه على أرزاق سبعة آلاف فارس مع ولاية تسدد النفقات[4].**

---

(1) ابن عربشاه، عجائب المقدور في أخبار تيمور، ص 12.

(2) ابن عربشاه، ، ص 292.

(3) العلبي أكرم، تيمورلنك وحكايته مع دمشق، دار المأمون للتراث، بيروت، 1987 م، ص 32.

(4) تيمورلنك، مذكرات تيمور، ص 82.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5- سلطانة بخت : وقد تزوجها سليمان باشا وكانت مترجلة لا تحب الرجال على حد قول ابن عربشاه.

6-1 عاصمة دولته (سمرقند):

يمدنا المؤرخون بوصف دقيق لمدينة سمرقند، فذكروا أنها بلد معروف مشهور، وهي قصبة الصغد مبنية على جنوبي الصغد [1] وعلى المدينة سور طوله اثنا عشر فرسخا حوله خندق عميق، ولها قلعة مرتفعة على الأرض وفي أسفلها قرب النهر أرباض كبيرة تحفها البساتين والأشجار، وللمدينة أربعة أبواب هي باب الصين في جهة المشرق وباب بخارى في جهة الشمال وباب النوبهار في جهة المغرب وباب كش في الجنوب. وكان بها سوق تعرف برأس الطاق، ودورها مبنية بالخشب والطين[2]، وقد

ظلت سمرقند من حيث الرقعة وعدد السكان أولى مدن ما وراء النهر[3]. وأحسنها وأتمها جمالا[4] ويتبع ولاياتها اثنا عشر رستاقا ستة جنوب زرفشان[5] وستة إلى الشمال منه.

واستمرت سمرقند على هذا الجمال حتى حل بها المغول فأوقعوا بها مختلف الخسائر سنة 616هـ /1215م. ويذكر ابن بطوطة الذي زارها في أوائل القرن الثامن الهجري أنه كان على شاطئ سمرقند قصور عظيمة وعمارة تنبئ عن علو همم أهلها، فدثر وخرب أكثرها، وأصبح لا سور لها ولا أبواب عليها[6].

---

(1) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 3، دار صادر للنشر، بيروت، ص 246.

(2) أبو العباس القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشاء، ج 4، نسخة مصورة من الطبعة الاميرية، مطابع كوستاتسوماس، القاهرة، 1963 م، ص 432.

(3) كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركي عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، 1954 م، ص 507.

(4) محمد بن عبد الله الطنجي ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار، شرحه وكتب هوامشه محمد حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987 م، ص 391.

(5) زرفشان أو نهر الصغد أو ناشر الذهب على مايسمى اليوم : من روافد يمين نهر جيحون.

(6) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار، ص 391.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومهما يكن الأمر فان سمرقند استعادت مجدها السابق في ختام القرن الثامن الهجري وذلك حين اتخذها تيمورلنك عاصمة له[1]، مفضلا اياها على مسقط رأسه المدينة الخضراء كش رغم ما كان لها في نفسه من مكانة وذكريات حيث رأى أنها أصغر من أن تظهر فيها روعة المملكة وهيبة الامبراطورية، نظر تيمورلنك إلى سمرقند فوجدها أكثر ملاءمة لتكون حاضرته فهي تتمتع بموقع جغرافي فريد عند ملتقى الطرق التجارية الكبرى القادمة من الصين ومن الهند مارة ببلخ ومن إيران مارة بمرو وبأراضي الترك[2]، كما أنها تميزت عن غيرها بمركزها الحيوي وبتجارتها الوثيقة الاتصال بالقوافل المارة بها ، كما أن ما امتازت به المنطقة المحيطة بها من خصب وفير أتاح لعدد كبير من الناس أن يسكنها[3]. ولذلك كله تم اختياره عاصمة له فما أن وصل اليها سنة 771 هـ /1369م حتى خرج اليه أهلها مرحبين ومهللين لقدومه. واستقر بها وحول مملكة جغتاي إلى إمبراطورية جعل عاصمتها سمرقند.

وكانت الصفة البدوية أغلب على هذه المدينة في عهد أسلافه فرفعها إلى مستوى الحاضرة المستقرة[4].

كرس تيمورلنك جانبا كبيرا من اهتمامه لاعادة بناء وتجميل سمرقند وذلك بالاستفادة من جهود المهندسين والخبراء والبنائين المهرة الذين تجمعوا عنده من الشرق والغرب[5].

---

(1) كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص 508.

(2) المقصود بأراضي الترك أو بلاد الترك : تركستان، دار المعارف الإسلامية، الترجمة العربية، ج 9، ص 272-273.

(3) بارتولد : تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص 170، السيد فرج، تيمورلنك، ص 41.

(4) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية نبيه فارس أمين، دار العلم، بيروت، 1988م، ص 420.

(5) اليزدي، ظفرنامة، ج 1، ص 801.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأمر بجلب مختلف أدوات البناء والعمارة من المدن المجاورة والأماكن البعيدة فجلب اليها الرخام الأبيض، والأحجار الملونة من هراة[1]، وأصبحت سمرقند التي كانت منازلها تبنى من الخشب والطين في مدة وجيزة درة البلاد الآسيوية وأجمل مدن الشرق، وسكنها جنسيات مختلفة من أبناء الشعوب القريبة والبعيدة بجانب العلماء والكتاب حتى قيل ان مجموع سكانها تجاوز مائة وخمسين ألفا[2]. وأخذت العاصمة في الاتساع حيث أنشأ في ضواحيها قصبات جديدة سميت بأسماء كبار المدن مثل مصر، ودمشق، وبغداد، وشيراز، وسلطانية[3].

قاصدا بذلك ضمان تفوق عاصمته على المدن الأخرى[4]. وأنشئت تلك المباني على الطراز الإيراني، وقيل أن تيمورلنك كان له حاسة فنية وآراء صائبة يتجلى فيها ذوقه الرفيع[5].

وكان أبرز مابناه المهندسون من فن معماري مرموق يتمثل في جامع سمرقند ، وهدف تيمورلنك من بنائه التقرب إلى الله عز وجل، فأحضر لانجازه المهندسين والصناع المهرة وبدأ العمل في انشائه في الرابع من رمضان سنة 801هـ/1400م، واشترك في بنائه أمهر العمال الذين يعد كل واحد منهم نابغة عصره، وكلف خمسمائة رجل بالقيام بقطع الأحجار وحملها إلى المدينة، وأشرك (95) فيلا أحضرها من الهند لحمل مواد البناء اللازمة، وعندما انتهى الصناع من تشييد وبناء شرفات المسجد العالية، وصحنه الجذاب أقاموا عددا كبيرا من الأعمدة المصنوعة من الصخر المنحوت، وتم بناء سقفه الرفيع وبلاطه البديع، وأقيمت في كل ركن من أركانه الأربعة منارة وتم تزيين جدرانه من الداخل والخارج بالأحجار الكريمة المزينة بالآيات القرآنية[6].

---

(1) هارولد لامب، تيمورلنك، ص 70، 105.

(2) ارمنيوس فامبري، تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة أحمد محمود الساداتي، مطابع شركة الاعلانات الشرقية، القاهرة، بدون تاريخ، ص 253.

(3) سلطانية : مدينة أثرية تقع في نصف الطريق بين أبهر وزنجان، وقد أنشأها أرغون خان وأتمها السلطان ألجياتو في سنة 704 هجرية وجعلها قاعدة الدولة الايلخانية.

(4) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص 331.

(5) عباس إقبال : تاريخ إيران بعد الإسلام، ص 625.

(6) نظام الدين شامي، ظفرنامة، تحقيق فلكس تاور، ص 253.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكان ثاني ما أبدعه هؤلاء المهندسون قصر تيمورلنك الذي يقع خلف قلعة المدينة حيث كان هناك جماعة من التتار تحمي القلعة الواقعة داخل العاصمة والتي كان يسكنها نواب تيمورلنك وأسرهم، وكان هذا القصر يحظى بالعديد من الذخائر والجواهر والسلاح كما يوجد به دائرة خاصة للمهندسين الذين يعملون بمشورته وينفذون أوامره[1].

ويصف كلافيجو السفير الأسباني الذي زار تيمورلنك سنة 805هـ/ 1404م مجلس تيمورلنك أمام قصره فيقول: "انه كان يجلس على الأرض بجوار بوابة أمام مدخل قصر جميل وأمامه نافورة تطلق مياها عالية كانت فيها بعض التفاحات الحمراء وكانت الأرض مفروشة بسجاد مزخرف بالحرير وعليه وسائد مستديرة، وكان تيمورلنك مرتديا ثوبا من الحرير وعلى رأسه عمامة بيضاء عالية، في أعلاها قطعة من الياقوت الأحمر وحولها لآلئ وأحجار كريمة"[2].

ويذكر مؤرخو الفرس أن أجمل المنشآت التي يتجلى فيها ذوق تيمورلنك قصر "باغ شمال" روضة الشمال، واشتهر القصر بعمارته الجميلة ومغانيه اللطيفة، وتولى انشاء القصر مجموعة كبيرة من المهندسين والمعماريين والخبراء والبنائين المهرة الذين استقدمهم تيمورلنك إلى سمرقند من كافة

ممالك فارس[3] والعراق وآذربيجان[4]، ومن فرط اهتمامه به باشر بناءه بنفسه لمدة شهر ونصف، حتى تم بناء سقفه العالي وقد وضع في كل ركن من أركانه الأربعة حجر من المرمر أحضروه من تبريز وزينت بالرخام والذهب، وصنعوا بلاط صحنه من حجر المرمر ، وبعد الانتهاء منه أقام به شهرا وأهدى هذا القصر لحفيدته بيكيسي سلطان ابنة الأمير ميرانشاه[5].

---

(1) هارولد لامب، تيمورلنك، ص 107.

(2) كلافيجو، سفارة اسبانيا، ص 199.

(3) الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 226-227.

(4) ابن عبد الحق البغدادي، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق محمد علي البجاوي، ج 1، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، 1954 م، ص 47.

(5) اليزدي : ظفرنامة، ج 1، ص 801-802.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كذلك كان يقع في هذا القسم من المدينة قصر "باغ جناران" روضة الحور، وقد عرف بهذا الاسم اذ كانت تحوطه طرق جميلة يقوم شجلر الحور على جوانبها، وهذا القصر أقيم على ربوة صناعية تتوسط البستان، وكانت أبنيته متقاطعة متعامدة، وقد اضطلع فنانو الشام بنقشه كما زينت جدرانه الداخلية بالتصاوير، وملئت غرفه بأثاث ضخم من الفضة وفرش وموائد وغير ذلك[1].

ويذكر ابن عربشاه وغيره من المؤرخين المسلمين أنه ما أن وصل تيمورلنك إلى سمرقند حتى مد لها يد الاصلاح فشقت الشوارع الفسيحة، "وأنشأ في سمرقند بساتين عديدة وقصور شوامخ مشيدة،كل له ترتيب غريب ووضع أنيق أحكم أساسها وطعم بأفخر الفواكه غراسها".

وما يقال عن ازدهار العمارة في سمرقند يصدق على الصناعة، فالواضح أنه بجانب جلبه المهندسين والفنانين البارزين في المجال المعماري أحضر كذلك أمهر الصناع من النساجين في دمشق ونساجي القطن في حلب، وصانعي الأقمشة في أنقرة والصياغ في تركيا[2].

وقد تميزت سمرقند بأجود أنواع الثياب الحريرية ذات اللون الأحمر[3].

وهذا النشاط الصناعي انعكس على النشاط التجاري فغدت سمرقند أعظم الأسواق لتجارة آسيا ومركزا من أهم مراكز الاتصال بين الصين وآسيا الوسطى[4] وإيران. فازدهرت حركة التجارة بها وجعل منها سوقا يؤمها التجار من جميع الأجناس، وحلت في حياته محل تبريز وبغداد على أقل تقدير[5].

---

(1) أرمنيوس فامبري، تاريخ بخارى، ص 331.

(2) أرمنيوس فامبري، المرجع ذاته، ص 253.

(3) محمد محمد فياض، تيمورلنك، مطبعة دار المعارف، القاهرة، 1954 م، ص 60.

(4) أحمد محمود الساداتي، تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1979، ص 72.

(5) دائرة المعارف الإسلامية ، الترجمة العربية، ج 1، ص 302.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وحملت قوافل الهند إلى سمرقند التوابل والمنسوجات، وصدرت اليها الصين[1] الحرير والخزف والمسك والعقيق والأحجار الكريمة وكان يرد اليها من القسم الشمالي في دولته المترامية الأطراف مقادير كبيرة من الفراء الثمين، كما أنه كان يحمل اليها من خراسان المعادن المتنوعة ، والياقوت من الهند، والماس منها ومن السند، واللؤلؤ من هرمز والقطيف والحسا، واليشم[2] والمسك وغيره، وكان يحمل اليها البلخش من بلخشان[3].

وكان يعاد تعبئتها في أسواق سمرقند ثم تصدر من جديد إلى الدول الأخرى سالكة طريقين مختلفين، فمنفذ التجارة الأول كان بطريق خوارزم واستراباذ[4]، والمنفذ الثاني كان بطريق قزوين[5] وتبريز وطرابزون[6]. وكان يقصد بها سمرقند التجار من أقصى بلاد الأرض وتمر بها القوافل إلى جميع أنحاء العالم وهي في أمان تام.

واهتم تيمورلنك باصلاح طرق القوافل فبنى فيها بيوتا للنوم والراحة وأمدها بالماء من أنابيب ممتدة بينها وبين البلاد القريبة وأقام على الطريق حراسا من الجند وجعلهم مسئولين عن صيانة الأمن فيها وسلامة المواصلات وكان تجار القوافل لا يدفعون سوى ضريبة واحدة مع أن بعضهم كان يقطع في بلاده مسيرة خمسة أشهر[7].

---

(1) البغدادي، مراصد الاطلاع، ج 2، ص 861.

(2) اليشم : مصطلح عام يشمل مجموعة من المعادن الصلدة التي تتدرج من الأبيض تقريبا إلى الاخضر الأدكن وتتكون من سليكات الكالسيوم والماغنيسيوم.

(3) البلخش : معدن مقاوم للياقوت.

(4) استراباد : بلدة مشهورة بين سارية وجرجان عبد الحق البغدادي، مراصد الاطلاع، ج 1 ص 70.

(5) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص 434-440.

(6) كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص 168.

(7) أرمنيوس فامبري، تاريخ بخاري، ص 254.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما المعاملات التجارية في تلك المدينة فيذكر ابن عربشاه وغيره أن سمرقند ليس فيها كيل يصان ولا صاع يصان ولا يجري على جني المكيلات فيها بالكيل حسبان، وانما معرفة حساب ذلك عندهم بالميزان، ورطل سمرقند أربعون أوقية بالمثاقيل مائة فيكون رطلهم أربعة آلاف مثقال كل مثقال درهم ونصف من غير زيادة ولا اخلال فعلى هذا رطلهم بالدمشقي عشرة أرطال[1].

ولم يهمل تيمورلنك الجانب الزراعي، فقد انتشرت البساتين الجميلة في كل أرجاء العاصمة وحفلت بأفضل أنواع الفواكه من العنب والتين والرمان والسفرجل والخوخ[2].

وأطلق على تلك البساتين العديد من الأسماء، سمى أحدها بستان ارم والآخر زينة الدنيا والثالث جنة الفردوس والرابع بستان الجمال والخامس الجنة العليا[3]، وكانت تمتد مسافة خمسة أو ستة أميال[4].

واهتم تيمورلنك بالحركة الفكرية في عاصمته اذ عرف عنه حبه للعلماء وتشجيعه لهم[5]، فقام بحشد مجموعة كبيرة من العلماء والكتاب والفلاسفة في حاضرته وهيأ لهم أماكن مريحة لممارسة أنشطتهم[6]، وكان تيمورلنك يهتم كثيرا بعلوم الدين والتصوف وكان يراعى تعظيم السادات والعلماء ويكرم الأئمة والصالحين[7].

(1) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص 340، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج 4، ص 131.

(2) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص 331، القلقشندي، صبح الأعشى، ج 4، ص 432.

(3) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص 331.

(4) ارمنيوس فامبري، تاريخ بخارى، ص 251.

(5) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج 4، ص 132.

(6) هارولد لامب، تيمورلنك، ص 104.

(7) عباس إقبال، تاريخ ايران بعد الإسلام، ص 621.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما اهتم تيمورلنك بكتابة التاريخ فطلب من نظام الدين الشامي سنة 804هـ/1403م أن يكتب له تاريخ حياته وفتوحاته بأسلوب سهل مبسط يمكن فهمه من الجميع ، وقد قال تيمورلنك أن سبب ذلك هو أنه حتى ذلك التاريخ لم يقم أحد برواية هروبه وأحداثه بشكل مطمئن.

ووضع تيمورلنك تحت تصرف نظام الدين كل ما يحتاجه من وثائق، ونفذ الشامي أوامره وكتب عمله بشكل يمكن فهمه من الجميع وهذا الكتاب هو ما عرف باسم ظفرنامة "كتاب الظفر"[1].

وأنشأ تيمورلنك في حاضرته مراكز للاستعلامات ومراصد فلكية لرصد النجوم ومراقبة الكواكب، واهتم بانشاء المدارس وجلب لها أفضل الأساتذة من خوارزم وبخارى وفرغانة وأجرى الأرزاق عليها، كما أنه أمر بنقل مكتبة بأكملها على متون البغال إلى سمرقند[2].

1 - 7 توسعاته:

كان الجيش عند تيمورلنك أهم عناصر دولته وكان ينظمه بحسب تقسيم جنكيز خان العشري، فانخرط في حروب عديدة بغية إعادة توحيد الإمبراطورية المغولية متخذا سمرقند التي ازدهرت في عهده، عاصمة له، فنقل إليها التحف والثروات من جميع أنحاء الإمبراطورية و صارت مركزاً لقوافل الهند والصين وآسيا الصغرى.

بعد أن استتب الأمر لتيمورلنك في بلاد ما وراء النهر كون مجلسا من كبار الأمراء والعلماء وأعلن نفسه حاكما عليها بلا منازع.

بدأ تيمورلنك بتوسيع رقعة دولته على حساب دول الجوار و كانت هذه الحروب مهمة للغاية، لأن هدف تيمورلنك كان جذب خطوط التجارة من الشمال إلى دولته في الجنوب، وهو ما تم له بالفعل، فكان هذا عاملا اقتصاديا مهما لإثراء دولته وتقويتها بما يوفر له قوة إضافية على الساحة الدولية.

---

(1) بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص 214.

(2) أحمد الساداتي، تاريخ الدول الإسلامية، ص 503.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نظم تيمورلنك جيش ضخم، كان معظم فرسانه ومقاتليه من المغوليين، وأخذ يفكر في حماية حدود دولته الجديدة.

1-7-1 الحروب ضد قبائل الجتة:

بدأ تيمورلنك بتوسيع رقعة دولته على حساب دول الجوار و حرص على حماية حدود دولته الجديدة، وهذا ما دفعه للقيام بتوجيه ضربات متوالية ضد جيرانه الجتة خلال المرحلة الأولى من حكمه، وامتدت حملاته على قبائل الجتة مدة 10 سنوات 1370-1380م .

لم يكن الهدف من تلك الحروب على قبائل الجتة تحقيق مكاسب اقليمية أو دينية وانما كان الهدف تأمين جبهته الشرقية ليتفرغ للمراكز الحضارية الأكثر ثراء في الشمال والغرب.

كانت أول ضرباته ضد قبائل الجتة عام 771هـ/ 1370م حيث اجتاح منازلهم وأسر عددا كبيرا من الجتة وأعمل فيهم السلب والحرق ثم عاد آخر الأمر إلى موطنه محملا بالغنائم[1].

وبعد مرور أربع سنوات توجه تيمورلنك بحملته إلى بلاد الجتة في شعبان 777هـ/1375م ورجع دون أن يحقق مأربه في القضاء على مطامع الأمير قمر الدين دوغلات وذلك بسبب اشتداد البرد وسقوط الثلج، فاضطر إلى العودة إلى سمرقند.

وفي نفس العام 777هـ/1375م قام بحملة أخرى على بلاد الجتة لعله يحسم الصراع مع الأمير قمر الدين دوغلات وقبائل الجتة الا أن قمر الدين فضل الهرب كعادته لما رأى عدم مقدرته على مواجهة قوات تيمورلنك.

صحيح أن تيمورلنك حقق انتصارات عديدة ومغانم كثيرة من خلال حملاته على الجتة لكنه أخفق في القبض على خصمه قمر الدين ولم يحقق رغباته في ضم القسم الشرقي من دولة جغتاي السابقة اليه، وظل هذا القسم في حالة عداء مع تيمورلنك مما دفعه إلى العودة والتوجه نحو مناطق أخرى.

---

(1) اليزدي، ظفرنامة، ص 170.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1-7-2 غزو خوارزم:

وجد تيمورلنك أن من الضروري استقرار الحكم في بلاد ما وراء النهر فقام في الوقت نفسه بحملات ضد الخوارزميين في الشمال والجتة في الشرق وكان يرى أن السيطرة على خوارزم من الأمور المهمة التي يجب أن تتم لأنه يعدها تابعة لبلاد ما وراء النهر[1].

يتفق المؤرخون أن تيمورلنك غزا خوارزم أربع مرات في الفترة 773-780 هـ/1371-1378م[2].

الحملة الأولى على خوارزم:

كانت في 773هـ/1371م حيث توجه تيمورلنك عبر الصحراء نحو خوارزم وتمكن من دحر طليعة حسين صوفي بالقرب من جيحون وواصل زحفه وأفلح في الاستيلاء على مدينة كاث وأرسل طلائعه إلى خوارزم وتمكن جنده من الاغارة عليها من كل جانب فانسحب حسين صوفي إلى داخل القلعة وبعث برسول إلى تيمورلنك يعرض عليه الصلح بعد أن أدرك عدم قدرته على مواجهته، ولكن هذا الصلح لم يتم، وبعد عدة أيام خرج رجل من القلعة وأخبر تيمورلنك أن حسين توفي وأن المدينة سوف تستسلم وأن يوسف صوفي شقيق حسين سوف يخلف أخاه في الحكم، وتم الصلح بين يوسف و تيمورلنك الذي اشترط لاتمام الصلح أن يحكم يوسف صوفي خوارزم ويتنازل عن مدينتي كاث وخيوق فوافق يوسف صوفي على ذلك وعاد تيمورلنك إلى سمرقند سنة 774هـ/ 1372م مكتفيا بما حققه من تبعية آل صوفي اليه[3].

الحملة الثانية على خوارزم 774هـ/ 1372م:

لم يستمر ذلك الصلح والعلاقة المصطنعة بين يوسف صوفي وتيمورلنك طويلا على اثر ما شعر به تيمورلنك من عدم اخلاص نية يوسف في تعهده.

---

(1) الشامي، ظفرنامة، ص 65-69.

(2) دائرة المعارف الإسلامية، م 6، ص 160.

(3) اليزدي، ظفرنامة، ص 181.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويعزوا بعض المؤرخين السبب لي أن بعض الأمراء ذهبوا من سمرقند إلى خوارزم وحرضوا يوسف صوفي على تيمورلنك فاستجاب لهم وقام بالهجوم على مدينة كاث وتمكن من تخريبها وتشتيت أهلها[1].

ولما وصلت الأخبار إلى تيمورلنك قرر على الفور العودة إلى خوارزم على رأس حملة ثانية في رمضان 774هـ/ 1372م، وما أن علم يوسف بقدوم جيش تيمورلنك حتى أصابه الخوف وطلب الأمان[2] فأرسل إلى تيمورلنك يطلب العفو على أفعاله وتعهد له بأن يبعث ابنة اخيه خان زاده عروسا لجهان كير ابن تيمورلنك في أسرع وقت[3].

وقد عفا تيمورلنك عنه وعاد إلى سمرقند دون أن يصيب خوارزم بأي خسائر. كما أن خان زاده أرسلت عروسا إلى سمرقند محملة بالهدايا كبرهان على عزم يوسف صوفي على اتمام الزواج وقد أحسن تيمورلنك استقبال الأميرة وعقد لها احتفالا كبيرا يتناسب مع مكانتها[4].

الحملة الثالثة على خوارزم 777هـ/ 1375م:

لا يذكر المؤرخون سببا لقيام تيمورلنك بهذه الحملة على خوارزم حيث أن الدلائل كانت تشير إلى تحسن العلاقة بين الطرفين بعد رابطة المصاهرة التي تمت بينهما.

غير أن تيمورلنك توجه في سنة 777هـ/ 1375م إلى مدينة كاث فوصلته أنباء من حاكم سمرقند بأن جماعات من قبيلة جلائر تحاول الاغارة على سمرقند فقرر العودة سريعا وأرسل ابنه جهانكير ليسبقه اليها فتمكن من القضاء على المغيرين[5] وهكذا عاد تيمورلنك إلى سمرقند دون أن يحقق أي غرض من هذه الحملة.

---

(1) اليزدي، ، ص 182.

(2) فامبري، تاريخ بخارى، ص 219.

(3) اليزدي، ظفرنامة، ج 1، ص 187.

(4) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص 36 وقد وصفها بالحسن والجمال.

(5) الشامي، ظفرنامة، ص 81.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحملة الرابعة على خوارزم 780هـ/ 1378م:

أعقب الحملة الثالثة حقبة من الهدوء والسلم استغلها تيمورلنك لشن الحملات على بلاد الجتة.

لكنه اضطر للعودة مرة رابعة إلى خوارزم سنة 780هـ1379م/ لعدة أسباب أهمها أن وفاة محمد جهانكير سنة 777هـ/1375م زوج الاميرة خان زادة أدت إلى اعتقاد يوسف صوفي أنه بذلك قد انقطعت صلة المصاهرة التي كانت تربطه بتيمورلنك لذلك أعلن تمرده وعصيانه. كما دفعه غروره على حد قول يزدي إلى الإغارة على بخارى[1] وأطراف سمرقند ونهبها لذلك رأى تيمورلنك ضرورة وضع حد لتلك التصرفات فتوجه بقواته إلى خوارزم في شوال 780هـ/1379م وحاصر مدينة أوزكند والمناطق القريبة من خوارزم واستولى على غنائم وفيرة.

بعد ذلك نشبت معركة بين تيمورلنك ويوسف صوفي وحاصر تيمورلنك الحصن الذي هرب اليه واستمر الحصار ثلاثة شهور ونصف ثم تمكن تيمورلنك من اقتحام المدينة. ويشير كل من الشامي ويزدي إلى وفاة يوسف صوفي بعد احتلال المدينة بأيام قليلة بعارض نفسي ويؤكدان أن الوفاة كانت بتقدير إلهي ولا دخل لتيمورلنك في ذلك[2].

ويشير ابن عربشاه إلى أنه وقع بأيدي تيمورلنك كنوز هائلة فيها حيث حمل معه كذلك كثيرا من مهرة الصناع الحرف وعددا كبيرا من العلماء كما شيد هناك قصرا تذكارا لانتصاراته[3] وعاد إلى سمرقند.

كما أنّه خلال هذه الفترة استطاع أن يسيطر على صحراء القفجاق، والتي تقع ما بين "سيحون" وبحيرة "خوارزم" وبحر "الخزر" المعروف باسم بحر "قزوين"[4].

وباتت آسيا الوسطى كلها تخضع له وانتظم له بذلك ملك بلاد ما وراء النهر.

---

(1) يزدي، ظفرنامة، ص 81.

(2) يزدي، ، ج 1، ص 219، الشامي، ظفرنامة، ص 81.

(3) فامبري، تاريخ بخارى، ص 219 – 220.

(4) أحمد سليمان، تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1985 م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3-7-1 غزو خراسان:

الحملة الأولى على خراسان:

عندما اضطربت أوضاع خراسان عام 1380، أرسل "تيمور لنك" ابنه "ميران شاه" الذي كان يبلغ من العمر خمسة عشر عاما[1] في ذلك الوقت إليها ، فنجح ذلك الفتي القائد في السيطرة علي الاضطرابات التي سادت الإقليم ، كما أعاد بسط سلطة الدولة علي إقليم بحستان وأفغانستان.

ثم قرر تيمورلنك القدوم بنفسه إلى خراسان وزحف بصحبة ابنه ميرانشاه على رأس جيش كبير.

ثم واصل تيمورلنك زحفه وتمكن من الانتصار على القوات التابعة للملك غياث الدين في نيسابور ثم اتجه بعدها نحو قلعة فوشنج[2] وبعد أن حاصرها أسبوعا أفلح جنوده في عبور الخندق واقتحام الحصن والاستيلاء عليه[3]. وتحرك بعدها إلى قوهستان ثم نيسابور وسبزوار.

بعد ذلك توجه تيمورلنك نحو كلات وطوس لتأديب حاكمها على بك قرباني لكنه عفا عنه بسبب اعتذاره وتقديمه فروض الولاء والطاعة[4]. ثم اندفع تيمورلنك تجاه مدينة اسفرايين واحتلها.

اكتفى تيمورلنك بما حققه من حملته الأولى وترك ابنه ميرانشاه في سرخس ليراقب الوضع في خراسان[5].

---

(1) يزدي، ظفرنامة، ج 1، ص 225.

(2) فوشنج : تقع في الجنوب الغربي من هراة وعلى مقربة من منها وهي غوريان الحالية. يزدي، ظفرنامة، ج1، ص 232.

(3) خوانامير، حبيب السير، ج 3، ص 23.

(4) يزدي، ظفرنامة، ج 1، ص 237-238.

(5) شيخو، حقيقة تيمورلنك، ج 1، ص 260.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحملة الثانية على خراسان سنة 784هـ:

أثناء اقامة تيمورلنك في مصيفه على حدود بخارى وصلته الأخبار بأن هناك مؤامرة تحاك ضده حيث اتفق الأمير شاه ولى حاكم مازندران وعلى بك حاكم كلات بالهجوم على سبزوار رغم قبولهما الطاعة والولاء[1]. لذلك توجه بقواته سنة 784هـ/1383م نحو خراسان فحاصر كلات ووافاه إلى هناك ابنه ميرانشاه من سرخس[2] وكان على بك قد تحصن مع أهله وسكان ولايته استعدادا لمواجهة تيمورلنك وقتاله. ودخل تيمورلنك المدينة وأقام بها 14 يوما وعين الأمير حاجي خليفة واليا عليها ثم توجه جنوبا إلى قلعة ترشيز واقتحمها وعين سارق أتكة واليا عليها [3].

ثم توجه نحو مازندران فاستسلمت وعاد عن طريق سملقان[4].

وقد حقق تيمورلنك من حملته الثانية اخماد المؤامرة وتعيين بعض عماله على بعض الولايات ومنها هراة.

الحملة الثالثة على خراسان سنة 785هـ/1384م:

يذكر المؤرخون أنسبب توجه الحملة الثالثة على خراسان هو اندلاع الثورات على نواب تيمورلنك في هراة وسبزوار وسجستان ولا سيما في هراة.

كان تيمورلنك عقب احتلال هراة قد عين الملك محمد على غور لكنه تمرد مع جماعة من الغوريين والأهالي وقبضوا على الولاة والمحصلين التيموريين فعمت الفوضى والسلب والنهب في المدينة في الوقت الذي مات فيه أيلركة حاكم هراة من قبل تيمورلنك[5].

وازاء هذه الأحداث بعث تيمورلنك ابنه امير انشاه بقوة كبيرة للقضاء على هذه الثورة.وتم القضاء على الثورة.

---

(1) يزدي، ظفرنامة، ج 1، ص 243.

(2) الشامي، ظفرنامة، ص 88.

(3) حافظ آبرو: بنج رسالة تاريخي حوادث دوران أمير تيمور كوركان، تحقيق فلكس تاور، براغ، تشيكوسلوفاكيا، 1958م، ص 67.

(4) سملقان: تقع بالقرب من جلجلرم من اعمال نيسابور، لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص 433.

(5) يزدي، ظفرنامة، ج 1، ص 256.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعد ذلك توجه تيمورلنك إلى سندمار وسيستان وقضى على تمرد أهلها وهدم قلعتها ووقع السيف في أهلها، واحتل سبزوار ثم توجه إلى سجستان واجتاح المنطقة واقتحم مدينة زرنج عاصمة البلاد ونصب شاهان أميرا على سجستان[1].

وبعد أن تم لتيمورلنك ما أراد توغل إلى بست وتمكن في الطريق من الاستيلاء على طاق[2] وقلعتها وبقية المدن المجاورة حتى بلغ حدود جبال سليمان في الجنوب وبذلك يكون سيطر على كل منطقتي سجستان وزابلستان بكاملها[3] ثم توجه إلى قندهار وسيطر عليها وقتل حاكمها وأخذ منها عشرة آلاف فارس وألحقهم بجيشه ثم قفل عائدا إلى سمرقند[4].

الحملة الرابعة على خراسان سنة 786 - 787هـ/1385-1386م:

استطاع تيمورلنك خلال حملاته الثلاثة السابقة أن يقضي على تحركات التمرد والعصيان وارغام حكام المنطقة السابقين باعلان الولاء والطاعة. ولم يبق من هؤلاء الحكام القدامى الا شاه ولى حاكم مازندران الذي اضطر إلى إعلان ولائه لتيمورلنك وأرسل له الأموال والهدايا في سنة 784هـ/1384م ثم أكد تبعيته في السنة الثانية ليخلص بلاده من الدمار والخراب[5]، الا أنه في الوقت نفسه كان يتحين الفرص للتحرر من هذه التبعية . فقام بمحاولة جادة لتكوين جبهة موحدة لمواجهة الخطر التيموري[6] وكان تيمورلنك لا يرتاح إلى إخلاصه ولا يطمئن اليه بسبب تقلبه المستمر. فبعد أن أمضى ثلاثة أشهر في عاصمته سمرقند توجه من جديد نحو خراسان سنة 786هـ/1386م وعقد النية على أن تكون مازندران هي بغيته في تلك الجولة[7] وتقدم تيمورلنك إلى نهر مرغاب ومنها إلى سرخس وبارود. وعاد

---

(1) الشامي، ظفرنامة، ص 92.

(2) طاق: مدينة تقع على مرحلة من زرنج العاصمة لسجستان، لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص 382.

(3) يزدي، ظفرنامة، ج 1، ص 270-274.

(4) نطنزي، منتخب التواريخ، تحقيق جين أوين، مكتبة الخيام، طهران، 1957م، ص 324.

(5) الشامي، ظفرنامة، ص 94.

(6) ابن عربشاه، عجائب المقدور في نوائب تيمور، ص 37-38.

(7) البدليسي، شرفنامة، ترجمة محمد هاني، دار الزمان للطباعة، ج 2، ص 59.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شرقا إلى نسا باتجاه الأملاك الشرقية لشاه ولي، وهناك علم أن قائد قلعة دورون من قبل شاه ولي أحكم حمايته للقلعة وتحصن بها مع رجاله[1].

تلاقت القوتان بالقرب من القلعة ونشبت معركة حامية تغلب فيها جيش تيمورلنك وتمت السيطرة على القلعة وأمر تيمورلنك بقتل المدافعين عنها واضطر شاه ولي للتراجع وتعقبه تيمورلنك حتى عبر نهر جورجان وعسكر بجيشه عند شاسمان ودارت معركة ثانية استمرت عشرين يوما انتهت لصالح تيمورلنك وانسحب شاه ولي ولم تتمكن قوات تيمورلنك من القبض عليه[2].

وتمكن تيمورلنك من التقدم نحو استراباد حاضرة مازندران واحتلها فهرب شاه ولي إلى الري[3] ومنها إلى تبريز.

بعد أن أخضع تيمورلنك مازندران عين عليها لقمان بادشاه ابن جغاي تيمور[4] وأنهى حملته بالتوجه إلى الري لملاحقة أحمد بن أويس إلى منطقة السلطانية ثم قفل تيمورلنك راجعا بعد الاطاحة بحكام استمدار واستولى على آمل وساري وبقية ولايات مازندران[5] مكتفيا بهذا القدر من الانتصارات حيث سيطر على كل الأراضي المترامية الأطراف التي تمثلها بلاد فارس الشرقية.

1-7-4 غزو بلاد فارس789هـ/1387م:

عندما تحقق لتيمورلنك الاستيلاء على ما وراء النهر وخراسان رغب في الاستيلاء على فارس التي كانت تمثل جزءا هاما من أهدافه التوسعية.

---

(1) يزدي، ظفرنامة، ج 1، ص 281.

(2) إقبال، تاريخ ايران، ص 597.

(3) الري: مدينة عظيمة ببلاد الجبال اسمها القديم راغة وحاليا تبعد 5 كم من طهران، شيخو، حقيقة تيمورلنك، ج 1، ص 259.

(4) حافظ آبرو، زبدة التواريخ، ص 54، يزدي، ظفرنامة، ج 1، ص 274.

(5) يزدي، ظفرنامة، ج 1، ص 254 – 286.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وثمة دافع آخر دعا إلى الزحف على آل مظفر في فارس وكرمان وهو ما حل بهم من اضطراب ومنازعات بعد وفاة السلطان شاه شجاع. فاتجه بقواته نحوهم مدعيا رغبته في اعادة الهدوء والاستقرار واصلاح ما حل بهم من تفكك، واجبارهم على طاعته ليحقق هدفه الكبير بأن يكون الوريث الشرعي للدولة الايلخانية[1].

زحف تيمورلنك من جيلان[2] سنة 789هـ/ 1387م صوب همذان ثم إلى ظاهر أصفهان واستولى عليها دون قتال في البداية مقابل الأمان وعدم التعرض للمدينة بأذى. ثم ترك عليها حامية من جنوده ثم توجه نحو شيراز وسيطر تيمورلنك على شيراز بدون مقاومة.

ولم يمكث تيمورلنك في شيراز طويلا حيث تركها عندما علم بزحف حاكم القفجاق تقتاميش إلى ما وراء النهر[3]. وبذلك توقف عن اكمال مشروعه في الاستيلاء على كافة مدن فارس مؤقتا.

رجع تيمورلنك إلى بلاد فارس مرة أخرى سنة 795هـ/ 1392م وتوجه نحو خوزستان واستولى عليها واستكمل غزو بلاد فارس ،وقد عرفت هذه الحملة بحملة السنوات الخمس لأنها امتدت من سنة 794هـ إلى 798هـ / سنة 1392م إلى 1396م[4].

وقد استطاع تيمورلنك أن يغزو جميع مدن بلاد فارس وأن يقضي على جميع أفراد آل مظفر حيث قتل منهم قرابة السبعين شخص[5] وسيطر على هذا الجزء الهام فأصبحت بلاد فارس الجنوبية جزء من أملاكه وسهل له هذا النصر مهمة توجهه إلى العراق والقضاء على حكامها من آل جلاير.

وقام تيمورلنك بتعيين ابنه ميرزا عمر شيخ حاكما على فارس وجعل شيراز مقرا لحكمه كما عين الأمير ايدكو بهادر حاكما على كرمان وتموك كوجين حاكما على يزد ولام قوجين حاكما على أبرقوه[6] وسيأتي ذكر الحملات على بلاد فارس بالتفصيل في الفصل الثاني (انجازات تيمورلنك العسكرية).

---

(1) تيمورلنك، توزكات تيمور، ص 346.

(2) الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص 201.

(3) ابن خلدون، كتاب العبر، ص 557.

(4) إقبال، تاريخ ايران، ص 542.

(5) إقبال، ، ص 543.

(6) اليزدي، ظفرنامة، ج 1، ص 434، القزويني، تاريخ كزيدة، ص 755.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1-7-5 غزو آذربيجان و العراق 1393/1384م:

استيلاء تيمورلنك على آذربيجان:

كان لموقع آذربيجان الجيد أكبر الأثر في دفع تيمورلنك للإستيلاء عليها ولما كانت تمتاز به أيضا من ثقل اقتصادي جعله من مراكز التجارة خلال العصور الوسطى . فهي تعد حلقة الوصل للتبادل التجاري بين الشرق والغرب.

وقد سعى تيمورلنك جادا للسيطرة على هذه الطرق التي تمر بها القوافل القادمة من آسيا والمتجهة إلى آسيا الصغرى أو بغداد والخليج العربي أو سيبيريا ، فكان لذلك مقصدا للتجارة من كل مكان[1].

وهناك من المؤرخين من يرى أن عادل آغا الذي كان قد خرج على السلطان أحمد بن أويس بعث إلى تيمورلنك يشجعه على التوجه إلى أذربيجان والعراق لتأديب سلطانها أحمد بن أويس فاستجاب تيمورلنك لدعوته[2].

ومهما يكن الأمر فان تيمورلنك في حملته على إيران (حملة السنوات الثلاث) توجه نحو أذربيجان وقبل وصوله تمكن عادل آغا بمساعدة جنود تيمورلنك من الاستيلاء على همذان وانتزاع تبريز من يد اتباع السلطان أحمد بن أويس.

غزو تيمورلنك لبلاد العراق وولاياتها:

بعد أن أنهى تيمورلنك حملاته العسكرية التي حققت له النصروالنجاح في بلاد خراسان وفارس وآذربيجان، وضع نصب عينيه أن تكون الكرة الجديدة على بلاد ذات أهمية استراتيجية وقيمة اقتصادية، فكانت بلاد العراق وولاياتها المتعددة هي الهدف المنشود.

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية، ج 9، ص 174.

(2) ابن خلدون، كتاب العبر، ج 5، ص 554.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكان تيمورلنك يترقب الفرصة المناسبة لانفاذ ما يراه حقا تاريخيا وهو أن بلاد العراق تعد جزءا من أملاك الجغتائيين وهو الوريث الوحيد الذي ينبغي له امتلاكه والحفاظ عليه[1].

وقد تمكن تيمورلنك من دخول بغداد بسلام ولم يجد من يرده عنها حيث فتح أهلها أبواب المدينة طائعين مستسلمين[2].

ويبدو أن الأهالي فتحوا أبواب المدينة خوفا من تكرار ما تعرضت له بلادهم سابقا في حملة هولاكو المدمرة سنة 656هـ.

ولتكملة فتوحاته قرر تيمورلنك الاستيلاء على ولايات العراق والجزيرة ، واستولى على الحلة والبصرة وتكريت ودقوقا وكركوك واربل والموصل والرها وماردين.

وخلال عام واحد تمكن تيمورلنك من بسط سيطرته المحكمة على العراق والجزيرة وأرمينيا وأصبح بيده التحكم والسيطرة على الطرق التجارية ذات الأهمية الاقتصادية الكبيرة.

1-7-6 غزو تيمورلنك لبلاد الشام:

عرفت الحملة التي غزا بها تيمورلنك بلادالشام بحملة السنوات السبع لأن عملياتها استطالت في جهات الأناضول والشام والعرق فاكتسبت الاسم من عدد السنوات التي أمضاها تيمورلنك في هذه الحملة[3].

زحفت القوات الغازية نحو ملطية[4] وهرب من كان بها فأخذها تيمورلنك وخربها.

وبهذا فان منطقة الحدود الأناضولية-الشامية صارت تحت سيطرة تيمورلنك، فأمن تيمورلنك بذلك الجبهة الشمالية ولا سيما أن با يزيد الأول كان منشغلا عندئذ في محاصرة القسطنطينية.

---

(1) أرمنيوس فامبري، تاريخ بخارى، ص 233.

(2) ابن اياس، بدائع الزهور، ص 344.

(3) إقبال، تاريخ ايران بعد الإسلام، ص 603.

(4) ملطية: مدينة تقع شمال حلب وهي من أعمال ارمينية، القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج 4، ص 131-132.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

زحف تيمورلنك بقواته من عينتاب نحو حلب في ربيع الأول سنة 803هـ واستدرج القوات الشامية للخروج من حلب وهزمهم شر هزيمة بسبب فرق الخبرة والتكتيك الحربي والعسكري.

واقتحم حلب ووقع من العبث والنهب والمصادرة واستباحة الحرمات ما لم يعهد الناس مثله[1].

بعد ذلك سيطر تيمورلنك على حماة وحمص وبعلبك ثم صيدا وبيروت، ونهب الجهات الممتدة على ساحل البحر المتوسط. ثم انطلق بعد ذلك نحو دمشق واستولى عليها وخربها، وبعد اخضاع دمشق اتخذ تيمورلنك عدة اجراءات منها تعيين شاه ملك[2] نائبا لحكم دمشق[3] وأقر قاضيا المذهبين الحنفي والحنبلي في منصبيهما[4].

ثم غادر تيمورلنك أراضي بلاد الشام للتحضير لغزو الهند.

1-7-7 غزو تيمورلنك للهند سنة 800-801هـ/ 1398-1399م:

تطلع تيمورلنك إلى بسط نفوذه على بلاد الهند لما فيها من موارد اقتصادية هائلة. فانتهز فرصة وجود اضطرابات وقلاقل بسبب وفاة فيروز شاه سلطان دلهي سنة 790هـ/1389م، وكان المسوغ الذي اتخذ لغزو الهند هو جهاد الكفار ونشر الإسلام[5].

لذا لا تخفى المصادر التيمورية الاشارة إلى أن حملة تيمورلنك على الهند كانت لطلب الغنائم[6].

ويبدو أنه وجد أن غنى الهند وكنوزها تساعده على تأمين متطلبات الحياة التي اعتادها امراؤه لاسيما وأنه لم يعد يجد شيئابالاتجاه شمالا نحو بلاد الجتة والقبجاق.

---

(1) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 728.

(2) حافظ آبرو، زبدة التواريخ، ص 171.

(3) ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، ص 373.

(4) الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج 2، ص 89.

(5) جاكسون، سلطنة دلهي تاريخ سياسي وعسكري، ترجمة فاضل جتكر، ص 545.

(6) اليزدي، ظفرنامة، ج 2، ص 57.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

احتلال الهند:

أمر تيمورلنك بير محمد جهانكير بقيدة ثلاثين ألفا من فرسان ميسرة الجيش والتوجه إلى الهند .وفي 12 محرم سنة 801هـ عبر تيمورلنك السند واستولى على حصن تلمبي[1] ثم استولى على سرستي وقتل جميع سكانها بحجة أنهم من الهنادكة وتقدم واجتاح فتح آباد[2].

ثم توجه نحو دلهي واجتاحها بسبب سوء ادارة المعركة من قبل حاكم دلهي ووزيره، وسيطر على دلهي بكل كنوزها وكان الجنود لا يستطيعون أن يقطعوا في اليوم مسافة كبيرة بسبب ما كانوا يحملونه من الغنائم[3].

1-7-8 معاركه مع العثمانيين:

معركة أنقرة مع العثمانيين:

كان تيمورلنك يريد السيطرة على الطريق الممتد بين شمال فارس والأناضول ليربط بين المدن الكبرى، وهو الحرير الذي ينتهي عند تبريز والقسطنطينية في الغرب[4].

وكان يطمح أن يصبح سيد العالم ويرى نفسه بوصفه صاحب السلطان المطلق على قبائل الترك وربما كان يطمع بمنصب الخلافة الإسلامية ونقلها إلى سمرقند.

لكل هذه الأسباب بدأ تيمورلنك يوجه انتباهه صوب الشمال في صدام مع الدولة العثمانية الفتية التي كانت تستعد تماما لغزو القسطنطينية بقيادة السلطان العثماني با يزيد الأول.

---

(1) اليزدي، ظفرنامة، ج 2، ص 45.

(2) الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، ج 2 ، ص 188.

(3) اليزدي، ظفرنامة، ج 2، ص 117.

(4) برناردين، الامبراطورية الآسيوية في القرن الرابع عشر، ص 340.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خطة با يزيد:

تتلخص خطة بايزيد في محاولة نقل المعركة إلى خارج منطقته وذلك لتجنيب البلاد الخسارة والخراب مع رفع الحصار عن القسطنطينية للتفرغ لتيمورلنك ثم تأمين طرق المواصلات والامدادات بين بلاده و أوروبا.

خطة تيمورلنك:

- **ارسال عيون لجمع الأخبار عن المنطقة ووضع تصور للمعركة وتقدير الموقف.**
- **التمويه لارباك معلومات عدوه ومفاجأته واستدراجه للمكان الملائم المخطط له سلفا.**
- **التعبئة المعنوية للعساكر معنويا وماديا ونفسيا وتنظيم القوات.**
- **عقد اجتماع الشورى من ذوي الخبرة والدراية لاتخاذ القرار للحرب بحيث يكون القرار جماعيا وفق مخطط وتكتيك عسكري وبعيدا عن القرار الفردي والارتجال.**

ثم أخذ تيمورلنك يستعرض قواته الهائلة والتي بلغت ثلاثمائة ألف فارس وخمسمائة ألف جندى. ونعتقد أن هذا العدد مبالغ فيه جدا، فجيش تيمورلنك لم يبلغ قط حدود مائتي ألف جندي إلا عندما توجه لغزو الصين. أما في معركة أنقرة فان جيش تيمورلنك لم يتجاوز ثمانين ألف.

وظهر الجيش التيموري في أحسن استعداد وأبهى زينة ، فكل فرقة من فرقه لها لون خاص يميزها ويلون راياتها وأسلحتها وثياب الجنود وسروج الخيل بألوان مختلفة [1].

ولما فطن تيمورلنك أان با يزيد وقواته متمركزة في أماكن قد تعودوا عليها، جمع قواده وأصحاب الرأي والمشورة وعرض عليهم تصوراته ووضع اللمسات الأخيرة على خطته واستراتيجيته، فقال لهم: هناك خياران تم تقديرهما للوصول إلى النجاح، فالخيار الأول الانتظار في هذا المكان وانتظار الأعداء لحين قدومهم، وتبرز هنا ميزة وهي استراحة الجند والخيل من مشقة الطريق.

---

(1) اليزدي، ظفرنامة، ج 2، ص 313 – 314.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما الخيار الثاني فهو الالتحام المباشر معهم وارسال فرق مدربة للاغارة والهجوم في اتجاهات مختلفة لنشر الخراب والرعب في صفوف العثمانيين. وسيأتي ذكر سير المعركة والحملة على بلاد العثمانيين بالتفصيل في الفصل الثاني (انجازات تيمورلنك العسكرية).

حقيقة الأمر أن با يزيد لم يكن ندا لتيمورلنك على الرغم من جسارته، فتيمورلنك كان أكثر قدرة على القيادة، فقام بتطويق القوات العثمانية بالالتفاف حول جيش با يزيد، الذي اضطر للانسحاب صوب مدينة أنقرة، ولكنه سرعان ما لقي الهزيمة المنكرة الكاسحة وتم أسر السلطان العثماني خاصة بعدما انضم له لواء عثماني كامل.

وهكذا انتصر تيمورلنك وأصيبت الدولة العثمانية بنكبة أوقفتها مؤقتا عن النمو ودخل تيمورلنك مدينة أنقرة وأرسل فرقا من عساكره إلى مناطق على البحر لاجتياحها ويقال ان بايزيد أوصى تيمورلنك بثلاث وصايا لما كن بالأسر لادارة البلاد:

- ألا يهدم القلاع والحصون لأنها معاقل المسلمين والمجاهدين.
- ألا ينكل بالعثمانيين فانهم درء في الإسلام.
- ألا يترك التتار بهذه البلاد فانهم من أهل الفساد وألا يأمن لهم[1].

نجح تيمورلنك بعد معركة أنقرة في تحقيق أهدافه السياسية والاقتصادية في الوصول إلى القسطنطينية وتقويض أركان الدولتين العثمانية والمملوكية.

ولم تكن في خطط تيمورلنك الاقامة والاستقرار في المناطق التي اجتاحها ، فبعد ما قام عساكره بأعمال السلب والنهب وانزال الدمار التام بهذه البلاد والعمل على اقامة حكم يدين له بالولاء والطاعة، عندها رحل بعساكره إلى عاصمته سمرقند سنة 805 هـ/ 1402م[2].

---

(1) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص 192 – 193.

(2) فامبري، تاريخ بخاري، ص 235.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1-7-9 التجهيز لغزو الصين:

ما أن وصل "تيمور لنك" إلي سمرقند حتى أعد العدة لغزو بلاد الصين في خريف 805هـ/1404م.

كانت علاقة تيمورلنك في بداية حكمه جيدة مع امبراطور الصين، وقد تبودلت السفارات بين الطرفين وعندما أحكم تيمورلنك سيطرته على أجزاء كبيرة من آسيا بدأت العلاقات تتوتر بين الطرفين لا سيما أن تيمورلنك استغل وفاة الامبراطور الصيني الذي قسم امبراطوريته بين أولاده الثلاثه حيث دب الخلاف بينهم بسبب محاولة كل واحد الانفراد بالامبراطورية لنفسه.

ولاشك أن اخضاع الصين تحت حكم تيمورلنك يعد خطوة هامة في مخططه الطموح للسيطرة على العالم.

خرج تيمورلنك بموكبه من سمرقند في 23 جمادى الأولى سنة 807 هـ/ 1404م وكان الفصل خريفا والجو شديد البرد والثلوج تتساقط، فعبر نهر سيحون المتجمد ونزل عند اترار، وحينها اشتدت العلة عليه حتى أعلن طبيبه فضل الله أن حالته قد باتت ميئوسا منها[1]. حيث أصيب بالحمى التي أودت بحياته في 17 شعبان 807هـ / 18 فبراير 1405م، بعد أن خضعت له البلاد من دلهي إلي دمشق ومن بحيرة آرال إلي العراق، وبعد وفاته نقل جثمانه إلي سمرقند حيث دفن في ضريحه المعروفة باسم "كور أمير" أي مقبرة الأمير.

وبعد موته ضعف جانب المغول ولم يعد يخشى على البلاد الإسلامية منهم بل هدى الله سبحانه وتعالى الأجيال التالية منهم إلى الإسلام وجعلهم أنصارا له.

1-8 عقيدته:

تضاربت آراء المؤرخين حول عقيدة تيمورلنك، هل هو مسلم كما يدعى مؤرخوه الفرس؟ أم أنه على دين غير الإسلام كما يرى بعض العلماء المسلمين؟ أو أنه كان يتظاهر بالإسلام كما تذكر المصادر والمراجع الاوروبية؟

---

(1) فامبري، تاريخ بخارى، مصدرسابق، ص 236.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكما اختلف المؤرخون حول عقيدة تيمورلنك اختلفوا حول مذهبه، هل كان سنيا أم شيعيا؟

واهم الآراء التي جاءت بهذا الصدد نعرضها فيما يلي:

رأي المؤرخين الفرس والمغول:

تذكر المصادر الفارسية ان تيمورلنك كان يذكر في كل مناسبة وفي كل مكان انه مسلم وعميق الايمان وكان يحمل دائما نسخة من المصحف للتبرك بها وان تيمورلنك كان يظهر الإسلام ويحضر الجمعة[1]، ويصلي قائماً رغم عرجه، وتقام شعائر الإسلام بالبلاد التي يحكمها[2].

ويؤكد مؤرخ تيمورلنك شرف الدين اليزدي حسن اسلام تيمورلنك وتقربه إلى الله عز وجل وأنه عندما استعد لمحاربة با يزيد في موقعة أنقرة تضرع إلى الله عز وجل يطلب منه العون والمساعدة وأنه أدى الصلاة ودعا الله أن يمده بالعون والنصر المبين[3].

وكان تيمورلنك يعطف على رجال الدين وينعم عليهم بالهبات والاقطاعات لأنهم من حملة القرآن الكريم[4]. كما أن تيمورلنك كان يحرص على تشييد المساجد والمدارس في كل من سمرقند وأصفهان وتبريز[5].

وتختلف نظرة المؤرخ عزيز أردشير الاسترابادي عمن سبقه من مؤرخي الفرس حيث يذكر ان تيمورلنك كان يخالف منهاج الشرع والملة الإسلامية وينسلخ عن شعائر الامانة والديانة ويحرص على هتك الاستار وقتل الاحرار وأنه كان مدعيا الإسلام ويدلل على ذلك بتصرفاته وافعاله التي تؤكد ذلك فعندما عاهد اهالي المدن التي غزاها وضع يديه على القرآن الكريم وأقسم عليه بألا يضرهم ولا يسلك معهم سوى طريق الرحمة والشفقة وأنه لو أصابهم ضرر منه أو من أتباعه يكون قد أشرك بالله

---

(1) الشامي: تاريخ فتوحات تيمور كوركان المعروف بظفرنامة بسعي واهتمام فلكي تاور-براج 1956.

(2) خواندمير المؤرخ الايراني الكبير، دستور الوزراء، ترجمة حربي سليمان، 1980.

(3) اليزدي، ظفرنامة، ص 429.

(4) خواندمير، حبيب السير، ج 3، ص 4.

(5) عباس إقبال، تاريخ ايران بعد الإسلام ، ص 625.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ورسوله، ثم لم يفي بوعده وقسمه بل سلط عليهم أتباعه من المغول الذين قتلوهم وأسروا منهم وطالبوهم بمطالب كثيرة وصادروا ذهبهم ومتاعهم[1].

أما تيمورلنك فيقول عن نفسه : كنت أعود إلى القرآن الكريم لآخذ الفال ولأحتكم اليه في كل الامور وكنت أعمل وفقا لحكم كتاب الله وعندما فتحت المصحف لاحتكم اليه بشأن مقابلة "تغلق تيمور" وجدت سورة يوسف عليه السلام فعملت وفقا لأحكام القرآن الكريم[2].

رأي المؤرخين العرب:

أما المصادر العربية فقد ذكرت أن تيمورلنك كان معتنقا لاحكام الياسة أو اليسق وهي قواعد جنكيز خان وكان يعتمد على تطبيق تلك القواعد في تصريف دولته دون اتباع أحكام الشريعة الإسلامية، وقد دفع ذلك بعض العلماء المسلمين إلى اصدار فتوى تنص على تكفيره وكل من يتبع قواعد الياسة أو اليساق ويفضلها ويقدمها على الشريعة الإسلامية[3].

وافتى كل من الشيخ حافظ الدين البزاري والشيخ علاء الدين محمد البخارى بكفر تيمورلنك[4].

ويذكر الشوكاني أن تيمورلنك كان يتظاهر بالإسلام وشعائره على الرغم من أنه أفنى العالم الإسلامي بدون سبب[5].

والحقيقه انه بالرغم من أن تيمورلنك كان يظهر الإسلام ويحضر الجمعة، ويصلي قائماً رغم عرجه، وتقام شعائر الإسلام بالبلاد التي يحكمهاالا ان جمعا من أهل العلم قد أفتى بكفره؛ لأنه كان يحكم بقواعد جنكيز خان ويجعلها أصلاً في كل الأمور، قال ابن العماد في الشذرات أيضاً: وكان يقدم قواعد جنكيز خان ويجعلها أصلاً، ولذلك أفتى جمع جم من العلماء بكفره مع أن شعائر الإسلام في بلاده ظاهرة.

---

(1) الاسترابادي، يزم ورزم، مطبعة الاوقاف، استانبول، ص 450-454.

(2) تيمورلنك، مذكرات تيمور، ص18.

(3) ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر بانباء العمر، ص 303.

(4) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ص 183.

(5) الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار الطباعة والنشر، بيروت، ص .179

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1-9 مذهبه:

اختلف المؤرخون في مذهبه، أسني هو أم شيعي، والواقع أن تيمور بحكم مشروعه التوسعي ينتمي إلى عقيدة توفيقية، وهو يشبه إلى حد بعيد المشروع المذهبي العثماني، فالأساس العقائدي له يرتكز على المذهب الشافعي[1] الوسطي، فيما ينفتح على التشيع من خلال موالاة علي وأهل بيته من خلال التعلق بأهداب التصوف، وهو معتقد كان شائعا منذ عهد الهيمنة المغولية، ظل يسمى بالفارسية "سنيان دوازده امامي" ومعناه التسنن الاثني عشري الإمامي، لكن هناك شبه إجماع على أن تيمورلنك لم يكن من الناحية العقائدية سنياً ولا شيعياً لأن تصرفاته المتضاربة تفسر حقيقة تدينه، فالدين عنده وسيلة لا غاية، لتسهل سيطرته على الشعوب وتظهره بطلا إسلاميا مدافعا عن الإسلام وهذا ما يرضي ميوله[2].

1-10 شخصيته:

اختلفت نظرة المؤرخين حول شخصية تيمورلنك فيرى فريق أن تيمورلنك كان صاحب عاهة قصابا سفاكا للدماء مجرما طاغية أقام امبراطوريته بالتدمير والسلب والنهب ارضاء لطموحاته ولمطالب أتباعه وجنده.

بينما يرى فريق آخر أن تيمورلنك كان فاتحا عظيما ذو شخصية خارقة موهوبة صنع مجده بنفسه ووصل إلى الشهرة التاريخية بفضل الصفات التي تمتع بها وأنه قائد فذ وأن مواهبه المتعددة هي التي جعلت منه حاكما يشار اليه بالبنان.

ذكر ابن العماد في شذرات الذهب: أن تيمورلنك كان شيخاً طوالاً شكلاً مهولاً طويل اللحية حسن الوجه بطلاً شجاعاً جباراً ظلوماً غشوماً سفاكاً للدماء مقداماً على ذلك، وكان أعرج أصيبت رجله في أوائل أمره، وكان يصلي عن قيام ، وكان جهوري الصوت يسلك الجد مع القريب والبعيد ولا يحب المزاح، ويحب الشطرنج وله فيها يد طولى وزاد فيها جملاً وبغلاً، وجعل رقعته عشرة في أحد عشر،

---

(1) يلماز أوزوتا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سلمان، استانبول، 1988، ص 110.

(2) ابن عربشاه، عجائب المقدور في أخبار تيمور، ص 151-152.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكان ماهراً فيه[1].

بينما يصفه فامبرى بصفات أخرى فيقول: كان تيمورلنك في الأرجح متوسط القامة متين البناء منتصب القامة حتى لا يكاد الناظر اليه يدرك ما كان به من عرج و كان جهوري الصوت حتي ليطغى صوته على ضجيج المعارك ويتجاوز أسماع من حوله[2].

وكان يقرِّب العلماء والصلحاء والشجعان والأشراف وينزلهم منازلهم، ولكن من خالف أمره أدنى مخالفة استباح دمه! وكانت هيبته لا تدانى بهذا السبب، وما أخرب البلاد إلا بذلك! وكان من أطاعه في أول وهلة أمن، ومن خالفه أدنى مخالفة وهن! وكان له فكر صائب ومكايد في الحرب وفراسة قلَّ أن تخطئ، وكان عارفاً بالتواريخ لإدمانه على سماعها، لا يخلو مجلسه عن قراءة شئ منها سفراً ولا حضراً. وكان مغرى بمن له صناعةٌ ما إذا كان حاذقاً فيها. ويبدو أن تيمورلنك كان أمياً لايحسن الكتابةوالقراءة، وكان حاذقاً باللغة الفارسية والتركية والمغولية خاصة [3].

وكان تيمورلنك يفضل اللغة الفارسية على سائر اللغات الأخرى فهو قد اختار عبارة فارسية كشعار له وهي "راستي - رستي"[4].

اتخذ من جنكيز خان قدوة له مما دفعه للتطلع إلى سياسة توسعية هذا إلى جانب طموحاته التي كانت ايضا دافعا آخر إلى تلك السياسة حتى أنه كان يردد أن العالم لا بد أن يحكمه سلطان واحد[5].

---

(1) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ص 100.

(2) فامبري، تاريخ بخارى، ص 239.

(3) ابن عربشاه، عجائب المقدور في أخبار تيمور، ص 316.

(4) جاء في كتاب عجائب المقدور لابن عربشاه ص 315 أن معنى كلمة "راستي-رستي" صدقت ونجوت ويضيف فامبري في كتابه تاريخ بخارى ص 250 أن شارة تيمورلنك كانت ثلاث حلقات مع شعار " راستي – رستي".

(5) تيمورلنك، مذكرات تيمور، ص31.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكان يقدم قواعد جنكيز خان ويجعلها أصلاً، ولذلك أفتى جمع جم بكفره مع أن شعائر الإسلام في بلاده ظاهرة! وكان له جواسيس في جميع البلاد التي ملكها والتي لم يملكها، وكانوا ينهون إليه الحوادث الكائنة على جليتها ويكاتبونه بجميع ما يروم، فلا يتوجه إلى جهة إلا وهو على بصيرة من أمرها! وبلغ من دهائه أنه كان إذا قصد جهة جمع أكابر الدولة وتشاوروا إلى أن يقع الرأي على التوجه في الوقت الفلاني إلى الجهة الفلانية، فيكاتب جواسيس تلك الجهات فيأخذ أهل تلك الجهة المذكورة حِذْرَها ويأنس غيرها، فإذا ضرب بالنفير وأصبحوا سائرين ذات الشمال عرج بهم ذات اليمين ، فلا يصل الخبر الثاني إلا ودَهَمَ الجهة التي يريد وأهلها غافلون[1]!

وقد كشفت حروبه عن عبقرية عسكرية في التخطيط والتعبئة والاستراتيجية والحرب النفسية وفاق تيمورلنك جنكيز خان في عمليات القتل والتدمير[2] حيث كان سفاكا محبا للدماء لا يعرف للعهود والوعود قيمة، يؤمن بأن الغاية تبرر الوسيلة، لذلك لم يكن الجندي الذي يستحق التقدير والتوقير فقد نزل بمستوى سيفه وجعله في الحضيض[3].

وكان تيمورلنك يقول لجيشه في بداية أمره: لا بد أن أملك الأرض وأقتل ملوك الدنيا! فيسخر منه بعضهم ويصدقه البعض لما يرونه من شدة حزمه وشجاعته[4].

وقد أصيب تيمورلنك بالعرج في بداية حياته ، ويذكر تيمورلنك في مذكراته "عندما رأيت أن حاكم سجستان لم يلتزم بعهده لم يكن أمامي من خيار فزحفت ضدهم واشتبكت معهم في القتال وجاء سهم وخرق ذراعي وجاء سهم آخر وأصاب قدمي"[5].

ويذكر أن الذي شاهد تيمورلنك في دمشق أن ركبة تيمورلنك اليمنى عاطلة يعرج عليها عرجا خفيفا ويجرها في قريب المشي ولكنه يحتاج إلى مساعدة من حوله عند طول المسافة.

---

(1) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصدر سابق.

(2) الموسوعة العربية، ص 259.

(3) فرج، قاهر العالم تيمورلنك، ص 107.

(4) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مصدر سابق.

(5) تيمورلنك، مذكرات تيمور أوتزوكات تيمور، ص 18.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويتفق ابن عربشاه وكلافيجو مع المصادر التيمورية في تحديد المكان الذي وقعت فيه الحادثة وهو سجستان ويختلفان مع هذه المصادر في الأسباب التي أدت إلى هذا العرج.

على كل حال هناك سؤال في غاية الأهمية وهو هل أثر هذا العرج على شخصية تيمورلنك؟

والواضح أن الاجابة بنعم اذ وصل شعور الاعتداد بالنفس عند تيمورلنك كما يرى توينبي إلى حد مرضى وانقلب إلى جنون عظمة ظهر في المجازر وأعمال التخريب التي قام بها تيمورلنك بدافع الرغبة بالاساءة إلى الانسانية، فكانت آلام الآخرين تشعره بنوع من اللذة والمتعة وتسهم في ارواء غروره وميله إلى الغطرسة حيث يقول ابن الشحنة وهو شاهد عيان ان من دواعي سروره واغتباطه أن تقام أبراج الرؤوس البشرية اظهارا لعظمته كقائد منتصر[1].

وكتب عنه البعض بالقول: لم يسبق لفاتح آسيوي في التاريخ كله أن أعد مثل هذه الجيوش الهائلة ومن ثم لا يصل لمدارج شهرته وتفوقه أحد وان أفعاله لترتفع إلى مافوق مستوى البشر فقد أنشأ امبراطورية عظمى من تفكيره وتدبيره وحده ولم يخض معركة الا كسبها ولم يقدم على مشروع الا كان النجاح حليفه فهو لم يعرف الهزيمة قط[2].

ومن هنا نرى أن كل ما حققه تيمورلنك من انتصار وتفوق يعزى في الدرجة الأولى إلى ماكان يتمتع به من كفاءة عسكرية لا تنكر بجانب مواهبه الشخصية المتعددة ، وقد اتخذ سبيله إلى المجد الشخصي على جثث ضحاياه وأنقاض المدن الزاهرة التي داسها بحوافر خيله وضربها واعتدى على حرماتها.

وهو بلا شك شخصية متناقضة وتاريخه حافل بالأمجاد العسكرية والخراب لحضارات كانت قائمة وأن أعماله الحربية لم تحول دون مواصلة الحضارة الإسلامية مهمتها التاريخية في آسيا، فقد أقامت دولة سلاطين المغول المسلمين في الهند على يد ظهير الدين بابر في اواخر القرن 11 الهجري أحفاد تيمورلنك وسعى حكام هذه الدولة إلى نشر الإسلام والحضارة على نطاق واسع لم يسبق له مثيل في العصور الإسلامية، ومن المشاهد الباقية إلى يومنا هذا تاج محل.

---

(1) ابن الشحنة، روضة الناظر، ج 12، ص 195.

(2) شيخو، حقيقة تيمورلنك، ص 58، فرج، قاهر العالم تيمورلنك، ص 14.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

11-1 ثقافة تيمورلنك:

اختلفت الاقوال حول معرفة تيمورلنك القراءة والكتابة، وتذهب بعض الروايات إلى أن تيمورلنك كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ولا يعرف العربية ولكنه يعرف من اللغات الفارسية والتركية والمغولية[1].

ويؤكد بارتولد هذا الرأي بالقول أن "تيمورلنك كان أميا لا يقرأ ولا يكتب و لكنه كان على قسط من الثقافة"[2].

لكن مذكرات تيمورلنك تشير في مواضع كثيرة أنه كان يحرر الرسائل إلى أتباعه وأصدقائه ويتلقى منهم رسائل يتولى قراءتها بنفسه دون أية اشارة تفيد أن كتابتها وقراءتها كانت تتم بمساعدة أحد.

ويذهب ولبر إلى القول أن "تيمورلنك كان ضعيف القراءة والكتابة، ويبدو في أحد الرسوم التي رسمها المصورون الهنود وهو يقرأ من رقعة في يده".

ومن هنا فان ما دونته المذكرات من اشارات عن قراءته كتب الحكمة لا أصل له ولم يكن يفقه شئ من العربية الا ما يصلي به من القرآن الكريم ومما يدل على ذلك أنه عندما اجتمع تيمورلنك بوفد علماء دمشق كان الفقيه عبد الجبار بن النعمان يقوم بمهمة الترجمة بين علماء دمشق وتيمورلنك وهذا يؤكد أن تيمورلنك لم يكن يعرف العربية ، فلو كان يعرفها لتحدث مع العلماء مباشرة دون الحاجة إلى مترجم[3]، وقد سمع وهو يتكلم الفارسية خلال المناقشات التي دارت مع علماء حلب.

---

(1) ابن عربشاه، عجائب المقدور في أخبار تيمور، ص 280-281.

(2) برتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، مرجع سابق.

(3) ابن عربشاه، عجائب المقدور في أخبار تيمور، ص 145.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا وقد التقى به ويصفه وصفا دقيقا بالقول: "كان تيمورلنك من زعماء الملوك وفراعنتهم والناس ينسبونه إلى العلم وآخرون إلى اعتقاد الرفض لما يرون من تفضيله أهل البيت وآخرون إلى انتحال السحر، وليس ذلك كله في شي، إنما هو شديد الفطنة والذكاء كثير البحث واللجاج بما يعلم وما لا يعلم"[1]، ولكنه "كان قوي الحافظة قليل الحظ من العلم"[2].

وكان يحب مجالسة أرباب الأخبار والقصص التاريخية الذين يمتلكون المعلومات والأسرار وقصص الأنبياء والأولياء وأخبار السلاطين القدماء وأخبار الحوادث التي وصلوا بها إلى السلطنة وأسباب زوال الدول[3]، ودارت بينه وبين ابن خلدون في دمشق مناقشة تاريخية حول الاصل الذي ينحدر منه الملك بختنصر ورجح تيمورلنك أن يكون منحدرا من أصل فارسي بينما أصر ابن خلدون على أنه من ملوك بابل المتأخرين[4]، ويعتقد بارتولد أن تيمورلنك ربما كان مطلعا على تاريخ الاسكندر المقدوني فقد نسبت اليه العبارة التي قالها الاسكندر: "لا يستحق العالم كله ليملكه حاكمان"[5].

لا شك ان تيمورلنك كان عارفا بالتواريخ حتى صار يرد على القارئ اذا أخطأ في شيء وكانت الفارسية هي اللغة التي يقرأ له بها[6]، وقد أدهشت معلومات تيمورلنك التاريخية والجغرافية لبعض المناطق في المغرب ابن خلدون عندما طلب من ابن خلدون أن يحدد له مواقع كل من طنجة وفاس وسبتة وسجلماسة قبل أن يطلب من منه أن يكتب له بلاد المغرب كلها قراها وأمصارها وأنهارها وجبالها حتى كأنه يشاهدها[7] وقد أشار أيضا لي كون اسبانيا بلد بعيد.

---

(1) ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، ص 382.

(2) دائرة المعارف الإسلامية، ص 163.

(3) تيمورلنك، مذكرات تيمور أوتزوكات، ص72.

(4) ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، ص 373.

(5) بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص 228.

(6) ابن عربشاه، عجائب المقدور في أخبار تيمور، ص 278.

(7) ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، ص 370.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعلى الرغم من ثقافة تيمورلنك الحربية وتعلقه بأمور الحرب والقتال الا أن ذلك لم يمنعه من مجالسة العلماء ومناقشتهم ومباحثتهم في مختلف القضايا التاريخية والدينية وتقريب الحكماءوالأطباء والمنجمين والمهندسين الذين يعدهم ضروريين لرفعة السلطنة[1] وكان مغرما بأرباب الصناعات والحرف حيث جلبهم من كل البلاد التي غزاها، كما أمر بنقل مكتبة بأكملها على متون البغال من بورصة[2] إلى سمرقند.

وينسب إلى تيمورلنك وضع مؤلف يشتمل على مذكراته وعلى الانظمة والأساليب الادارية والعسكرية التي طبقها في امبراطوريته وقد اشتمل القسم الأول من المذكرات على اسم الملفوظات وضم القسم الثاني على الأنظمة ووصف للمؤسسات العسكرية والادارية المسماة تزكات.

وتنبع أهميتها في كشف سمات تيمورلنك النفسية ومعرفة الأسباب الحقيقية التي أثرت في سلوكه في المجالات السياسية والعسكرية المختلفة وشرح الكثير عن حياته وشخصيته وأعماله وحروبه بشكل واضح وجلي لا يصادف في بقية المصادر التي تحدثت عن تاريخ تيمورلنك[3]، وكانت كتابتها بأسلوب تركي رصين على حد قول فامبري، كما يرجع اليه الفضل في اشاعة الاهتمام الجدي بالحركة العقلية والعلمية حتى بلغ بذلك العنصر المغولي (التركي) درجة من العزة لم يعرفها من قبل[4].

12-1 هواياته:

كان تيمورلنك ماهرا في لعب الشطرنج وكان له شطرنج خاص زاد فيه صفا فأصبح 10x11.

وزاد في هذا الصف جملين وزرافتين ودبابتين وفرسا وأشياء أخرى[5].

---

(1) تيمورلنك الملك المغولي، مذكرات تيمور أوتزوكات، ص72.

(2) بورصا: هي عاصمة العثمانيين آنذاك وقد نهبها تيمور اثر انتصاره في معركة أنقرة وحمل المكتبة مع الأبواب انظر كلافيجو، سفارة الى تيمورلنك، ص 398.

(3) فامبري، تاريخ بخارى، ص 255.

(4) بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص 226.

(5) ابن عربشاه، عجائب المقدور في أخبار تيمور، ص 280.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويصف كلافيجو الألعاب المختلفة التي جرى عرضها أمام تيمورلنك وكان يتسلى بمشاهدتها منها المصارعة بين رجلين وكان كل واحد من هذين المتصارعين يرتدي ثوبا من الجلد. كما كان يشاهد الفيلة المطلية جلودها بلأخضر والأحمر والألوان الأخرى وعلى ظهر كل واحد منها هودج وكانت هذه الفيلة قد دربت لتأدية بعض الألعاب الرياضية وفي الوقت نفسه كان هناك حشد من الموسيقيين الذين يغنون بأصوات مرتفعة ولعبوا على مختلف الأدوات الموسيقية[1].

13-1 وفاته:

في عام 803هـ/1402م انقض تيمورلنك على بلاد الشام انقضاض الصاعقة واستباح مدينة حلب ثلاثة أيام وقتل من سكانها نحو عشرين ألفا وخرّب مساجدها ثم اجتاح مدن حماه وحمص وبعلبك وعاث فيها فسادا[2].

وصلت أخبار هذه الطائفة المغولية المدمرة إلى القاهرة فخرج السلطان الناصر فرج بن برقوق منها على رأس جيشه متجها نحو الشام ووصل إلى دمشق واشتبك الجيش الإسلامي مع جيش المغول في معارك جزئية ثبت فيها الجيش الإسلامي أمام هجمات المغول الشديدة وبرهن على مقدرته الحربية.

ثم بدأت مفاوضات الصلح بين الطرفين غير أن السلطان فرج اضطر إلى مغادرة الشام لإحباط مؤامرة في مصر دبرت لخلعه فرأى علماء دمشق وفقهاؤها ومعهم ابن خلدون المؤرخ العربي المشهور رأوا أنه لامناص من التماس الأمان والصلح مع تيمورلنك فتظاهر بإجابة ملتمسهم ولكنه غدر بهم وأسلم المدينة للنيران.

وبعد أن عاد الناصر فرج إلى القاهرة أرسل رسالة شديدة اللهجة إلى تيمورلنك يخبره فيها أنه عائد إلى الشام ليطرده منها وأنه لم يترك الميدان خوفا منه ولا ضعفا عن منازلته ولكن أمورا داخلية اضطرته إلى الرجوع إلى عاصمة ملكه وأنه سوف يعود إلى ميدان القتال بمجرد انتهاء مهمته في القاهرة.

---

(1) كلافيجو، سفارة إلى تيمورلنك، ص 282.

(2) ابن عربشاه، عجائب المقدور في أخبار تيمور، مصدر سابق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد أشعلت هذه الرسالة نار الحقد في نفس تيمورلنك فصمم على الانتقام[1].

ولكنه غادر الشام قبل أن ينفذ ما صمم عليه، ولا يستبعد المستشرق الألماني (بروكلمان) أن يكون تيمورلنك قد تذكر بطولة جيش مصر في مقاومة جيش هولاكو وسحقه فأراد أن لا يعرض جيشه لما تعرض له جيش المغول على عهد هولاكو.

وقبل أن يغادر تيمورلنك دمشق نقل صفوة علمائها ونخبة من صناعها وأهل الفن فيها إلى عاصمته (سمرقند) فبدأت الصناعات الدقيقة والفنون الجميلة تزدهر هناك وانحطت الصناعة في دمشق، وندرت الفنون الجميلة.

ولم يقدر لتيمورلنك أن يعود إلى بلاد الشام مرة أخرى فقد أمضى العامين التاليين في غزو آسيا الصغرى وتمكن من هزيمة السلطان العثماني با يزيد الأول وأسره وشغل بذلك عن مهاجمة الشام، ما أن وصل "تيمور لنك" إلي سمرقند حتى أعد العدة لغزو بلاد الصين في خريف805هـ/ 1404م.

كانت علاقة تيمورلنك في بداية حكمه جيدة مع امبراطور الصين، وقد تبودلت السفارات بين الطرفين وعندما أحكم تيمورلنك سيطرته على أجزاء كبيرة من آسيا بدأت العلاقات تتوتر بين الطرفين لا سيما أن تيمورلنك استغل وفاة الامبراطور الصيني الذي قسم امبراطوريته بين أولاده الثلاثه حيث دب الخلاف بينهم بسبب محاولة كل واحد الانفراد بالامبراطورية لنفسه.

ولاشك أن اخضاع الصين تحت حكم تيمورلنك يعد خطوة هامة في مخططه الطموح للسيطرة على العالم.

خرج تيمورلنك بموكبه من سمرقند في 23 جمادى الأولى سنة 807 هـ/ 1404م وكان الفصل خريفا والجو شديد البرد والثلوج تتساقط، فعبر نهر سيحون المتجمد ونزل عند اترار، وحينها اشتدت العلة عليه حتى أعلن طبيبه فضل الله أن حالته قد باتت ميئوسا منها[2]. حيث أصيب بالحمى التي أودت بحياته في 17 شعبان 807 هـ/ 18 فبراير 1405م، بعد أن خضعت له البلاد من دلهي إلي دمشق

---

(1) تيمورلنك، الملك المغولي، مذكرات تيمور أوتزوكات تيمور، مصدر سابق.

(2) فامبري، تاريخ بخارى، ص 236.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن بحيرة آرال إلي العراق، وبعد وفاته نقل جثمانه إلي سمرقند حيث دفن في ضريحه المعروفة باسم "كور أمير" أي مقبرة الأمير .

وبعد موته ضعف جانب المغول ولم يعد يخشى على البلاد الإسلامية منهم بل هدى الله سبحانه وتعالى الأجيال التالية منهم إلى الإسلام وجعلهم أنصارا له.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

إنجازات تيمورلنك

2- 1 انجازات تيمورلنك السياسية والتنظيمية والإدارية:

لم يكن الفضل فيما أصاب تيمورلنك من النجاح لشجاعته الذاتية وحذقه الحربي الذي لايختلف فيه اثنان فقط، بل كان الفضل فيه أيضا لحذقه السياسي والاداري وأن مجموعة قوانينه التي سنها لنظام الجيش وتقرير العدالة وترتيب الشؤون المالية تدل على اتساع ودقة ملاحظاته مع رجاحة عقله ورشيد استنتاجاته، وكان أعظم ما يعتمد عليه في الحكومة والسياسة الخارجية هو تقارير رسله ومندوبيه الذين كان يرسلهم إلى كل مكان لابسين ملابس الحجاج أو الدراويش وكانت جواسيسه تأتيه بأخبار أعدائه وحالتهم من القوة والضعف أيام السلم والحرب، وكان يأمر بتدوين الكتب والرسائل والتقارير الخاصة بأحوال بلاده وأحوال غيرها لمراجعتها عند اللزوم[1].

لقد امتاز تيمورلنك - كقائد حربي بارز- بأنه كان يترصد أحوال وتطورات جيرانه ويتحين الفرص الملائمة للانقضاض عليهم دون تردد أو تأخير بل كان يستعين بجواسيسه الذين يرسلهم إلى تلك البلاد لتهيئة الفرصة للعدوان المباغت عليها.

وبالرغم من أن تيمورلنك كان مهتما اهتماما أساسيا بالفتوحات والتوسع العسكري ومرجع ذلك إلى طبيعته البدوية، فلم يكن بالرجل المدني الذي يعرف طبيعة الدولة، فلم يألف بيئة معينة يستقر فيها ولكنه كان رحالة وكان محاربا جوابا يتنقل بين الآفاق بحد سيفه من موقعة إلى أخرى، لا يكاد ينتهى من حرب الا ليتهيأ ويعد عدته لحرب تالية وهكذا.

إلا أن تيمورلنك لم يهمل السياسة الخارجية والداخلية ، والتنظيمات الادارية لدولته، وقد كشفت حروبه عن عبقرية عسكرية في التخطيط والتعبئة والاستراتيجية والحرب النفسية سبقت أهل عصره، فلم يسبق لفاتح آسيوي في التاريخ كله أن أعد مثل هذه الجيوش الهائلة، ومن ثم لا يصل

(1) حسين لبيب، تاريخ الأتراك العثمانيين، ص 37.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لمدارج شهرته وتفوقه أحد فقد أنشأ امبراطورية عظمى من تفكيره وتدبيره وحده ولم يخض معركة الا وكسبها ولم يقدم على مشروع الا كان النجاح حليفه فهو لم يعرف الهزيمة قط.

وكان لتيمورلنك سياسته الخارجية وأهدافه الاستراتيجية والتكتيكية الخاصة بكل معركة

1-1-2 سياسته الخارجية في معاركه مع الجتة لتأمين حدوده الشرقية[1]:

- استطاع بالتخطيط السليم حيث اختار الزمان والمكان المناسب للهجوم على خصمه أن يكسب كل معاركه مع الجتة.
- اتخذ سياسة التعمية والمخادعة على خصمه فكان لها مردود جيد في تحقيق انتصاره.
- استطاع تيمورلنك بامكانياته القليلة شن حرب نفسية على عدوه لايهامه في أكثر من مكان بأن لديه قوات كبيرة.
- نجح في خلق انسجام بين صفوف أتباعه عن طريق معرفة نفسية امرائه، فتبع سياسة الاغراء بالأموال والهدايا والوعود والمناصب، وبالفعل كان رجال تيمورلنك أكثر اخلاصا لسيدهم وكانت لديهم الرغبة في تخليص بلاد ما وراء النهر من قبائل الجتة.

2-1-2 سياسته الخارجية في غزواته لبلاد فارس وخراسان:

- رغبة تيمورلنك في ضم هذا الاقليم الهام إلى سلطته فباستيلائه عليه يكون الطريق مفتوحا أمامه للتوجه إلى العراق وقد كان له ما أراد[2].
- انتهز تيمورلنك فرصة ضعف حكام ولايات خراسان وانشغالهم بالتنازع فيما بينهم، وعدم تقديرهم للخطر المحدق بهم أدى إلى عدم القدرة على مقاومة ومواجهة جيش تيمورلنك القوي.

---

(1) رضا بازوكي، تاريخ ايران، ص 189.

(2) اليزدي، ظفرنامة، ص 385.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- كانت خطة تيمورلنك العسكرية ذات شقين: الشق الأول منها المدمر الحاسم في حالة احساسه بمقاومة جادة كما حدث في هراة وترشيز وسجستان ومازندران، أما الشق الثاني فكان يلتزم فيه بالهدوء والتحلي بالصبر والتريث في الهجوم وذلك عند مواجهة خصم ضعيف يعرف سلفا أنه غير قادر على الصمود أمامه وكان يبغي إراحة جيشه وعدم الاستعجال في القتال حتى يحافظ على قوته من حيث العدد والعدة كما حدث في كوسيه وسرخي وكابلستان وقهلفة[1].

- كان هدف تيمورلنك من تلك المعارك السيطرة على هذا الجزء الهام، فأصبحت فارس الجنوبية جزءا من أملاكه فتحقق له بذلك هدفه الكبير باعادة تشييد امبراطورية جنكيز خان، كما أن هذا النصر سهل له مهمة توجهه إلى العراق والقضاء على حكامها من آل جلاير[2].

- رغبة تيمورلنك الجادة في توحيد آسيا الوسطى تحت حكومة قوية والاستغلال الجيد لحالة التفكك والانقسام بين حكام دويلات خراسان حيث استخدم الأسلوب السياسي والقوة العسكرية. فالذي يعلن ولاءه وطاعته يتركه على دولته والذي يعلن تمرده وعدم ولاءه يستخدم القوة العسكرية وينهي حكمه ويعين واليا من قبله بعد تدمير ولايته.

- فوق كل ذلك أمر تيمورلنك بنقل وترحيل العلماء والفنانين وأصحاب الحرف من فارس إلى سمرقند ليجعلها عاصمة آسيا الأولى[3].

---

(1) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص 57.

(2) عباس إقبال، تاريخ ايران، ص 543.

(3) اليزدي، ظفرنامة، ج 1 ص 618.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3-1-2 سياسته الخارجية في غزو العراق:

- بعد انهائه حملاته العسكرية على بلاد خراسان وفارس وآذربيجان وضع تيمورلنك نصب عينيه أن تكون الكرة الجديدة على بلاد ذات أهمية استراتيجية وقيمة اقتصادية وثقل سياسي وديني واقتصادي، فكانت بلاد العراق وولاياتها هي الهدف المنشود.

- كان تيمورلنك يود اعادة مجد الخلافة الإسلامية فكان أول من طمح في الخلافة من الأعاجم بعد سقوط بغداد سنة 656هـ/1255م.

- خطط تيمورلنك للسيطرة على طرق العراق التجارية ولا سيما أن نهري دجلة والفرات هما من أهم الطرق الموصلة بين الشمال والجنوب حيث كانت البضائع القادمة إلى بغداد والخارجة منها تنقل عبر نهر دجلة حيث كان هذا النهر يمثل أهم الطرق المائية التي تصل العراق بالعالم الخارجي[1].

- رأى تيمورلنك أن سيطرته على طرق العراق تمكنه من السيطلرة على طرق الحج إلى مكة المكرمة حيث أن أحد هذه الطرق يبدأ في الكوفة[2]. ويبدأ الآخر من البصرة[3] ويلتقيان عند ذات مرق شمال شرقي مكة المكرمة[4] وبذلك يمكن لتيمورلنك أن يحول مدن ما وراء النهر إلى مراكز تجارية هامة وفرض سيطرته كاملة على مداخل ومخارج تلك الطرق.

4-1-2 تنظيمات الدولة التيمورية الإدارية والمالية والعسكرية:

4-1-2 -1التنظيمات الإدارية:

---

(1) كي لسترنج، بلدان الخلافة، ص 122.

(2) ابن عبد الخالق البغدادي، ج 3 ص 187.

(3) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 430.

(4) كي لسترنج، بلدان الخلافة، ص 112.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولا: نظام الحكم:

حرص تيمورلنك حرصاً بالغاً على التمسك بالياسا تمسكاً شديداً وأصر عليها برغم معارضة شيوخ المسلمين في ذلك[1].

إلى جانب هذا كان تيمورلنك ابن عصره فلم يختلف عن بني جيله فقد عاش في ظروف أينعت فيها أشكال الإقطاع التقليدية لذا كان الحامل النشط لها، ومن ثم جمع الأملاك الإقطاعية في دولة إقطاعية واحدة[2]، وبرغم تصريح تيمورلنك أنه قد اتخذ الشريعة الإسلامية التي كانت تسود في ما وراء النهر قبل قدوم المغول أساساً للدولة[3]، فإن هذه الشريعة ظلت في الغالب منطلقاً نظرياً وظلت شريعة الياسا التي وضعها جنكيز خان مقدمة في التطبيق على الشريعة الإسلامية في كثير من المجالات ولاسيما المجال العسكري[4] حيث أوجد نظاماً من الانضباط والطاعة مما أسبغ على نظام حكمه طابعاً دكتاتوريا لا سبيل إلى إنكاره[5]، ولم النظم الإدارية التي تدعى توزكات والتي ينسب وضعها إلى تيمورلنك نفسه إلا أنها اضافات على الشريعة المغولية.

ثانيا: المبادئ التي اتخذها تيمورلنك دستوراً لشئون دولته:

ذكر تيمور في مذكراته: "وليكن معلوماً بالنسبة لأبنائي ولأحفادي أنهم إذا ما التزموا مثلي بالاثني عشر ترتيباً التي وضعتها بمنزلة دستور لتصرفاتي في الحصول على العظمة الملكية التي تمكنت بمساعدتها من الاستيلاء على المماليك وحكمها وإذا عملوا أيضاً وفقاً لهذه الأحكام فإنهم سوف يحافظون على عظمتي وعلى ممالكهم" [6].

وتتخلص هذه المبادئ بما يلي:

---

(1) فامبري، تاريخ بخارى، ص 215.

(2) يو – يكوبوفسكي، تيمورلنك، ص128.

(3) تيمورلنك، مذكرات تيمور، ص55.

(4) فامبري، تاريخ بخارى، ص215.

(5) تيمورلنك، مذكرات تيمور، ص54.

(6) يو – يكوبوفسكي، تيمورلنك، ص 129.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1. من الضروري أن تكون كل الأوامر والأفعال عن الحاكم نفسه من الآخرين لكي لا يكونوا مساوين له.
2. يجب أن يلتزم الحاكم بالعدل[1]، وأن يتنبه في انتفاء وزرائه مراعياً شروط العدالة والإنصاف لأن الوزير الظالم سوف يترتب عليه انهيار لواجهة السلطة.
3. من الضروري أن تكون أوامر الحاكم ونواهيه نافذة ولا يحق لأحد حق توقيفها أو تغييرها إلا بأمر آخر صادر من الحاكم.
4. يجب ألا يقوم الحاكم بإتخاذ أي إجراء ما لم يكن ضامناً له النجاح حتى لا يتعرف ما يصدره من أحكام إلا الاضطراب.
5. يجب طاعة الأوامر الصادرة عن الحاكم وتنفيذها فوراً ولا يحق لأحد مناقشتها حتى لو سببت أضراراً أو مساوئ أثناء تنفيذها وتطبيقها، ويبدو أن هذا المبدأ طبق في الشؤون العسكرية بما تطلب الطاعة العمياء ومناقشة الأوامر بعد التنفيذ.
6. من الكياسة أن لا تسلم مقاليد السلطة إلى يد غريبة لأن العالم ملئ بالغدر وللسلطة إغراءاتها ويخشى من أن يصل إليها شخص قوي فيستولي على العرش.
7. على الحاكم أن يصغي إلى آراء أتباعه فما كان منها صالحاً أودعه في خزانة قلبه ومن ثم يقوم بالاستعانة بها وقت الحاجة.
8. فيما يتعلق بأمور جنوده ورعاياه والدولة يجوز ألا يعول كثيراً لبعض الوشايات سواء كانت صالحاً أو سيئة ويكون حذراً في إبرام قراره ومترويا إلى أن يظهر الصدق.
9. يجب أن يكون لسلطته هيبتها عند جنوده ورعاياه حتى لا يتجرأ أحد على عصيان أوامره وأحكامه.
10. على الحاكم أن لا يتراجع عن أمر أصدره لأن الحزم والتصميم في الأوامر تشكل القوة الكبرى للحاكم وتكون له كالكنز أو كالجيش.

(1) كيف يطلب تيمورلنك وجوب العدل على غيره ولم يطبقها على نفسه حيث يظهر في قواعده روح الاستبداد والفردية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

11. يجب على الحاكم أن يحترس من أن يكشف قراراته ومراسيمه لأحد قبل أن يقوم هو بنشرها وعليه إذا ما اتخذ قراراته أن لا يتخذ له شريكاً أو زميلاً يشاركه في حكم دولته.
12. على الحاكم أن يكون على دراية بالناس الذين يحيطون به وعليه أن يعمل بحذر وحيطة مع ضرورة مراقبة بعضهم بعضاً بصورة مستمرة[1].

ثالثا: المؤسسات الإدارية:

الوزراء:

حدد تيمورلنك تسع صفات يجب أن تتوافر في الوزير وهي:

الأصالة والثبات والنجابة، والفهم والكياسة والعقل، والقدرة على أن يعيش بوئام مع الجنود والرعية، الصبر في ظل المصاعب والشدائد والقدرة على توفير السلم والاستقرار[2].

وكان على رأس الإدارة المركزية في العاصمة سمرقند سبعة من كبار الموظفين يحمل كل منهم لقب وزير ويتولى كل منهم ناحية من نواحي الإدارة.

منهم أربعة كانوا يقومون بأعمال ديوان السلطنة كالتالي:

1. وزير البلاد والرعية: ووظيفته الإشراف على مهام ومعاملات البلاد وعلى أحوال الرعية وإيصال ذلك إلى تيمورلنك كما يتم الإشراف على أحوال الزراعة والإنتاج والضرائب إلى خارج البلاد.
2. وزير الجيوش: وكانت وظيفته أن يعرض على تيمورلنك مقدار الميزانيات المستحقة لرواتب الجيش والعيينات الممنوحة إلى العساكر والإطلاع على أحوال الجند وأحوالهم حتى لا يتعرضوا للضيق أو الظلم ويرفع بتقاريره عن أحوال الجيوش وقوتها إلى تيمورلنك.
3. وزير الساير والهواي: ومن مهامه الإشراف على أموال الغياب والفارين والموتى وأن يتسلم أموال الزكاة والضرائب على المواشي والمراعي وعلى خزانات المياه والضرائب على البضائع المجلوبة والبضائع الذاهبة وتبقى في عهدته أموال الموتى والغياب من أجل الورثة الشرعيين.

---

(1) تيمور، مذكرات تيمور، ص78-79.

(2) تيمور، ـ، ص 86.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4. **وزير دوائر بلاط السلطنة: ومن مهامه الإشراف على المداخل والمخارج وعلى توزيع النفقات للعامة[1]. ويبدو أن وزراء تيمورلنك كانوا وزراء تنفيذ وليس تفويض بسبب دكتاتوريته.**

أما الوزراء الثلاثة الآخرون فكانوا يتولون الإشراف على الحدود أي الثغور وعلى الولايات التابعة لتيمورلنك ومن مهامهم تنظيم معاملاتها وشؤونها المالية[2].

وكان لتيمورلنك مجلسان خاص وعام ويعد المجلس الخاص أعلى المؤسسات الإدارية في الدولة ويعقد برئاسته ويضم عدداً من كبار الأمراء الذين يطمئن إلى إخلاصهم وخبرتهم ويتولى ضبط أعمال المجلس كاتب السر[3]، يعهدإليه بتسجيل ما يجري فيه من مداولات والمحافظة على بقائه سريا .

أما المجلس العام فكان له كاتبان أو منشئان ومهمتهما تدوين القرارات التي تيم مناقشتها في المجلس ويتم إدخالها في مذكرة الوقائع إلى تيمورلنك[4]، وكان في بلاط تيمورلنك مترجمة وإمامه الخاص[5]، وأطباؤه[6]، ومنجموه[7].

---

(1) تيمورلنك، المصدر السابق، ص103 – 104.

(2) ويذكر خواندمير في كتابه دستور الوزراء ص 394 بعض اسماء ممن تم تعيينهم في بعض المناصب الوزارية وهم: الوزير عماد الدين مسعود السمناني وقد عمل في الوزارة لتيمورلنك لفترة طويلة وتوفي أثناء حصار بغداد بسم أصابه، والوزير جلال الإسلام وقد تم الوشاية به عند تيمورلنك فعزله وأودعه السجن فطعن نفسه في السجن بخنجر محاولاً الانتحار. والوزير الشيخ خسرو شاهي. والوزير كمال الدين محمود شهاب وكان يعد من الوزراء العظام لتيمورلنك والوزير غياث الدين سالار السمناني وقد تولى إدارة عظائم المسائل الديوانية.

(3) كاتب السر ويسمى منشئ ديوانه وقد تولاه مولانا شمس الدين قاضي زمانه، ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص 293.

(4) تيمورلنك، مذكرات تيمور، ص 104-105.

(5) هو عبد الجبار بن النعمان المعتزلي، ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص 293.

(6) منهم فضل الله وجمال الدين رئيس الطب بالشام، ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص 293.

(7) منهم أحمد الطيب النحاس، ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص 294.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القضاة:

كان هناك نوعين من القضاء، القضاء الشرعي، والقضاء العسكري ويتولى الأول الفصل في القضايا الدينية بحسب أحكام الشريعة الإسلامية ويتناول الثاني الفصل في القضايا العسكرية أو بين الجند وغيرهم من الناس بحسب تعاليم الياسا[1].

وعادة يجري تعيين القضاة من قبل تيمورلنك وحيثما سافر في البلاد الأجنبية كان قضاته يرافقونه ويتولون تطبيق القوانين على الجميع في كل من المعسكر والقصر وبالنسبة للأقاليم الخارجية يجري إرسال القضاة الذين يتولون تطبيق العداالة ويستمعون إلى الشكاوى والقانون الذي يطبقونه هو بحسب الطريقة التالية:

فبعض القضاة اختص بإصدار الأحكام المتعلقة بالقضايا الإجرامية وسفك الدماء الناجم عن الخصومات في حين يتولى بعض القضاة الآخرين معالجة ما يتعلق بالمشاكل المالية التي يمكن أن تؤثر في الحكومة وهناك القضاة المسؤولون عن التعامل مع مشاكل الحكومة وحماية الذين يسكنون في المدن وفي المناطق وخارجها والذين يأتون لعرض قضاياهم وشكاويهم على تيمورلنك، وكانوا حيثما نصب المعسكر الملكي يعقدون جلسات القضاء، وكل فرع قضاء في إدارته الخاصة به حيث هناك ثلاث خيام كبيرة قد نصبت إليها يحضر جميع الخصوم والمجرمين حيث يجري سماع القضايا وإصدار الأحكام ولكن قبل صياغة ذلك وعمله يجب أن يذهبوا إلى تيمورلنك لعرض جميع القضايا عليه وحينها يجري تنفيذ الأحكام ستة في ستة وأربعة في أربعة، (على ستة بالتوالي أو أربعة) بعد المصادقة عليها من قبل تيمورلنك، ولما كان يجري تدوين أي مرسوم كتابة يأمر القضاة كتابهم بكتابة المرسوم بأحرف كبيرة، وتكون الكتابة موجزة وما إن يتم الفراغ من الكتابة حتى يجري نسخ المرسوم ووضعه موضع التنفيذ ويختم بالختم الفضي في أسفلة ثم حينها يأخذه موظف آخر ويسجله في دفتر سجلاته ثم يعاد بعد هذا إلى القاضي الذي يقوم أخيراً بوضع خاتمه الخاص بعد تحييره وإذا كان أربعة أو خمسة من هذه المراسيم قد أنجزت يأخذونهم يختمونهم بختم تيمورلنك الرسمي الخاص الذي نقش عليه الشعار المعلن لهذه الكلمات هذا هو الحق وجاء هذا النص منقوشاً حول ثلاثة دوائر[2].

---

(1) شهاب، تيمورلنك، ص410.

(2) كلافيجو، سفارة إلى تيمورلنك، ص 321 – 322.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويصف كلافيجو الذي زار سمرقند كيف كانت تطبق العدالة العالية بقوله: "جرت العادة بين المغول بتنفيذ حكم الإعدام بالشخصية ذات المقام السامي عن طرق الشنق لكن بالنسبة للناس العاديين كانوا يعدمونه بقطع رؤوسهم لأنهم اعتقدوا أن الإعدام بالسيف فعل شنيع وقضية فيها إهانة عظيمة"[1]، ويظهر في هذه الناحية تأثير شريعة الياسا التي كانت تعتبر دماء الأعيان هي دماء مقدمة لا يجوز إراقتها على الأرض[2].

ويشير تيمور في مذكراته عن عقوبات أولاده وأحفاده وأعوانه وأمرائه ووزرائه بالقول: "لقد أمرت أنه إذا ما تطلع أي واحد من أولادي إلى مرتبة السلطنة ينبغي عدم إعدامه ولا أن يوضع بالأغلال ولا أن يؤذوه في أعضائه أو أطرافه بل ينبغي أن يحبسوه في السجن إلى أن يعود عن طرقه الشريرة حتى لا تقوم الحروب الأهلية ولا ينتشر الفساد في الدولة وإذا ما ثار واحد من أحفادي أو أقربائي بعمل عدواني ضدي أمر أن يجرد من مرتبته وتخفض مرتبته إلى منزله دورويش، وإذا ما تمرد الأمراء الذين هم عماد السلطنة ورفضوا الطاعة وقت العمل أمر بأن يجري عزلهم من قيادتهم وتجريدهم من سلطاتهم ومن مراكزهم السامية وإذا تبين أحدهم مجرم قد ينجم عنها صراع داخلي ينبغي تسليمه إلى المحاكمة من قبل نظرائه وأما الوزراء فأمر إذا ما عدوا مجرمين بجرم الخيانة يحاكمون من قبل القضاء"[3].

ويصف كلافيجو محاكمة عمدة مدينة سمرقند وكان اسمه (Dina) وقد أتهم بالظلم والإساءة للناس عندما تركه تيمورلنك والياً على سمرقند أثناء خروجه للغزو وبعد عودته أمر بإحضاره وحكم عليه بالموت شنقاً وشارك بالمصير نفسه صاحبه برندي (Burundey) وهو شخصية ذات امتياز في البلاط حاول التوسط عند تيمورلنك للحصول على العفو عن العمدة كما أمر تيمورلنك بإعدام احد الجزارين لأنه ضبط وهو يبيع اللحوم بسعر مرتفع، وأمر بإنزال العقوبات على عدد من الحذائيين الذين باعوا بضاعتهم وغشوا الناس وخدعوهم وتقاضوا منهم أرباحاً كثيرة مقابل مصنوعاتهم[4]،

(1) كلافيجو، المصدر السابق، ص 575.

(2) المغول في التاريخ، القاهرة، 1960، ص 175.

(3) تيمورلنك، مذكرات تيمور، ص83.

(4) كلافيجو، سفارة إلى تيمورلنك، ص 274 – 275.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويبدوا أنه كان هناك نوع من الرقابة على الأسواق وكان يشرف على شؤون القضاء الشرعي أحد أفراد آل البيت ويحمل لقب الصدر وهو يتولى إدارة الأوقاف ويعين الموظفين الذي يشرفون على إدارة أملاكها ويدعى هؤلاء المتولون[1].

النظم المالية:

وضع تيمورلنك نظاماً لجباية الأموال من الرعية لا يؤدي إلى تدمير البلاد وخرابها لأنه سوف ينعكس سلباً على خزانة دولته مما يؤدي إلى اختلال السلطة[2]، وأبقى في بعض الولايات بالضرائب التي كانت مفروضة عليها قديماً مادامت متماشية مع رغبات الرعية[3].

وتأتي الضريبة المفروضة على الأراضي الزراعية بالدرجة الأولى من الأهمية وكانت تجبى نقداً أو علياً حيث أمر تيمورلنك بفرض ضريبة الخراج والجزية[4]، وفقاً لكميات ناتج المحصول يتم تحديدها وتدوينها وفقاً لأنواع السقي فإذا كانت الأراضي المزروعة مروية بمياه الأفنية أو الينابيع أو الجداول أو الأنهار وكانت هذه المياه تتدفق بشكل مستمر يتوجب الإشراف عليها من قبل موظفين تابعين لتيمورلنك ويتم توزيع إنتاج هذه الأراضي بمنح ثلثي الناتج إلى ملاك الأراضي ويدفع الثلث المتبقي إلى خزانة الدولة، وتنخفض النسبة إلى الربع في الأراضي التي تروى بمياه المطار ويحظر جباية هذه الضريبة قبل موسسم الحصاد[5].

وإذا أحيا أي شخص قطعة أرض موات وزرعها لا يؤخذ منه في السنة الأولى، أما في السنة الثانية فأي شئ يقدمه طواعية يقبل منه أما في السنة الثالثة فيتوجب عليه دفع الضريبة المقررة.

---

(1) شهاب، تيمورلنك، ص411.

(2) تيمورلنك، مذكرات تيمور، ص123.

(3) يو – يكوبوفسكي، تيمورلنك، ص130.

(4) الجزية: فرض تيمورلنك الجزية على الذميين في جهات إمبراطوريته حيث فرضها على الجورجيين الخاضعين لتيمورلنك، الشامي، طفرنامة، ص243.

(5) تيمور، مذكرات تيمور، ص124-125.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما بالنسبة للضرائب المفروضة على التوابل والفواكة والبضائع الخارجية وخزانات المياه وعلى الأراضي العامة فيتم تقديرها بما يتوافق والقرارات السابقة للضرائب[1].

وكانت السلطة التيمورية تتقاضى ضريبة من التجار لقاء استخدامهم الطرق والجسور التي تقيمها الدولة، وتمتعهم بالحماية والأمن.

كما عين تيمورلنك كوتوالي في كل معسكر يكون برفقته حراس وشرط في سبيل جباية الرسوم من التجار في الأسواق[2]، حيث كانت أسواق سمرقند تزخر بالمخازن المليئة بالبضائع المستوردة من بلدان أجنبية مختلفة وبعيدة فمن روسيا وبلاد التتار جاءت الجلود وأقمشة الكتان ومن الصين منسوجات الحرير التي هي الأفضل في جميع أنحاء العالم، مع الياقوت البلخشي، والألماس واللؤلؤ والراوند مع التوابل وفي الحقيقة أن البضائع التي تستورد إلى سمرقند من الصين هي الأثمن والأعلى قيمة من جميع البضائع التي تستورد إلى سمرقند من البلدان الأجنبية لأن الحرفيين الصينيين أكثر براعة وكان يجلب من الهند إلى سمرقند التوابل الكبار والأغلى قيمة[3]، وهذه المنتجات المختلفة كانت تعاد تعبئتها في أسواق سمرقند وتصدر من جديد إلى مدن آسيا وأوروبا سالكة طريقين مختلفين:

الأول: عن طريق خوارزم واستراباد ثم نشني نوفجورود وموسكو حتى تصل إلى أيدي تجار مدن ألمانيا.

الثاني: طريق قزوين وتبريز وطرابزون حيث كان يتلقفها تجار البندقية وجنوة وبيرزا وينقلونها إلى أوروبا[4]، ومما لا شك فيه أن هذه التجارة كانت تعود بأرباح بعضها إلى الخزانة المالية للدولة التيمورية، لاسيما أن تيمورلنك حرص على حماية ومراقبة الطرقات والمحطات وضمان سلامة التجارة من محطة إلى محطة وكذلك أمتعة وأموال التجار والأسواق وإذا ما فقد أي شئ أو تم العثور على أي تقصير وإهمال سوف يكونوا مسئوولين عن ذلك وتعويض قيمة المفقود أو المتضرر[5]، كما أمر بعدم

---

(1) تيمور، مذكرات تيمور، ، ص125.

(2) تيمور، مذكرات تيمور، ، ص102.

(3) كلافيجو، سفارة إلى تيمورلنك، ص315، - 316.

(4) فامبري، تاريخ بخارى، ص254.

(5) تيمورلنك، مذكرات تيمورلنك، ص 118 – 119.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فرض ضرائب الجزية وضريبة البيوت على أية بلدة أو مدينة مهما كانت وأن لا يحاول جندي الدخول بالقوة إلى أي مكان سكني أو الاستيلاء على ممتلكات الرعية[1].

أنواع الضرائب غير الشرعية:

- ضريبة مال الأمان: وهي ضريبة السلم فرضها تيمورلنك على سكان المدن التي دخلها صلحاً وذلك لقاء حفظ نفوسهم من القتل وأموالهم من النهب ومقدارها 4500 تومان[2].
- ضريبة التقوزات: وتعني الأشياء التسعة وهي أن يقدم سكان الولاية إلى تيمورلنك قبل حلوله بين ظهرانيهم تسعة أصناف من الحيوانات والمأكولات والتحف والنفائس التي تليق به[3].
- ضريبة البيشكشاي: أي الهدايا التي يتعهد الرعية بتقديمها إلى تيمورلنك وحاشيته عند حلوله ببلدتهم[4].
- ضريبة حق الضيافة: المسماه طوى فإنها كانت من الضرائب التي أثقلت كاهل السكان فقد ذكر تيمورلنك أن على أهالي البلد الذين يخضعون له أن يعدوا مكاناً لنزول رسله وجنده ويهيئون الخدم لهم ويحافظوا على سلامتهم وأسباب معيشتهم[5].
- ضريبة باج: وتعني المسكن وهي ضريبة تفرض على منتوجات الضواحي كالمواشي والأحطاب والدهون في حالة عرضها للبيع[6].

---

(1) تيمورلنك، ، ص 119.

(2) المقريزي، السلوك، ج3، ق2، 141.

(3) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص239.

(4) الغياثي، التاريخ الغياثي، ص 166.

(5) الشامي، ظفرنامة، ص 146، مهاوي، تاريخ الغزو التيموري للعراق، ص407.

(6) مهاوي، تاريخ الغزو التيموري، المصدر السابق، ص407.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعا: إدارات الولايات أو الممالك التابعة للدولة التيمورية:

ظلت التقسيمات الإدارية في ما وراء النهر متأثرة بالوضع العشائري والإقطاعي الذي كان سائداً قبل العصر التيموري[1]، أما خارج بلاد ما وراء النهر فلم تكن هذه الإدارة تسير على أسلوب واحد وعلى الأعم فإن تيمورلنك في كل مملكة يستولى عليها كان يعيد حكام تلك الممالك إلى الولايات التي كانوا فيها بعد أن يعلنوا الولاء والطاعة[2]، أما من يعاندون من الحكام فكان يجتث الأسرة بكاملها حتى لا يبقى من يطالب بالحكم ويعين والياً عليها من عنده كما فعل بالمظفريين والسربداريين.

2-4-1-2 التنظيمات العسكرية:

1- تكوين الجيش وجنسياته:

سارت جيوش تيمورلنك في تنظيمها على تقاليد جنكيز خان[3]، وتألفت من جنسيات مختلفة واستندت إلى النظام العشري[4]،مع ملاحظة أن قاعدة الجيش الأساسية في عهد جنكيز خان كانت تتكون من الرحل وقليل من السكان الحضر من البلاد المختلفة الذين قسروا على الخدمة الإجبارية.

أما في عهد تيمورلنك فإن الحضر في الجيش وإن لم يشكلوا القسم الأساسي إلا أنهم لعبوا دوراً جوهرياً للغاية، لعلة كان مساوياً لدور الرحل فيه وقدمت الأقاليم الحضرية الوحدات التي استعملت في حصار المدن أشبه بما تكون لذلك العهد بالمدفعية "أي المقاتلة الذين كانوا يعملون في المنجنيقات وآلات هدم الأسوار والآلات القاذفة بالسهام"[5].

---

(1) بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص221، يو – يكوبوفسكي، تيمورلنك، ص129 -130.

(2) تيمورلنك، مذكرات تيمور، ص118.

(3) بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الصغرى، ص 221 ، يو – يكوبوفسكي، تيمورلنك، ص 131، فامبري، تاريخ بخارى، ص215.

(4) العشري: يعنى يقسم إلى تومونات - وألوف - وعشرات.

(5) يو – يكوبوفسكي، تيمورلنك، ص131.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد ذكر يزدي العنصرين الرئيسين المتميزين في الجيش التيموري وهما الأتراك والتاجيك وميز من بين فرق التاجيك الخراسانية[1]، ولا شك في أن الأتراك الجغتائيين كانوا أقرب إلى نفس تيمورلنك من التاجيك أصحاب القومية الإيرانية، حيث كان يقول: "إن الخصال العسكرية قاصرة على الترك"[2].

ويشير ابن عربشاه أن جيوش تيمورلنك التي أغارت على بلاد الشام كانت تضم جنسيات عديدة منها: الترك والفرس والقبجاق، والخطأ، المغول والتركمان ومن رعاع العرب وعياد الأوثان[3]، ويذهب (Bouvat) إلى القول: إن جيش تيمورلنك كان يضم بعض العناصر الأوروبية ويشير إلى القس البافوري شيلتبرجر الذي كان ضابطاً في الجيش[4]، وكان تيمورلنك يعد جنود كل مملكة خضعت له تحت خدمته توجيهاته[5].

يتم اختيار واحد من كل عشر جنود وفق موافقة التسعة المتبقين ويطلق عليه أون باشي أمير عشرة وإذا ما اجتمع عشرة أمراء عشرة بعين واحداً منهم ويلقب يوزباشي أمير مائة واثناء اجتماع عشرة أمراء مئات مع بعضهم يعين قائداً عليهم فيمن يتسم بالشجاعة والأهلية والجدارة ومن أصل رفيع وابناً لأحد المقدمين ويدعى ينك باشي قائد ألف. وتكون سلطة امراء الألوف نافذة وراسخة على أمراء المئات وتكون سلطة أمراء العشرات وكذلك سلطة العشروات على الجنود العاديين، كما يجب عليهم معاقبة العصاة والمتمردين من الجنود سواء كانوا في المعركة أو خارجها وينبغي طردهم ومن ثم تعيين آخرين مكانهم، وإذا مات جندي أو أمير أو فر من الجندية يعين على الفور مكانه جندي أو أمير آخر ويعرض هذا بتقرير بأسماء الذين ماتوا أو فروا مع أسماء الذين حلوا مكانهم إلى تيمورلنك[6].

---

(1) يزدي، ظفر نامه، ج2، ص27، يو – يكوبوفسكي، تيمورلنك، ص131.

(2) بارتولد، تاريخ الترك، ص230.

(3) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص117 – 118.

(4) نقلاً عن شهاب، تيمورلنك، ص412.

(5) تيمورلنك، مذكرات تيمور، ص121.

(6) تيمور، مذكرات تيمور، ص 78 – 79.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2- السلاح:

كان السلاح يوزع بحسب أنواع الفرق العسكرية حيث يعطي للجنود الخاضين لكل ثمانية عشر رجلاً خيمة واحدة ويجهز كل واحد منهم بفرسين وبفرس وبجعبة أسهم وبسيف ومنشار وفأس ومخرز وخيط وعشر إبر وحقيبة ظهر، أما المقاتلون النخبة فكان يأخذ كل خمسة خيمة ويعطي لكل واحد خوذة رأس ودرع صدر وجعبة أسهم وسكون مع أون باشي خيمة واحدة وسابغة وسيف وقوس وجعبة وخمسة من الخيول، ومع يوزباشي خيمة واحدة وعشرة من الخيول وأسحلته مثل السيف والقوس والجعبة والرمح وهراوة وسابغة ودرع للصدر ويكون مع الينك باشي خيمة وسايباني[1]، وأسلحة ودروع للصدر وخوذة ورماح وسيف وجعبة وسهام[2].

وكان على كل جندي عادي أن يحمل معه من الأسلحة قوساً وثلاثين سهماً وكنانة وترساً ومعول ومنجل ومنشار وفأس ومخرز ومائة إبرة ونصف من الحبال من وزن الأسواق وجلد ثور وقدر كبير[3].

أما أمير أول مائة فيأخذ مائة وعشرة خيول وأمير ثان مائة وعشرين فرساً وأمير ثالث مائة وثلاثين فرساً وأمير رابع مائة وأربعين فرساً وأمير الأمراء الذي ينبغي أن يأخذ معه أكثر من ثلاثمائة فرس[4].

وكان الجيش التيموري عندما يعسكر بالقرب من العدو يحاط بالأسلحة الدفاعية حيث كان يخندق عليه ويقيم الأبراج المتحركة والمتاريس الضخمة المسماة الجبرهان وأنه في عهد تيمورلنك ظهرت لأول مرة بالشرق الإسلامي الأسلحة النارية، فمثلاً في وصف جيش السلطان محمود الدهلوي قبل المواجهة مع تيمورلنك عند سنة 401هـ/ 1398م كان يوجد دنروز لدى الجيش الهندي وهي

(1) السايباني: هو نوع من السقوف العليا للخيمة حيث ينصب فوقها على ارتفاع قدمين أو ثلاثة ويغطي جميع جوانبها من أجل حماية صا حبها من الحرف أو من الشمس، تيمورلنك، مذكرات تيمور، الحاشية، ص101.

(2) تيمورلنك، مذكرات تيمور، المصدر السابق، ص100- 101.

(3) يو – يكوبوفسكي، تيمورلنك، ص131

(4) تيمور، مذكرات تيمور، ص101.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أسلحة نارية خاصة (قاذفات الرعد) أشبه ما تكون بمدافع بدائية وأصبحت لدى تيمورلنك أثناء محاصرة دمشق لها سنة 803هـ/1400- 1401م [1]، كما اهتم بنقل الصناع من آسيا الصغرى (الدولة العثمانية) الذي يصنعون البنادق والرجال العاملين بالمدفعية من النوعين: العاملين بالمجانيق وبالقصف وذلك إلى جانب الذين يعملون بالحبال التي تعمل بها آلات القذف وهي الجزء الأول من سمرقند تقف القلعة التي هي غير مبنية على موقع مرتفع لكنها محمية بوهاد عميقة من جميع جوانبها وخلال هذه الوهاد تتدفق المياه جاعلة موقع القلعة لا يمكن أن يرام، وكان تيمورلنك يحتفظ بكنوزه ولا أحد من خارج المدينة يستطيع الدخول إليها باستثناء شحنة القلعة ورجاله، وأبقى تيمورلنك داخل أسوار القلعة بشكل دائم وبالأسر ما يصل إلى ألف رجل من الصناع وكان هؤلاء الصناع يعملون الدروع والخوذ مع القسي والنشاب لما انطلق تيمورلنك وغزا دمشق ونهب ما فيها وتوجه نحو الدولة العثمانية واستولى على أنقرة واصدر أوامر بوجوب أن يصطحب الجند الذين سوف يرافقون الحملة زوجاتهم وأولادهم لأنه كان ينوي البقاء في الخارج بعيداً عن عاصمته لمدة سبعة أعوام كاملات وقد أقسم إنه لن يعاود الدخول إلى قلعته هذه في سمرقند إلا بعد سبع سنوات قد انتقضت وأثناء عودته تم عرض أمامه الأسلحة والدروع التي صنعها العمال من أسراه وأكمولها، ومن بين الأشياء التي جلبوها ليراها ثلاثة آلاف سابغة مصنوعة من الألواح وهي من النوع الذي يحاط على بطانة من القنب الأحمر وعرض عدد هائل من الخوذ العالية المصنعة على شكل دائرة وكان بعضها مستديراً من الخلف لكن من الأمام هناك قطعة تنزل نحو الأسفل لحماية الوجه والأنف[2].

والذي أدهش كلافيجو وأصحابه منظر أرض المعسكر العظيم خارج حدود مدينة سمرقند الذي قدره في حينها أكثر من خمسين ألف خيمة كانت جميعها منصوبة وفق مخطط توافرت فيه الشوارع التي كان فيها كل نوع من السلع للبيع[3]، ومصانع يمارس فيها الصناع حرفهم والحمامات الساخنة وأول خيام تضرب هناك هي خيام الأسرة المالكة وتتوسط في الغالب المعسكر الذي كان على هيئة

(1) يو – يكوبوفسكي، تيمورلنك، ص132.

(2) كلافيجو، سفارة إلى تيمورلنك، ص 314 – 318.

(3) كلافيجو، المصدر السابق، ص 19.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المروحة وكان لكل أسرة ولكل وزير ولكل تومان أغاسي مكانه المخصص له فمنهم من كان ينزل ناحية اليمين أو ناحية الشمال أو في الصف الأول أو الثاني أو الثالث كل بحسب مكانته في نظام محكم لا يعرف الفوضى[1].

وكان للجند التميوريين ملابس موحدة تتألف من قلنسوة مخروطية ولباس رأس بحسب التقليد للأتراك الجغتائيين[2]، وأمر تيمورلنك أنه يتوجب في أوقات السلم على الجنود والأمراء والمينك باشي واليوزباشي والأون باشي عدم الظهور في ديوان مجلس السلطنة من دون ارتداء كلاه (رداء) وموزه (حذاء) وسرمزه (حذاء جلدي لطيف يغطي الحذاء) وجامه (عباءة) وطوق وسيوفهم[3].

3- الرواتب والمكافآت:

كان هناك نظام مالي يحدد فيه راتب كل جندي سنوياً وتاريخ استحقاقه لهذا الراتب وقد أطلق عليه أن عربشاه ديوان الجند[4].

ويقدر راتب الجندي قيمة فرس ويعطى كل واحد من المقاتلين النخبة والمختارين من قيمة فرسين إلى أربعة. أما راتب قائد العشرة فكان يعادل عشر مرات راتب الجندي وراتب أمير المائة يقدر براتب العشرة مرتين، وراتب قائد الألوف ثلاثة أضعاف راتب قائد المائة[5].

والملاحظة المهمة هنا وجود فارق شاسع بين رواتب جنده وقادته وبين رواتب أبنائه وذريته وأقربائه بحيث يتضح لنا كيف كان نظاماً إقطاعياً صرفاً فقد أمر تيمورلنك بأن يتسلم ابنه الأكبر ولي عهده محمد جهانكير راتب عشرة آلاف فارس وجباية مناطق تتحمل النفقات نفسها بينما ابنه الثاني عمر شيخ فأعطاه راتب عشرة آلاف فارس مع أراضي تتوافق بالعطاء نفسه وأمر أن يتسلم ابنه الثالث

(1) فامبري، تاريخ بخارى، ص 245.
(2) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص42.
(3) تيمور، مذكرات تيمور، ص 101.
(4) ابن عربشاه، عجائب المقدور ص 42.
(5) ابن عربشاه، ، ص 80 -81

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ميران شاه راتب تسعة ألف فارس مع تعيين ولاية تدفع المبالغ نفسها، كما أمر بتسليم ابنه الرابع شاه رخ راتب يعادل سبعة آلاف فارس لكل منهم مع تعيينات ولاية تدفع المبالغ نفسها وقرر أن يتسلم أحفاده رواتب وأراضي تتراوح بين ثلاثة آلاف إلى سبعة آلاف فارس لكل وفقاً لمقدرته وإمكانياته، أما أقرباؤه فقد أمر بأن يعطوا الرواتب والتعيينات من مرتبة أمير أول إلى مرتبة أمير سابع وفقا لقدرات ومكانة ومرتبة كل واحد[1].

أما القواعد التي كان يجري على أساسها منح الرواتب العسكرية فقد اقتبست هي ومراسم البلاط إلى درجة كبيرة مما كان عند الأسر الحاكمة كالسلاجقة والخوارزمشاهية فعن الخوارز مشاهية أخذت رتبه بلكربكي، أي أمير الأمراء وهي تعادل في العصر الحديث رتبه المشير وشارتها علم أحمر طويل، أما رتبة تومان أغاسي فشارته التوك وهو رمح طويل بطرقة ذيل حصان، ورتبه يوزباشي وشارتها طبلتان من طبول الموسيقى يحملها تابعه على جانبي سرجة[2].

ويشير تيمور في مذكراته: "أنه أمر بترقية ثلاثمائة وثلاثة عشر من خواص بطانته المتفوقين إلى المراتب الشرفية العليا وتوافر لهؤلاء الأصالة والنجابة والعقل والكياسة والشجاعة والحزم وعمق التفكير وقد عين كل واحد منهم شخصاً آخر حتى إذا ما مات يخلفه في مرتبته وإمارته ويلقب بالأمير المنتظر كما أمر بأن يجري انتقاء أربعة من الثلاثمائة والثلاثة عشر أميراً المتقدم وعينهم بمناصب بكلربيك واختار واحد من الأربعة ومنحه لقب أمير الأمراء بحيث تكون له السلطة على سائر أمراء الجيش في الميدان والعمل أثناء حضوره بمنزله نائب له"[3].

وحدد للمبرزين من أفراد القوات المسلحة المكافآت التي كانت على شكل جوائز رمزية أو تقديرات معنوية فتوزع على هؤلاء رايات محلاة بذيول الخيول أو طبول أو يمنحون لقب بهادر أي شجاع، إذا تميز أحد الجنود في معركة ما فيعطي مكافأة بترقية إلى مرتبة أون باشي وفي المرة الثانية إلى مرتبة يوزباشي ولجهده الثالث إلى مرتبة مينك باشي كما أمر بترقية مينك باشي ولاسيما عندما ينتصر

(1) تيمور، مذكرات تيمور، ص82.

(2) فامبري، تاريخ بخارى، ص215.

(3) تيمور، مذكرات تيمور، ص 93.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على خصمه بحد السيف إلى مرتبة أمير أول وفي الجهد الثاني إلى مرتبة أمير ثان وهكذا، أما الجندي الذي يدير ظهره في ساعة العمل فأمر بأن لا يعطى أي فلس كورنش[1].

ويشير يزدي أن المقصود من هذه الإنعامات هو التقرب من قلوب الجند ورفع معنوياتهم[2].

4- الروح المعنوية:

في الواقع أن تيمورلنك كان يولي الناحية المعنوية في جيشه جل اهتمامه حيث عامل جنوده كأنه واحد منهم وكان يشجعهم بالمال والجواهر ولا يجلس إلى طعام إلا ومعه عدد من جنوده وقد أفلح في حمل أتباعه على التعلق به إلى حد كبير[3].

وقد أكد الخبراء العسكريون أن البحث في أشكال الحرب يجب أن يكون متصلاً اتصالاً وثيقاً بالبحث في صفات القائد العسكري النفسية[4]، وفي مفهوم العلم العسكري أن العنصر المسيطر في حفل المعركة هو دائماً عبقرية القائد العسكري والقدرة على اتخذ القرارات الصائبة ويتجسد هذا في معركة أنقرة حيث اتخذ تيمورلنك كامل الاستعدادات فلكي يرفع من معنوية جيشه أرسل لهم أعطياتهم قبل استحقاقها ولسنوات سبع جزئاً من ذلك كان مستحقاً والباقي سلفاً[5]، ويبدوأن معنويات المغول كانت أقوى بكثير من غيرهم حيث لم يفرق تيمورلنك في الحروب من أجل إدراك النصر بين كبير وصغير في القيام بالأعمال المختلفة مهما بلغت خطورتها فكان أولاده يشتركون مع الجند في نقب أسوار القلاع وأقتحامها[6]، ومما زاد من رفع معنويات الجند التيموري هو شجاعة تيمورلنك وإقدامه في كثير من الأحيان حيث لم يكن الحاكم القابع في عاصمته وقادته هم الذين يحققون النصر بل كان في معظم انتصاراته المثل لجنده في الشجاعة ولاسيما عندما طلب منه أحد خصومه بالمبارزة فلم يجبن بل برز أمامه وهذا يعد أكبر محفز لمعنويات الجند، والحق أنه صنع مجده وهو على ظهر جواده في أغلب معاركة التي خاضها.

---

(1) تيمور، ، ص 94 -96.

(2) يزدي، ظفرنامه، ج2، ص130.

(3) تيمورلنك، مذكرات تيمور، ص55، الخالدي، العالم الإسلامي، والعالم المغولي، ص36.

(4) شنيدر، فرنان، تاريخ الفنون العسكرية، ترجمة فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، ص61.

(5) تيمور، مذكرات تيمور، ص71.

(6) يزدي، ظفرنامه، ج 1، ص462.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكان يقول: "أنه من خلال التجربة بات معروفاً لدي أن الذي هو مؤهل لمنصب الإمارة والإيالة ولائق بها هو الشخص الذي على معرفة جيدة بفن الحرب وبمختلف الطرائق والمذاهب التي تؤدي إلى تمزيق الجيوش المعادية وإلحاق الهزيمة بها وفي ساعة المعركة لا يضعف نفسه ويبقى مسيطراً على قلبه ولا يسمح للخور والرعب بالسيطرة على نفسه ويمكنه أن يوجه جهود جنوده ويديرهم إذا ما اضطربت صفوفهم واختل نظامهم يمكنه بمقدرته أن يعيدهم إلى النظام"[1].

كان الجيش المغولي يسير والعساكر على ظهور الخيل والطبول السلطانية تقرع والطبلخاناه تدق النوبة لبث الحماس والاندفاع في نفوس المقاتلين[2]، وقد أمر تيمورلنك بإعطاء علم واحدة ونقارة واحد إلى كل واحد من الأمراء الاثني عشر المنتخبين ويعطي أمير الأمراء علماً ونقارة وتومان طوغ وجرطوغ وأن يسمح للمينك باشي بطوغ وبنفير وبطبل إلى أمير يوزباشي ومثله إلى أمير وأن باشي[3]، وهكذا كان يتم توزيع هذه الأدوات التي تؤدي إلى رفع معنويات الجنود أثناء القتال.

5- الاستطلاع وجمع المعلومات:

سبق تيمورلنك أهل عصره في بث عيونه على مناطق مختلفة[4]، ولعله سار على منوال جنكيز خان، ويقسم الاستعلام في المفهوم العسكري إلى ثلاثة أنواع:

1. الاستعلام التكتيكي، ويقصد به أن يكون القائد العسكري على معرفة بالعدو المعالم الجغرافية، والطقس، وفي زمن يسبق المعركة بحيث يتمكن من التخطيط للعمليات القتالية وتنفيذها بنجاح.
2. الاستعلام الاستراتيجي المرتبط بالسياسة للدفاعية والخطط العسكرية على مستوى كل جيش ويكون مبنياً على العقيدة القتالية للدولة.
3. مكافحة الاستعلام المعادي ومحاولة شلة وحجب المعلومات عنه[5].

---

(1) تيمورلنك، مذكرات تيمور، ص 92، فرج، قاهر العالم تيمورلنك، ص106.

(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص162، 169.

(3) تيمورلنك، مذكرات تيمور، ص99.

(4) تيمورلنك، ، ص58، ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص281.

(5) الجمل، الفن العسكري المغولي، الجامعة اللبنانية، بيروت، 2007م، ص83 – 84.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبالفعل كان الجيش المغولي من أوائل الجيوش التي طبقت هذه المبادئ العسكرية في العالم، وتعده المبادئ من أنجح وسائل النصر في الحروب الحديثة.

وقد تجسدت هذه المبادئ في جيش تيمورلنك من خلال توجيهاته وما كان لتيمورلنك ليبلغ درجة غازي العالم لولا ما كان له من عبقرية عسكرية لا تنكر إلى جانب مواهبه الشخصية العالية[1]، كما سوف نلاحظه من خلال توجيهه لأمرائه فقد أمر تيمورلنك نائبه أمير الأمراء أن يتنبه إلى أربعة أشياء قبل الدخول إلى ميدان المعركة وهي:

1. توافر الماء الكافي.
2. وجود قوة من الحرس تغطي ميمنته وميسرته وساقته.
3. أن يكون موقفه في موضع مشرف وأكثر علواً من موقف العدو وأن لا تكون الشمس في وجهه.
4. أن تكون الأرض أمام صفوفه مكشوفة[2].

وإذا التزم بتطبيق هذه الأشياء يستطيع القائد العسكري التحكم في تحديد موقع المعركة ويساعده في ذلك الكشافون الذي ينطلقون في مقدمة الجيش بتتبع الآثار التي يتركها العدو خلال سيرة ويحاولون تقدير حجم قواته من دراسة هذه الآثار من خلال مواقد النار وغيرها[3]، ويسبق الكشافون العيون الذين يتجاوزون خطوط الأعداء ويتجولون في المدن والقرى على هيئة تجار أو متصوفين أو مهرجين كما استخدمت النساء في أعمال التجسس وكانت تقارير هؤلاء ترسل مشحونة بالمعلومات عن الحكام والأغنياء والأسعار[4]، كما اهتم بجمع المعلومات واختار ألف سائق جمل سريع وألف فارس سريع وألف واحد من الرجالة الموائمين وكان هؤلاء يزودون أنفسهم بالمعلومات والأخبار حول وقائع الممالك وأخبارهم والثغور والجبهات ونوايا وخطط سلاطين الجوار ويتم توصيلها إلى تيمورلنك في أسرع وقت ممكن[5]، كما جند تيمورلنك ما يسمى الطابور الخامس، أو العملاء فلما اتجه تيمورلنك

---

(1) فامبري، تاريخ بخارى، ص 220- 221، الموسوعة العربية، م7، ص259.

(2) تيمورلنك، مذكرات تيمور، ص128.

(3) يزدي، ظفر نامه، ج1 ص371.

(4) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص 282 – 283.

(5) تيمورلنك، مذكرات تيمور، ص 120.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نحو بلاد الشام كان قد بث عيونه وجواسيسه في المدن التي يزمع احتلالها والتي تقع بين بلاد النهرين وبلاد الشام[1].

6- تشكيل جيوش تيمورلنك أثناء الدخول للمعارك:

كان تيمورلنك يشكل جيشه أثناء الدخول للمعركة عندما يكون تعداد الأعداء لا يتجاوز الاثني عشر ألف فارس على النحو التالي:

فوج الطليعة	
فوج المقدمة	
فوج مقدمة الميمنة	فوج مقدمة الميسرة
الفوج الأول من الميمنة	الفوج الأول من الميسرة
الفوج الثانى من الميمنة	الفوج الثانى من الميسرة
كتلة الجيش الرئيسية (قول)	

تشكيل الجيش التيموري عندما يكون جيش العدو أكثر من اثني عشر ألف وأقل من أربعين ألفا[2].

(1) برجاوي، الأمبراطورية العثمانية، ص45.

(2) تيمورلنك، مذكرات تيمور، ص 131 -135.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تشكيل جيش تيمورلنك تجاوز بغداد تعداد العدو أربعين ألف فارس.

مقدمة	
طليعة مقدمة الميمنة	طليعة مقدمة الميسرة
فوج أول ميمنة	فوج أول ميسرة
فوج ثان ميمنة	فوج ثان ميسرة
مقدمة ساقة الميمنة	مقدمة ساقة الميسرة
فوج أول من ساقة الميمنة	فوج أول من ساقة الميسرة
فوج ثان من ساقة الميمنة	فوج ثان من ساقة الميسرة
كتلة الجيش الرئيسية (قول)	

طليعة احتياط الميمنة *طليعة احتياط الميسرة*

مقدمة

فوج: أول، ثان، ثالث، رابع، خامس، سادس

طليعة مقدمة الميمنة طليعة مقدمة الميسرة

ميمنة ميسرة

فوج: أول، ثان، ثالث، رابع، خامس، سادس فوج: أول، ثان، ثالث، رابع، خامس، سادس

مقدمة ساقة الميمنة مقدمة ساقة الميسرة

ساقة فوج الأمير نالان ساقة فوج الأمير [illegible]

7- **الحرب النفسية:**

كشفت الحروب التي خاضعها تيمورلنك عن عبقرية عسكرية في التخطيط والتعبئة والحرب النفسية وما تهيأ له من جيش ثابت حسن التدريب ودرج أفراده على الطاعة العمياء وقوداه على أعلى درجات الكفاية[1].

ولعل أهم ما يلفت النظر في أساليب تيمورلنك الحربية اعتماده على الحرب النفسية إلى حد كبير بهدف تبديد قوة أعدائه حيثما لجأ في حروبه إلى استعمال قسوة غير معهودة لم يوجد في معظم الأحوال ما يسوغها على الإطلاق ولا كيف يمكن تسويغ تشييده منارات من الذين من الأحياء يوضع بعضهم فوق بعض وعقودا بالطين والطين عند استيلائه على [illegible] بالأحياء الحالية أو القباب التي عملت من رؤوس سبعين ألفاً من [illegible] التي أشرنا إليها فيما سبق ودفن أربعة آلاف من الأحياء [illegible] سيواستا بآسيا الصغرى والأكثر فظاعة قتله مائة ألف من أسرى الهنود قبل معركته مع سلطان دهلي محمود دهلوي ولا يوجد بين أيديهم أي ضرب من السلاح[2].

(1) فامبري، تاريخ بخارى، ص 221.

(2) يو – يكوبوفسكي، تيمورلنك، ص 133- 134.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولا يوجد مسوغ لهذه الأفعال إلا أنه اتخذها حرباً نفسية ويصف فامبرى هذه الأفعال بالقول: "أننا حين نبعد عن الهوى في حكمنا على تيمورلنك إنما يقع اللوم عليه بوصفة مخرباً قد عاث في الأرض فساداً وإنما لمجرد استغلاله حقوق الفتح استغلالاً جائزاً عنيفاً"[1]، وبسبب تلك القسوة كانت المدن تفتح أبوابها قبل وصول الجيوش وتهزم روح العدو قبل اللقاء وكان تيمورلنك يتعمد أن تذاع أخبار فتوحه وما جرى لخصومه من مصائب وويلات حتى تهز هذه الأنباء كحرب نفسية قلوب الملوك والأمراء[2]، ولم يغفل تيمورلنك في إعداد قادته نفسياً فقد أشار في مذكراته: "أن من واجب القائد العام أن يعد نفسه والأفواج التسعة المشكلة لجيشه بمنزله مصارع دخل ميدان الصراع عليه أن يقاتل بكل جزء من جسده بذراعيه وقدميه وبصدره ورأسه" [3]، وقد عمل تيمورلنك أثناء احتدام القتال في أذربيجان عندما تقابل مع قرا يوسف على بث الشائعات ولاسيما بعد أن ارتعبت فيها عساكره واضطربت فقام فوضع على سنان رمحه رأس واحد من قادة أعدائه وقال إنه رأس قرا يوسف وصرخ بصوت مرتفع إلى قواته بأن قرا يوسف قد قتل وحينها قويت قلوب جنوده وتشجعوا في القتال[4]، كما استعمل الحيلة في أكثر من معركة كما سلف إما بإحراق النيران لإبهام العدو بكثرة جيشه واستقبال كل من لجأ إليه من الأصدقاء أو الأعداء. وكل هذه لها انعكاسات نفسية عند أعدائه.

كما لجأ تيمورلنك في حروبه إلى استخدام الخداع والتمويه وفي أكثر من مكان وقد ظهر ذلك جلياً في معركة أنقرة ضد العثمانيين وأثناء غزو بغداد الأول ضد الجلائريين[5].

ويمكن أن استنتج أن من أسباب انتصار تيمورلنك في حروبه على كل الجبهات:

1. الطاعة العمياء من قبل قياداته وجنوده.
2. التفوق العددي وروح الانضباط.
3. خفة الحركة والروح الهجومية.
4. استخدام عيونه في كل مكان.

---

(1) فامبري، تاريخ بخارى، ص 242.

(2) فرج، قاهر العالم تيمورلنك، ص 129.

(3) تيمور: مذكرات تيمور، ص 129.

(4) تيمورلنك، مذكرات تيمور، ص 96.

(5) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص 283.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5. الروح المعنوية والنفسية العالية.
6. كفاية الناحية الإدارية.

2-2 انجازات تيمورلنك العسكرية:

كان الجيش عند تيمورلنك أهم عناصر دولته ، فانخرط في حروب عديدة بغية إعادة توحيد الإمبراطورية المغولية متخذا سمرقند التي ازدهرت في عهده، عاصمة له، فنقل إليها التحف والثروات من جميع أنحاء الإمبراطورية وصارت مركزاً لقوافل الهند والصين وآسيا الصغرى.

بعد أن استتب الأمر لتيمورلنك في بلاد ما وراء النهر كون مجلسا من كبار الأمراء والعلماء وأعلن نفسه حاكما عليها بلا منازع.

بدأ تيمورلنك بتوسيع رقعة دولته على حساب دول الجواروكانت هذه الحروب مهمة للغاية، لأن هدف تيمورلنك كان جذب خطوط التجارة من الشمال إلى دولته في الجنوب، وهو ما تم له بالفعل، فكان هذا عاملا اقتصاديا مهما لإثراء دولته وتقويتها بما يوفر له قوة إضافية على الساحة الدولية.

نظم تيمورلنك جيش ضخم، كان معظم فرسانه ومقاتليه من المغوليين، وأخذ يفكر في حماية حدود دولته الجديدة.

وبمرور الوقت، أصبح تيمورلنك قائدا عظيما على رأس جيش لا بأس به، لا تنقصه العدة والعتاد كما لا ينقصه الطموح والعزيمة... بداية فلقد اتبع هذا القائد سياسة عسكرية قريبة للغاية من تكتيكات جنكيزخان، فلقد تبنى هذه التكتيكات نفسها وعلى رأسها سرعة الحركة والتمويه والقدرة على المناورة بالخيل، كما احتفظ بالتكتيك الخاص بألوية الرماة المتحركة التي كفلت له الغلبة على الساحة القتالية، كذلك فقد اقتبس منه العنف الشديد في التعامل مع الأعداء، فيقال إنه كان يقتل الأسرى ويقطع الرؤوس ويحرقها أمام ذويهم عبرة لهم حتى لا يقفوا ضد جيوشه أو يثوروا على حكمه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد بدأت موجات توسع تيمورلنك الواحدة تلو الأخرى، فتوجه إلى الهند واستولى على منطقة الشمال وسيطر عليها ودمر مدينة دلهي تماما وقمع كل محاولات الثورة ضده. ولم يكن الرجل متسامحا مع الديانات المختلفة في هذه الدول، فلقد كان متحيزا للإسلام تحيزا تاما، ثم نقل بعد ذلك جيوشه صوب الغرب وبدأ صراعا مريرا مع دولة المماليك استطاع أن يحسمه لصالحه بعدما استولى على سوريا، فخضعت له دمشق وحلب وكل المدن السورية، ولكن القدر أنقذ مصر من المصير نفسه لأن تيمورلنك بدأ يوجه انتباهه صوب الشمال في صدام مع الدولة العثمانية الفتية التي كانت تستعد تماما لغزو القسطنطينية فأرسلت جيوشها حول المدينة وطوقتها بشكل سريع، ولكن ظهور التتار في عام 1402على حدود هضبة الأناضول أعطى للقسطنطينية عمرا إضافيا بلغ (51) عاما، حيث ركز السلطان العثماني با يزيد على الخطر المغولي فجمع جيشا كبيرا واتجه به غربا لملاقاة تيمورلنك في معركة أنقرة الشهيرة.

حقيقة الأمر أن تيمورلنك استطاع أن يصطدم بأربع دول كبرى؛ هي: الدولة العثمانية في الأناضول، والمملوكية في مصر والشام، والمملكة المغولية بالشمال، ودولة الهند في الجنوب، واستطاع أن يهزم هذه القوى جميعا بفضل عبقريته العسكرية.

وقد قدمنا لتلك التوسعات والفتوحات بالفصل الأول من هذه الدراسة، وسنركز في هذا الفصل على غزو الهند، ومعركة أنقرة ثم الاستعداد لغزو الصين .

2-2-1 غزو تيمورلنك للهند سنة 800-801هـ/1398-1399م:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أسباب الغزو التيموري للهند:

تطلع تيمورلنك إلى بسط نفوذه على بلاد الهند لما فيها من موارد اقتصادية هائلة، فانتهز فرصة وفاة فيروز شاه[1] سلطان دهلي، والاضطرابات والقلاقل التي أعقبت وفاته سنة (790هـ/ 1388م)[2]، وكان التسويغ الذي اتخذ لغزو الهند هو جهاد الكفار ونشر الإسلام[3]، ويشير تيمورلنك في مذكراته إلى الهدف الحقيقي للسيطرة على الهند والذي يظهر في الاجتماع التشاوري مع أولاده وأمرائه حيث قال ابنه الأمير محمد جهانكير: "إننا عندما سنخضع الهند ونحصل على الذهب سوف نصبح فاتحي العالم، أما الأمير محمد سلطان فذهب إلى القول: من الممكن إخضاع الهند لكن فيها موانع كثيرة منها الأنهار، والفيافي، والغابات والجنود المسلحين والفيلة التي تقتل الرجال، بينما الأمير سلطان حسين فقال: "إننا عندما سنفتح بلاد الهند سوف نكون سادة الأقاليم وحكامها"[4].

لذا لا تخفي المصادر التيمورية الإشارة إلى أن حملة تيمورلنك على الهند كانت لطلب الغنائم[5]، ويبدو أنه وجد أن غنى الهند وكنوزها تساعده على تأمين متطلبات الحياة التي اعتادها امرائه لاسيما وأنه لم يعد يجد شيئاً بالاتجاه شمالاً نحو بلاد الجته والقبجاق.

كانت الهند منذ سنة (720 هـ/ 1320م) تحكم من قبل أسرة تغلق ذات الأصل التركي الجغتائي[6]، وقد استطاع الأوائل من سلاطين هذه الأسرة أن يفرضوا سلطتهم على أكثر أجزاء الهند، ولم يلبث أن دب الانحطاط السريع بالبلاد في عهد المتأخرين من حكامها ومال أغلب حكام المقاطعات إلى الانفصال بحكم بعض مناطقهم عن الحكومة المركزية في العاصمة دلهي كما كثرت ثورات الهنادكة،

---

(1) فيروز شاه، ينتسب إلى آل تغلق الأسرة الثالثة التي حكمت الهند (725هـ/ 1351م)، اصطدم بمؤامرة أقربائه من أمراء البيت التغلقي وثورات الهندوس واضطر لترك الحكم لوزرائه في آخر أيامه بسبب المرض، المقريزي، السلوك في معرفة دول الملوك، ج3، ق2، ص1024.

(2) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص 96، فامبري، تاريخ بخاري، ص231، الفقي عصام الدين، بلاد الهند في العصر الإسلامي، عالم الكتب، القاهرة 1980م، ص 162.

(3) جاكسون، سلطنة دلهي تاريخ سياسي وعسكري، ترجمة فاضل جنكر، ص 258.

(4) تيمورلنك، مذكرات تيمور، ص 45.

(5) الشامي، ظفرنامه، ص 170، يزدي، ظفرنامه، ج2، ص57.

(6) الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، ج1، ص169، شهاب، تيمورلنك، ص 239.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد حاول السلطان فيروز شاه آل تغلق عند وصوله إلى الحكم سنة 752هـ/1351م إصلاح الحال ولكنه اصطدام بمؤمرات أقربائه من أمراء البيت المالك التغلقي وثورات الهنادكة، فاضطر للتخلي عن الحكم لوزرائه في آخر أيامه بسبب المرض واشتد التنازع بين هؤلاء الوزراء وشهدت شوارع دلهي اشتباكات دامية بين أنصار المتنافسين، ولما توفي السلطان فيروز شاه سنة 790هـ/ 1388م كان ذلك ايذاناً بازدياد حالة الفوضى وتوالى على عرش البلاد عدد من السلاطين الضعاف كل آخرها السلطان محمود الذي استبد به وزيره ملو إقبال خان[1]، حينها قرر تيمورلنك استغلال تلك الأوضاع في الاجتماع التشاوري الثاني فأرسل الجيوش إلى المدن الرئيسية في بلاد الهند.

احتلال الهند:

أمر تيمورلنك بير محمد جهانكير بقيادة ألفا من فرسان ميسرة الجيش والتوجه إلى الهند وكان يحكم كابل ومنها عبر إلى السند وتوجه نحو الملتان[2]، التي كان يحكمها شقيق الوزير المتسلط ويدعى سارتك خان، كما أمر السلطان محمود خان والأمير رستم وأمراء آخرين مع ثلاثين ألفاً من فرسان الميمنة عبور مياه السند والزخف نحو منطقة لاهور عبر طريق جبال كشمير، وزحف مع اثنين وثلاثين ألفاً من فرسانه حتى وصل إلى موقع اندراب[3]، ثم توجه نحو الهند للجهاد على حد قوله في مذكراته[4].

وبعد أن أمضى ستة أشهر في قتال أهالي كافرستان[5]، تابع سيرة إلى وادي السند ماراً بمدينة كابل[6]. وفي 12 محرم سنة (801هـ/ 24 أيلول 1398م) عبر تيمورلنك السند واستولى على حصن تلمبي

---

(1) شهاب، تيمورلنك، ص239.

(2) ملتان مدينة عظيمة في أعلى رافد من روافد السند. لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص 369، وتقع حالياً في باكستان، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج4، ص115.

(3) اندراب: بلدة بين غزنين وبلخ ومنها تدخل القوافل التجارية إلى كابل ويقال لها اندرابة، الحموي، معجم البلدان، م1، ص260.

(4) تيمورلنك، مذكرات تيمور، ص46، 47.

(5) كافرستان: تطلق إلى اليوم على جزء من السفوح الجنوبية لجبال هندوكوش وتقع إلى الشمال الشرقي من كابل، شهاب، تيمورلنك، ص240.

(6) الشامي، ظفرنامه، ص172، يزدي، ظفرنامه، ج2، ص45.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في (صفر 801هـ/ تشرين الأول 1398م)[1]، ثم استولى على سرتي وقتل جميع سكانها بحجة أنهم من الهنادكة وتقدم واجتاح فتح آباد[2].

وفي طريقة توجهة لدلهي قاتل الجت أو الزط[3] التي كانت تقيم حول دلهي. وقبل خوض معركة دلهي أمر تيمورلنك بقتل مائة ألف أسير هندي دون رحمة لمجرد سريان إشاعة تشير إلى نية تعاونهم مع سلطان دلهي بالهجوم على مؤخرة جيش تيمورلنك[4]. وتعد هذه الحادثة من أشد أعمال تيمورلنك الوحشية[5]، وبينما يسوغ يزدي هذه الأعمال على أنها نوع من الجهاد ضد هؤلاء الهنادكة الكفرة[6].

تهيأ تيمورلنك لاحتلال دلهي فخرج الوزير ملو الذي يطلق عليه كلافيجو اسم(SO) سو لقتاله مع جيش كبير وخمسين فيلا حربياً وقد علق عليها من الأجراس ما يهول صوته وشدوا في خراطيمها عدد من السيوف المرهفة وقد أدى إلى هزيمته على يد الجيش الهندي بسبب حملة الفيلة[7].

عندها وضع خطة جديدة للقضاء على السلطان محمود حاكم دلهي وملو اللذين تحصنا مع خمسين ألف رجل من الخيالة والرجالة وعشرين فيلاً من قلعة دلهي، ولما عرف أن إخضاع القلعة يكلف خسائراً كبيرة ويستغرق وقتاً طويلاً قرر التظاهر بالضعف في قتالهم، وحفر حول جيشه خندقاً وأرسل قواته لمواجهتهم وعندما وجد الهنود أنفسهم الأقوى فرحوا كثيراً وخرجوا إلى السهل وتواجهوا مع جيوشه وجهاً لوجه[8]، كان تيمورلنك قد أعد مكيدة تمثلت في غرس الأرض بآلاف من الشوكات الحديدية المثلثة الأطراف ونثرها في مجالات الفيلة وزحف على خمسمائة من الجمال وهم يحملون

---

(1) يزدي، ظفرنامه، ج2، ص45.

(2) فتح آباد: هي المدينة التي كان السلطان فيروز شاه قد بناها في شمال غرب العاصمة دلهي. الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، ج2، ص188.

(3) أطلق يزدي على هؤلاء بالمفسدين وقطاع الطرق على المسافرين والتجار والحجاج من المسلمين.يزدي، ظفرنامه، ج2، 63-64-67.

(4) فامبري، تاريخ بخارى، ص232، يو يكوبوفسكي، تيمورلنك، ص127.

(5) ميجل آنخل، قدوم الأتراك والمغول، ترجمة إبراهيم سعيد، معهد التاريخ، مدريد، ص180.

(6) يزدي، ظفرنامه، ج2، ص72.

(7) كلافيجو، سفارة إلى تيمورلنك، ص280.

(8) تيمورلنك، مذكرات تيمور، ص48.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من العشب المحشوة بالفتاويل المغموسة بالدهن، وما أن بدأ القتال حتى أضرمت فيها النار فاحترقت الجمال كلها وارتعبت الفيلة وفرت راجعة للمعسكر الهندي عندها جرحتها الشوكات الحديدية فبركت على الأرض لا تستطيع الحركة[1]، ودماؤها تسيل على الأرض. وكانت النتيجة قرار سلطان دلهي ووزيره تاركين الكثير من الغنائم ورائهم[2]، مما مكن تيمورلنك من السيطرة على دلهي بكل كنوزها، ونقل معه أهم الحرفيين الذين اشتهروا ببراعتهم في كثير من الفنون الدقيقة، وعدد كبير من الفيلة إلى حاضرته سمرقند[3]، وكان الجند لا يستطيون أن يقطعوا في اليوم مسافة كبيرة بسبب ما كانوا يحملونه من الغنائم[4]، وما كان يرافقهم من الأسرى وقطعان الماشية وقوافل العربات.

ولكن السؤال الذي يمكن طرحه: ما الذي مكن تيورلنك من إلحاق الهزيمة بجيش الهند والاستيلاء على عاصمتها؟ رغم امتلاك الهنود لأسلحة جديدة كانفجار بعضها عند ملامستها الأرض وقدور النفط المشتعل، والفيلة المقاتلة.

والأسباب كثيرة منها:

1. كان لدى تيمورلنك موارد بشرية ومادية كبيرة حصل عليها من كل المناطق التي سيطر عليها.
2. الخطة التي وضعها تيمورلنك ضد الفيلة كانت محكمة وناجحة.
3. الروح المعنوية العالية للقوات التيمورية وحب السيطرة وجمع الأموال.
4. التدهور الحاد الذي أصاب القوة العسكرية لسلطنة دلهي في ظل حكم فيروز شاه وخلفائه.
5. سوء إدارة المعركة من قبل حاكم دلهي ووزيره ملو.

---

(1) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص 96 -97 ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ج4، ص115 – 116 كلافيجو، سفارة إلى تيمورلنك، ص180.

(2) تيمورلنك، مذكرات تيمور، ص 48، ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص97.

(3) فامبري، تاريخ بخاري، ص232، الموسوعة العربية، م7، ص258.

(4) يزدي، ظفر نامة، ج2، ص117.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النتائج التي تمخضت عن غزو تيمورلنك للهند:

1. كانت الحملة العسكرية التيمورية على الهند من الأعمال المدوبة التي كان لها صدى كبير حيث أثارت اهتمام المؤرخين المعاصرين في الشام ومصر رغم بعد المسافة.
2. تفشي المرض وانتشار الفقر والخراب جراء الغزو العنيف للقوات المسلحة.
3. تفكك الهند وحكومتها المركزية، وكانت فاتحة لسلسلة من المغامرات العسكرية والاضطرابات السياسية للحقبة اللاحقة للغزو التيموري.
4. رغم المسوغات الجهادية التي ادعاها تيمور وسوغ لها لغزو الهند، فقد اتضح من أعماله أن المسلمين الهنود قد تعرضوا للتنكيل على قدم المساواة مع الهنود غير المسلمين وكانت ضربة قاسية لأحد الثغور الإسلامية الأمامية التي كانت تناضل ضد الوثنية.
5. أدى هذا النصر المؤقت إلى زيادة شهرة تيمورلنك وذيوع صيته وزيادة طموحه الذي لا يعرف حدوداً في جعله يتوجه نحو الدولة العثمانية الناشئة.
6. إن علامته البارزة الوحيدة التي بقيت حلية في الهند هي قيام أسرة المغول المسلمة لبعض المنحدرين من نسله – بابر –(Babar) بقيادة مؤسسها ظهير الدين بابر وذلك (932 – 937هـ/ 1526 – 1530م).

2-2-2 غزو الدولة العثمانية (معركة أنقرة):

أوضاع الدولة العثمانية قبيل معركة أنقرة:

كانت الدولة العثمانية قد قطعة في تلك الآونة شوطاً كبيراً في التوسع والامتداد في البر الأوروبي بفضل جيشها الانكشاري القوي، ولاسيما في عهد مؤسسها السلطان مراد الأول (761 – 791هـ/ 1360 – 1389م) وابنه السلطان بايزيد الأول (791 – 805هـ/ 1389 - 1403م) حيث نجحت حروب هذين السلطانين في أن تضم إلى الدولة العثمانية أجزاء هامة من شبه جزيرة البلقان.

ولم تسفر صيحات الاستغاثة التي أطلقتها الدول البيزنطية باتجاه أوروبا إلا عن توجيه حملة من ال فرسان الأوروبين من فرنسا وجنوب ألمانيا، لنجده الملك الهنغاري سيجيموند وكانت الحملة بمساعي الباب بوثيفاس التاسع (771 – 807هـ/ 1369 – 1404م) الذي كان يعمل على إحياء فكرة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحروب الصليبية وبالفعل زحف الفرنسيون في حملة صليبية للتحالف مع ملك هنغاريا وحدثت معركة (Nicoplice) على ضفاف الدانوب سنة 798هـ/ 1396م، انتهت بنصر ساحق حققه بايزيد على الجيوش الأوروبية وإلى ضم العثمانيين المزيد من أراضي هنغاريا إلى سلطتهم[1]، كما توسع نحو الغرب لبسط سلطته على الإمارات التركمانية في الأناضول ونتيجة لهذه الأعمال أصبح يحكم دولة كبيرة تمتد من ساحل بحر الأدرياتيك حتى هضبة أرمينية التي كانت تفصل بين املاكه وأملاك تيمورلنك، وتأتي أهم دواعي الاصطدام بين تيمورلنك وبايزيد إلى السياسة التي اتبعها كل منهما مع حكام الإمارات الصغيرة التي كانت قائمة بين أملاكهما[2].

والأمر الجدير بالاعتبار أن بايزيد الأول قد أوفد من قبله المبعوثين إلى السلطان المملوكي برقوق سنة 796هـ/ 1394م بقصد تحذيره من تحركات تيمورلنك[3].

وبالفعل كان هناك قبول وارتياح أبداه المماليك الشراكسة تجاه الانتصارات العثمانية على الأوروبيين، وصحيح أيضاً أن السلطتين العثمانية والمماليك الشراكسة كان يجمعهما روح الوفاق في بداية الأمر، وتبادل الهدايا[4]، أن هذا التوافق بين العثمانيين والشراكسة يرجع إلى أن هاتين القوتين قد تعرضتا لعدو واحد مشترك وهو تيمورلنك الذي شن غاراته على كثير من أرضا الدولتين.

---

(1) أرسلان، تاريخ الدولة العثمانية، ص65، رافق، عبد الكريم، بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت، دمشق، ط1، 1968، ص38، برجاوي، الإمبراطورية العثمانية، ص 44، آنخل، قدوم الأتراك والمغول، ص178.

(2) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص 101.

(3) عاشور، العصر المملوكي، ص256.

(4) العيني، عقدة الجمان في تاريخ أهل الزمان، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم 1584، ج25، ص25، حوادث 803.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويصدق ما ذهبنا إليه على ذلك التقارب الذي نشأ بين السلطان المملوكي برقوق والسلطان العثماني بايزيد الأول من جهة وبينهما وبين زعيم القراقونيلو قرا يوسف ذلك أن الأخير كانت تربطه بتيمورلنك علاقات عدائية وكان من اكبر مظاهرها تعرضه للنفي بأمر من تيمورلنك[1]، ولم يجد مخرجاً أمامه سوى التحالف مع العثمانيين علهم يخرجونه مما هو فيه من ظلم وجور وكان طبيعياً أن يحدث نوع من التحالفين هذه القوى الثلاث إزاء أطماع تيمورلنك.

وإن هذا التقارب لم يمنع سلاطين العثمانيين من أن يتجهوا صوب أراضي الدولة المملوكية لتحقيق أهدافهم التوسعية فقد قاموا بالاستيلاء على مدينة ملطية التابعة لدولة المماليك[2]، الأمر الذي جعل السلطان فرج بن برقوق يعلن استياءه إزاء مقاصد العثمانيين التوسعية، ولم يكن الأمر مقصوراً على ذلك بل تطور الأمر حتى رأينا كبار الأمراء في مصر يحذرون السلطان من ذلك الاتجاه العثماني الذي أظهر نواياه العدوانية تجاه المماليك[3].

أما تيمورلنك فقد وضع مخططات تهدف إلى إنشاء إمبراطورية كبرى على غرار إمبراطورية جنكيز خان، ومن أجل تحقيق أهدافه في تحقيق إمبراطورية واسعة فقد مد نشاطه العسكري من نهر الفولجا في روسيا وحتى دمشق في بلاد الشام ناشراً الخراب والدمار والمذابح في كل المناطق التي دخلها، فبعد أن ضم إقليم خوارزم إلى مملكته سنة 781هـ/ 1380م شرع في غزو فارس سنة 782هـ/ 1381م [4]، وواصل حملاته على أذربيجان وجورجيا سنة 788هـ/ 1386م واستمر على تلك الحال حتى احتلاله في العراق سنة 795هـ/ 1393م ومنها اتجه صوب أراضي بلاد الشام فاحتلها سنة 803هـ/ 1400م[5]، ثم غادرها للتحضير لصدام مع السلطان العثماني بايزيد الأول، ولما بلغ تيمورلنك وهو بقراباغ أن بايزيد استولى على أرزنجان وأخذها[6]، شكلت سببا من ضمن الأسباب التي أدت إلى المواجهة بين

(1) القرماني، أخبار الدول وآثار الأول، ص336.

(2) العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، حوادث سنة 803.

(3) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج12، ص174.

(4) البدليسي، شرفنامه، ج2، ص59.

(5) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج6، ص727، ص728.

(6) ابن الشحنة، روضه الناظر، ج12، ص 197.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القوتين المغول والعثمانيين لما استقبل تيمورلنك في بلاطه أبناء الأمراء التركمان الذين فقدوا إماراتهم في الأناضول على يد بايزيد وطلبوا حمايته فأجابهم إلى ذلك[1]، وفي هذه الآونة أرسل مانويل إمبراطور القسطنطينية مع زعماء الجنويين المستقرين في بيرا رسائل إلى تيمور يقولون فيها إنه إذا كان على نية القتال مع الأتراك، فإنهم سوف يقدممون له العون بالرجال والغلاليين، ووعدوه بشكل أكيد بالقيام مباشرة أو خلال وقت قصير بتسليح سفن الحرب لديهم، ومركزتها في الدردنيل،وبذلك فإن القوات التركية الموجودة في بلاد اليونان وفي تركيا الأوروبية لن تكون قادرة على المرور عائدة إلى آسية الصغرى، وبذلك سوف يكون بإمكان تيمور التعامل بشكل أفضل ما بايزيد وعلاوة على ذلك بعث اليونان إلى تيمور ووعدوه بمبلغ كبير من المال[2]، ويبدون أن تيمور قد رحب بهذه الدعوة التي قد تساعد في تحقيق رغبته في الاستيلاء على ممتلكات الإمبراطورية الإيلخانية لأنه كان يعد نفسه الوريث الشرعي لها[3]، وفي الوقت نفسه كان طهارتن صاحب مدينة أرزنجان قد سمع بتيمور وبأعماله الجبارة وكيف خضع له جميع امراء فارس وبناء عليه أرسل طهارتن رسلاً إلى تيمور مع هدايا ورسائل وألتمس منه القدوم لمساعدته ضد الترك وعرض عليه أن يضع نفسه وأراضيه كاملة تحت تصرفه وبخدمته وبناء على هذا أرسل تيمور رسولاً إلى السلطان بايزيد أخبره فيها بأن المير طهارتن أصبح من رعيته وتابعاً له ولذلك لا يمكنه أن يسمح بإلحاق الإهانة به[4].

يضاف إلى ذلك أنه في سنة 802هـ/ 1399م لاذ أحمد جلاير حاكم العراق وقرا يوسف التركماني بالفرار من عساكر تيمورلنك والتجئا إلى بلاد السلطان بايزيد حتى بلغا أنقرة وحظيا بمقابلته فأكرم وقادتهما وأقطع أحمد جلاير أموال مقاطعة كوتاهية ليعيش منها وأقطع قرا يوسف أموال مقاطعة آق شهر[5]،

(1) مقديش محمد، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، ص1988م، ج2، ص9.

(2) كلافيجو، سفارة إلى تيمورلنك، ص152، ميخيل، قدوم الترك والمغول، ص140.

(3) برناردين، الإمبراطوريات الآسيوية في القرن الرابع عشر، ترجمة قاسم عبده قاسم، جامعة نابولي، ص118.

(4) كلافيجو، سفارة إلى تيمورلنك، ص148.

(5) البدليسي، شرفنامه، ج2، ص64 – 65.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويبدو أن هذا الأخير كان السبب المباشر للحرب بين القوتين الإسلاميتين الناشئتين حديثاً، فخلال سنة 802 هـ/ 1399م قام قرأ يوسف بالهجوم على قافلة الحجاج المتجهة إلى الحرمين الشريفين وتعدى عليها وأزعجها فجاء آنذاك الناس إلى تيمور وطلبوا حمايته من جرائمه الوحشية ومظالمه في حينها اعتبر تيمور هذا الهجوم كأنه استفزاز لشخصه واصبح من واجبه القيام بمطاردة قرأ يوسف التركماني ومعاقبته وإيقاظ بايزيد من غفلته وتقصيره وإهماله[1]، فأرسل في البداية خطاباً قوياً إلى بايزيد يطلب منه معاقبه المعتدي وتسليمه في حين كان رد بايزيد قاسياً وقوياً حيث قال: "او يخيفني بهذه الترهات ويستفزني بهذه الخزعبلات أو يحسب أنني مثل ملوك الأعاجم أو تتار الدشت الأغنام.... وخاطبه بالحرامي وسفاك الدماء رافضاً طلبه..."[2].

وثمة أسباب أخرى منها اقتصادية حيث كان يريد تيمور السيطرة على الطريق الممتد ما بين شمال فارس والأناضول ليربط بين المدن الكبرى في آسيا الوسطى وهو طريق الحرير الذي ينتهي عند تبريز والقسطنطينية في الغرب[3]، ومهما تعددت الأسباب والعوامل فقد كان تيمور يزعم أن الآخرين قد فقدوا حماستهم الدينية وأن عليه إعادتهم إلى جادة الصواب إلا أن قناعة تقول بحسب ما كان يعتقد: "لا يستحق العالم كله حاكمان"[4]، وبالفعل كان يطمح بأن يصبح سيد العالم، ويرى نفسه بوصفه صاحب السلطان المطلق على قبائل الترك أحق بأن يدين الناس له بالولاء من أتباع السلاجقة السابقين[5]، وربما كان يطمع بمنصب الخلافة الإسلامية ونقلها إلى سمرقند.

ب- استعداد العثمانيين للقتال:

(1) تيمورلنك، مذكرات تيمور، ص52 – 53، الشامي، ظفرنامه، ص248، البدليسي، شرفنامه، ج1، ص388.

(2) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص214- 215.

(3) برناردين، الإمبراطورية الآسيوية في القرن الرابع عشر، ص340.

(4) بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص228.

(5) فامبري، تاريخ بخارى، ص 234.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شعر بايزيد بالأخطار التي تنتظر بلاده وما حولها من المناطق التابعة للدولة المملوكية ولاسيما بعد أن رفض تسليم أحمد بن أويس الجلائري وقرأ يوسف لتيمورلنك اللذين كانا قد لجأ إليه أثناء هروبهما من بغداد بعد سقوطها في أيدي المغول عندها تأكد من أن القتال بينه وبين تيمور واقع لا محالة[1]، وبدأ بالفعل في اتخاذ بعض الإجراءات والتدابير اللازمة لمجابهة تيمور ولاسيما لما اجتاح تيمورلنك سيواس سنة 803هـ/ 1400م حينها أرسل بايزيد وفداً إلى سلطان المماليك فرج بن برقوق يحذره من خطر تيمورلنك وفي الوقت نفسه يطلب التحلاف بين العثمانيين والمماليك مقدماً عرضاً جاء فيه - أن يتقدم بقواته العثمانية إلى سيواس ليغير على مؤخرة عساكر تيمورلنك في الوقت الذي يتصدى فيه نواب السلطان المملوكي في بلاد الشام له من الأمام[2]، فكان رد السلطان المملوكي فرج الرفض حيث قال: (يقاتل هو عن بلاده ونحن نقاتل عن بلادنا ورعيتنا)[3]، ومن هنا يمكن القول إن المصلحة عندئذ كانت تقتضي اجتماع الطرفين معاً وتناسى الخلاف لأنه لم يكن باستطاعة تيمور مقاومة الفريقين معاً، وقد ذكر يوسف بن تغري بردي نقلاً عن صديق له من رجال الحكومة هو اسنباي الظاهري الزردكاش أنه وقع أسيراً بيد تيمور فصبرح له الغازي الرهيب أنه لم يكن يخشى سوى عسكرين فقط، عسكر المماليك وعسكر العثمانيين، يعلق ابن تغري بردي على هذا القول: "فلو اتفق هذان الجيشان أمام جيش تيمورلنك لاستطاعا صده"، وهذا يعد من المآخذ التي يراها بعض المؤرخين على السلطان فرج باعتباره أتاح فرصة ذهبية لتيمورلنك لمواجهة كل طرف على حده، وفي الوقت نفسه فشلت المساعي العثمانية في ترميم الخلاف بين الطرفين وتحسين صورتها أمام المماليك الذين كانوا يتوجسون خيفة منها فينقل العسقلاني رأياً لابن خلدون يقول: ما يخشى على ملك مصر إلا من ابن عثمان[4].

ومن ضمن الإجراءات التي قام بها بايزيد هو رفع الحصار عن القسطنطينية والأمر بحشد كل جيشه والأسطول الأناضولي المؤلف من فرق ايدين وصرخانديا وكاريس وحميد وتكا وكرمان وجيرميان وسيواس والقوات من روملي الذين كانوا يحاصرون العاصمة البيزنطية واستدعى الجنود غير النظاميين

(1) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص420.

(2) ابن دقماق، النفحة المسكية في الدول التركية، ص314.

(3) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج12، ص174، ص175.

(4) ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر في انباء العمر، ج1، ص492.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والأمراء المسيحيين الأفصال – البلغار والصرب[1]، وشارك خمسة من أولاد بايزيد في معركة أنقرة بما يدل على الأهمية التي أولاها لهذه المعركة.

خطة بايزيد:

1. حاول نقل المعركة إلى خارج منطقته لمنع تيمورلنك من التوغل في بلاده بهدف تجنيب البلاد الخسارة والخراب مع حلول موسم الحصاد ونضج المحصول[2].
2. رفع الحصار عن القسطنطينية لكسب ود خصمه التقليدي لبعض الوقت والتفرغ لعدوه الجديد ومحاولة وضع الأوروبيين في موقف المحايد[3].

د- أحداث المعركة:

بدأت معركة أنقرة في فجر يوم 27 ذي الحجة سنة 804هـ/ تموز 1402م، واستمرت حتى المساء[4]، كان تيمور يخشى من المعركة مع بايزيد لذلك قضى ليلة المعركة في التفكير والتضرع وفي الصباح أشرف بنفسه على ترتيب عساكره[5]، عندها سلم بايزيد للأمر الواقع حيث وجد نفسه مرغماً على خوض المعركة في أرض مكشوفة لم يكن يحسب لها حسابا ربما يعود لتقصير جواسيسه[6]، وعماله في كشف خطة تيمور الحربية قبل تطبيقها[7]، وكانت عساكره متعبة ومنهكة بعدما استدرجه تيمور عبر طريق ملتوية استغرقه في الوصول إلى أنقرة أسبوعاً كاملاً[8]، حينها ظهرت حنكة تيمور فى تقدير الموقف ومعرفة جغرافية الأرض فقرر ان يتخذ لعساكره، مكاناً ملائماً بالقرب من أنقرة حيث المرعى

(1) ميخيل، قدوم الترك والمغول، ص183.

(2) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص 173، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج4، ص126،

(3) هارولد لامب، تيمورلنك، ص 144.

(4) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص177، يزدي، ظفرنامه، ج2، ص314، البدليسي، شرفنامه، ج2، ص64، عباس إقبال، تاريخ إيران، ص606.

(5) الشامي، ظفرنامه، ص 255، يزدي، ظفرنامه، ج2، 305.

(6) برجاوي، الإمبراطورية العثمانية، ص46.

(7) ستوف، حياة جنكيز خان، ص170.

(8) لامب، تيمورلنك، ص148.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والكلأ والماء[1]، وهذا ينم عن الخبرة العسكرية التى كانت تتخلى بها القيادة التيمورية علاوة عن الانضباط والطاعة العمياء.

ويروي تيمور في مذكراته أنه أثناء اشتباكه مع بايزيد قد أمر ميران شاه قائد ميمنة قواته أن يزحف مباشرة على ميسرة عساكر بايزيد وأمر سلطان محمود خان وسليمان اللذين كانا يقودان ميسرته بأن يهاجما ميمنة عساكر يايزيد وأصدر توجيهاته إلى أمير زاده أبي بكر الذي كان قائد الاحتياط في الميمنة بان يزحف ويهاجم فوج بايزيد الذي كان متمركزاً فوق مكان مرتفع وأخيراً قام هو بنفسه مع قواته بالهجوم الشامل[2].

حينها كانت القيادة العثمانية تعاني من التفكك وعدم الانسجام في التخطيط للمعركة وكان يعوزهم في حربهم هذه ضد إخوانهم في الإسلام تلك الحماسة الدينية التي ألهبت نفوسهم في الحروب الأخرى التي خاضوها ضد أوروبا بمقدرة وشجاعة فائقتين شهدت لها المصادر الأوروبية علاوة على هذا لم تدخل العساكر المسيحية الإضافية المعركة تحت لواء بايزيد إلا على كره [3] وفوق هذا انفصال طوائف كرميان ومنتشالو[4]، عن عساكر بايزيد والتحقت بعساكر تيمور مما أضعف قوة بايزيد وفتور همتها ومن ثم هرب ابنه سليمان بعساكره وقصد مدينة برصا[5]، مما زاد في ارتباك عساكر بايزيد ولم يبق معه إلا نحو خمسة آلاف[6]، ولاسيما بعد فرار القوات الصربية أيضاً فغضب بايزيد وقامت قيامته

---

(1) ستوف، حياة جنكيز خان، ص170.

(2) تيمورلنك، مذكرات تيمور مدبر العالم، ص 138.

(3) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص422.

(4) كرميان: عشيرة سكنت بجوار ملطية وانتقلت إلى أنقرة وكوتاهيه وأول أمير منهم مظفر ال دين غليمشير، أدهم خليل، الدول الإسلامية، مطبعة استانبول 1928م، ص 292، بنومنتيشا: أقاموا لهم دولة حوالي سنة (700هـ/ 1300) أثناء انهيار دولة سلاجقة الروم في إقليم قاريا والذي يعرف حالياً بولاية منتشان أدهم: الدول الإسلامية، ص 283.

(5) برصا أو بروصا: مدينة كبيرة في شمال بلاد الروم كان مقر أولاد عثمان، انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص283.

(6) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص 176، البدليسي، شرف نامه، ج2، ص 64، ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج4، ص127.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لهذه الحال وقرر الاستمرار في الحرب بتهور دون تقدير للنتائج[1]، كما أساء توزيع جنده فلحقت به الهزيمة القاسية بعد أن استمات في القتال وبشجاعة فائقة بروايات المصادر الرسمية[2].

أما موسى الابن الثاني لبايزيد فقد كان حذراً في موقعه وسط عساكر والده وفضل أن يكون مجرى المعركة أمام صفوفه فيستدرج قوات العدو نحوه لا أن يتقدم إليها إلا أن مقتل بيتربيز لازاروس[3]، وفرار عساكره الصربيين حالا دون ذلك، مما أرغم فوج سليمان على التراجع عندهم قامت ميمنة المغول وميسرته بتطويق العساكر العثمانية كفكي كماشة وحاصروهم وفي الوقت نفسه كانت أفيال المغول تثير الرعب في نفوس العثمانيين[4]، ويمكن القول إن المغول طبقوا المبدأ القتالي المعروف وهو التراجع للوسط ثم التطويق والإطباق من الجانبين.

ولما رأى بايزيد كيفية تطور مسار المعركة ووصول النجدات المغولية أدرك صعوبة الوضع واستولى عليه اليأس ولاسيما بعد أن صرع حصانة ولم يعد بإمكانة الفرار عبر صفوف أعدائه[5]، وبدأ الوهن يصيبه وعساكره فلم يكن أمامه إلا أن اتخذ قراراً بالهجوم العام على أعدائه إلا أن الإخفاق كان نصيبه[6]، فقبض عليه أسيراً مع ابنه موسى دون أبنائه الآخرين سليمان ومحمد عيسى الذين نجحوا في الفرار[7].

وهكذا انتصر تيمور وأصيبت الدولة العثمانية بنكبة أوقفتها مؤقتاً عن النمو ودخل تيمور مدينة أنقرة وأرسل فرقاً من عساكره إلى مناطق على البحر لاجتياحها.

---

(1) علي رشاد، تاريخ عمومي، استانبول، 1348هـ، ص309، شهاب، تيمورلنك، ص347.

(2) كامل باشا، تاريخ سياسي دولة عليه عثمانية، بدون تاريخ طبعة، ص 50، ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص177، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج2، ص 210، أبو بكر الصدقي، تاريخ دول الإسلام، مطبعة الهلال، مصر، 1325هـ/ 1907م، ج2، ص 162.

(3) بيتر بيز لازارويس – لم أجد له تعريف بين المصادر التي اطلعت عليها.

(4) ابن اياس، بدائع الزهور، ص 659 – 660، لامب، جنكيز خان، ص 68.

(5) مصطفى، موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، ج3، ص 1440.

(6) القرماني، أخبار الدول وآثار الأول، م2، ص504، لامب، تيمورلنك، ص150.

(7) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص 180.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقال أن بايزيد أوصى تيمور بثلاث وصايا لما كان في أسره لإدارة البلاد:

1. **أن لا يهدم القلاع والحصون لأنها معاقل المسلمين والمجاهدين.**
2. **أن لا ينكل بالعثمانيين فإنهم درء في الإسلام، ولن يستفيد من هذا العمل إلا البيزنطيون وحلفاؤهم.**
3. **أن لا يترك التتار بهذه البلاد فإنهم من أهل الفساد وأن لا يأمن لهم[1].**

فقبل وصيته في الأمور الثلاثة وعمل حيلة قتل فيها غالب رجال التتار[2]، ويرون أنه أرجعهم إلى بلادهم وشتت بهم[3].

هذا وقد اختلفت المصادر التاريخية حول معاملة تيمور للسلطان بايزيد الأول حيث ذهب البعض منها إلى القول إن تيمور أكرمه وأحسن معاملته وأسف لموته في آق شهر بالأنضاول في 14 شعبان 805هـ/ آذار 1402م [4].

أما البعض الآخر فيقول إن تيمور وضع بايزيد مكبلاً في قفص من الحديد وأساء إليه فكانت مصدر ألم نفسي له فأخذت صحته في التدهور وأصيب بمرض ضيق التنفس[5]، وربما تعود حالته النفسية نتيجة لما كان يعانيه من حزن وقهر وشعور بالخجل لاسيما لما رأى زوجته وحاشيته يعملن كساقيات لتيمورلنك في مجالسه[6]، إضافة إلى الأخبار التي كانت تصله عن أبنائه ومنازعاتهم [7].

---

(1) ابن عربشاه، عجائب المقدور، المصدر السابق، ص192 – 193، القرماني، أخبار الدول، ص 504.

(2) العسقلاني: أنباء الغمر، ج2، ص 269، العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج2، ص 256.

(3) يزدي: ظفر نامه، ج2، ص358.

(4) يزدي، ، ج2، ص 349، دائرة المعارف الإسلامية، م6، ص 162.

(5) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج4، ص128.

(6) لامب، تيمورلنك، ص151.

(7) البدليسي، شرفنامه، ج2، ص64.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وثمة أسباب عديدة لهزيمة بايزيد منها اعتزازه العميق بالقوة العسكرية الضخمة لديه فضلاً عن الثقة الزائدة بالنفس والتي تجلت في الاحتفالات والولائم باعتبار أن النصر قادم لا محالة[1]، سوء تقدير عيونه الاستكشافية المتقدمة لحركة الجيش التيموري كان له بالغ الأثر في تحديد نتيجة المعركة وكان التقويم الخاطئ من جانب سليمان بن بايزيد بشأن المعركة القادمة بين كل من والده وتيمور وجهل بايزيد بدهاء تيمور العسكري والإرباك العميق الناتج عن جهله لحركات تيمور الميدانية كلها أثرت في معنوياته وقدرته على المناورة.

وكان للنقص في التزود بالطعام والشراب لوجود جيش تيمور حائلاً بين جيشه ونهر هاليس والمناطق الزراعية وإقدامه على إحراق السهول ذات العشب خلفه أثناء التقدم كان له بالغ الأثر في خسارة بايزيد المعركة علاوة عن فقدان الوحدة الداخلية في صفوف جيشه ووجد تيار من بين الأمراء العثمانيين يخالف نشوب الحرب ويعارضها ويرى أنه من الأجدى والأفضل حل المسألة بالطرق السلمية من خلال التضحية بالتنازلات السياسية وتيار آخر يؤيد خوض هذه الحرب، وانضمام قوات الإمارات التركية التي انضوت قبل برهة وجيزة تحت لواء الحكم العثماني لما شاهدت هذه القوات أمراءها السابقين يقاتلون في جيش تيمور وزاد الأمور سوءاً فرار القوات الصربية[2]، وانسحاب التتر من صفوف العثمانيين وهي جماعات من التتار استقرت في بعض مناطق آسيا الصغرى منذ أيام الغزو المغولي[3].

أسباب انتصار تيمور:

1. قدرة تيمور العسكرية والخبرة في المناورة والتي كان لها بالغ الأثر في خداع بايزيد وإدخاله في معارك فرعية أثرت على قوة عساكره.
2. الحنكة السياسية لتيمور في إدارة الصراع من الناحية السياسية بالحديث عن السلم والمصالحة كان لها دور في التأثير على تيار داخل الصف العثماني.
3. المهارة الاحترافية لعيون تيمور والقدرة الأمنية التي أعجزت بايزيد عن اكتشاف مراكز عساكره مما أدى إلى إنهاك عساكره من السفر.

---

(1) العسلي بسام، الفاتح القائد، دار النفائس، ط1، بيروت، 1986م، ص208، الجمل، الفن العسكري المغولي، ص208.

(2) كامل باشا، تاريخ سياسي دولة علية عثمانية، ص 50، ، شهاب، تيمورلنك، ص 347.

(3) ابن عربشاه، عجائب المقدور في نوائب تيمور، ص 176.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4. نقل المعركة إلى داخل أرض الخصم والتوغل في أرضية فأثر معنوياً ونفسياً في جيش بايزيد.
5. الخطة العسكرية المبنية على نظرية استدراج الخصم إلى أرض المعركة المحددة سلفاً والتي تعد النصر الأول على العدو[1].

هـ- نتائج معركة أنقرة:

إن انتصار تيمورلنك في معركة أنقرة سنة 804هـ/ 1402م تعد من أكثر الحروب تأثيراً في تلك ا لحقبة أتاح للإمبراطورية البيزنطية مدة إضافية من الحياة بلغت زهاء خمسين سنة[2].

حين اضطر بايزيد أن يرفع الحصار عن القسطنطينية وكاد سقوطها يقع خلال فترة وجيزة بحسب رأى بعض المصادر التاريخية[3]، حينها كانت الإمبراطورية البيزنطية المستفيدة الوحيدة من انتصار تيمورلنك لذلك سارع إمبراطور بيزنطة مانويل باليولوغ بالعودة إلى بلاده بعد أن غاب عنها ثلاث سنوات وهو يستجدي ملوك أوروبا دون أن يحظى منهم بما كان يأمل به من مساعدات[4].

وكان لهزيمة العثمانيين صداها الواسع ولاسيما في أوروبا حيث سارعت بعض الدول الأوروبية التي كانت تخشى من عواقب التوسع العثماني في هذه القارة إلى تنشيط علاقاتها مع تيمور فقد أرسل ملكا فرنسا وإنجلترا التهاني لتيمور بهذا النصر وأوفد الملك الإسباني بعثة سفيره كلافيجو الشهيرة إلى سمرقند وكانت فرنسا تتوق منذ أمد إلى عقد تحالف مع تيمور ضد العثمانيين والمماليك ووجد تيمور بعد أنقرة أن يستجيب لذلك فأوفد بعثة زارت فرنسا وإنجلترا وأسبانيا سنة (805هـ/ 1402م).

وفي الوقت نفسه كان انتصار تيمور قد انعكس سلباً على العلاقات بينه وبين بعض المراكز الصليبية التي كانت لا تزال قائمة على سواحل آسيا الصغرى على بحر إيجه ويعود سبب ذلك لمخالفة إمبراطور القسطنيطينة مع جنوى برا للاتفاق الذي عقدوه مع تيمور فسمحوا للقوات التركية التي

(1) بالفعل شهد العدو قبل الصديق على الحنكة العسكرية لتيمور حيث شهد أغلب انتصاراته وهو على أرض المعركة وبنى إمبراطورية خلال فترة وجيزة انتهت بنهايته.

(2) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص 170، جودت، تاريخ جودت، مطبعة دار العامرة، 1257، ص7.

(3) برجاوي، الإمبراطورية العثمانية، ص 48.

(4) سفارة إنريكي الثالث القشتالي إلى تيمورلنك، الموسوعة العربية، ص189 م7.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كانت في أوروبا بالعبور فوق الدردنيل إلى آسيا الصغرى وبعد المعركة ساعدوا الترك أثناء فرارهم من معركة أنقرة بالعودة سالمين إلى تركيا الأوروبية وقد نقلهم اليونان ومكنوهم من العبور على سفنهم وفي الحقيقة بسبب هذه الخيانة كان تيمور في حالة عداء مع الإغريق ومنذ ذلك الوقت فصاعدا عامل الجماعات المسيحية في جميع أرجاء ممتلكاته بكثير من القسوة[1].

نجح تيمور بعد معركة أنقرة في تحقيق أهدافه السياسية والاقتصادية في الوصول إلى القسطنطينية وتقويض أركان الدولتين العثمانية والمملوكية، وبالفعل سارع الناصر فرج ابن برقوق إلى مراسلة تيمور وسلم للأمر الواقع وقد وصف تيمور بالكثير من الألقاب والتمجيد والشرف ووقع معاهدة سلام ختمت بقول فرج بن برقوق (بأول الصفو هذا آخر الكدر) وتوجت المعاهدة بالقبض على ابن أويس وقرأ يوسف وإطلاق سراح رجل تيمور أطلمش[2]، وتبودلت الهدايا بين الطرفين[3].

استولى تيمور بعد هزيمة بايزيد على أزنيق وبروسه[4]، وغيرها من المدن والحصون ثم دك أسوار أزمير وخلصها من قبضة فرسان رودس وفرسان القديس يوحنا[5]، محاولاً بذلك أن يسوغ موقفه أمام الرأي العام الإسلامي الذي اتهمه بتوجيع ضربة شديدة للإسلام بانتصاره على الدولة العثمانية، كما حاول تيمور بقتله لفرسان القديس يوحنا أن يضفي على معارك الأناضول طابع الجهاد.

وأعاد تيمور أمراء آسيا الصغرى إلى أملاكهم السابقة ومن ثم استرجاع الإمارات التي ضمها بايزيد كما بذر تيمور الشقاق بين أبناء بايزيد المتنازعين على العرش[6].

---

(1) كلافيجو، سفارة إلى تيمورلنك، ص 153.

(2) القلقشندي، صبح الأعشى، ج7، ص 349 – 351.

(3) ابن الشحنة، روضة الناظر، ج12، ص 197، كلافيجو، سفارة إلى تيمورلنك، ص19.

(4) أزنيق: كانت تعرف بنيقيه التي أخذها السلطان أورخان العثماني من الروم وقد أطلق عليها العرب بنيقية أما الترك فعرفوها باسم يزنيق أو أزنيق. لسترانج، بلدان الخلافة، ص190، بروسه أو برصا: مدينة بآسيا الصغرى تشتهر بجمالها وهوائها كانت عاصمة للدولة الثعمانية، لسترنج، بلدان الخلافة، ص189.

(5) دائرة المعارف الإسلامية، ص162، الجوابرة، موسوعة الخلفاء، ص 169 – 170، لم أجد تعريف لفرسان القديس يوحنا في المصادر التي اطلعت عليها.

(6) الجوابرة، موسوعة الخلفاء، ص168.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولم تكن في خططه الإقامة والاستقرار في المناطق التي اجتاحها فبعدما قام عساكره بأعمال السلب والنهب وإنزال الدمار التام بهذه البلاد والعمل على إقامة حكم يدين له بالولاء والطاعة عندها رحل بعساكره إلى عاصمته سمرقند سنة (805هـ/ 1402م)[1].

3-2-2 توجه تيمورلنك لغزو الصين (807هـ/ 1405م):

أوضاع الصين قبيل الغزو التيموري:

كانت الصين أيام الغزو المغولي في عهد جنكيز خان مقسمة إلى ثلاث ممالك يحكمها ثلاث أسر:

1. أسرة سنغ (Sung) وقامت جنوب نهر اليانتسي (Yangtze) جنوب الصين.
2. أسرة التنغوت (Tangut) في إقليم كانسو (Kansu) في الشمال أسسها شعب تيبيتي.
3. أسرة كن Kin التتارية في شمال الصين وديارهم كاثاي[2].

استطاع جنكيز خان في سنة (613هـ/ 1215م) من قهر التنغوت ومن بعدهم الكن التتار واستولى قادة جنده على خان بالق[3].

وعندما مات جنكيز خان في سنة (625هـ/ 1227م) وتولى ابنه تولوي الرئاسة في منغوليا وعاصمتها قراقروم، اما ابنه قبلاوي (655 - 694هـ/ 1257 - 1294م) الذي خلفه خاناً كبيراً فقد استولى على الصين متخذاً من خان بالق عاصمة له وللأسرة التي أسسها وهي أسرة يوران التي ما لبثت أن سقطت وحلت محلها أسرة صينية وعاش في خان بالق حيث عمل ماركوبولو في خدمته، وبحكم أنه كان الخان الكبير فقد دفع الجغتائيون أصحاب سمرقند الجزية له وضعفوا، وفي سنة 772هـ/ 1370م كان اسم الأسرة المغولية الحاكمة لدى الصينيين يون وقد حل محلها أسرة صينية محلية تعرف باسم (Ming) وكان مؤسسها هو الإمبراطور هونغويو (Hongwou) الذي توفي في سنة 802 هـ/ 1399م

---

(1) فامبري، تاريخ بخارى، ص 235.

(2) لي شه شانغ، رحلة الراهب الطاوي، ص396.

(3) خان بالق هي بكين واصل الكلمة هايتلي وهو الاسم التاريخي لبكين في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، م4، ص151.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وخلفه من بعده ابنه شنغتسو (Chingtsu) ويعرف باسم الإمبراطور يان يو (Yamglo) (1403 – 1425م)[1]، وقد سعى للحصول على الجزية من تيمورلنك، ويصف لنا كلافيجو وهو شاهد عيان، السفارة الصينية إلى تيمورلنك بالقول: "أجلسونا في مكان أدنى من المكان الذي كان معداً لرسول إمبراطوار الصين وقد طلب السفير من تيمورلنك دفع الجزية المستحقة لمولاه والتي دفعها تيمورلنك من قبل سنة تلون أخرى، وفي تلك اللحظة انتبه تيمور إلى أننا نحن السفراء الإسبان قد منحنا مقاعد دون مقعد سفير إمبراطور ا لصين، وبناء عليه بعث رسالة أمر فيها بوجوب إجلاسنا فوق وذلك السفير تحت، ووصل واحد من السادة وتقدم بناء على طلب تيمورلنك وقام بمخاطبة سفير الصين بشكل علني مكشوف وصرح بأن صاحب المعالي قد أرسله لإخبار هذا الرجل الصيني بأن سفراء ملك اسبانيا الذي هو صديق جيد لتيمور وولده ينبغي أن يجلسوا في مكان فوق سفير ملك الصين الذي هو لص ورجل فاسد وعدو لتيمور وسوف يتدبر بعد وقت قصير الأمور حيث يجعل ما من صيني يتجرأ على القدوم بسفارة مثل السفارة التي جاء بها هذا الإنسان"[2]، وأشار إلى هذا السلوك الذي يسلكه تيمورلنك معه الوفد الصيني أنه لن يدفع أية ضرائب، وأن على الإمبراطور الصيني أن ضحر لمقابلته في سمرقند".

ويذكر كلافيجو أنه قبل وصولهم إلى سمرقند مباشرة وصلت قافلة مؤلفة من ثمانيماة جمل محملة بالتجارة من الصين وحينه خا كان تيمورلنك قد عاد من حملته الغربية فاستقبل السفارة الصينية حاملة له رسالة من إمبراطور الصين، وقد أمر على الفور باعتقال جميع رجالها ووضعهم في السجن وصادر البضائع[3]، وعلى ما يبدور فإن تيمورلنك في بداية حكمه كان على علاقة جيدة مع إمبراطور الصين وقد تبودلت السفارات بين الطرفين، وعندما أحكم تيمورلنك سيطرته على أجزاء كبيرة من آسيا، بدأت العلاقات تتوتر بين الطرفين لاسيما أن تيمورلنك استغل وفاة (الإمبراطور الصيني) الذي قسم إمبراطوريته بين أولاده الثلاثة حيث دب الخلاف بينهم بسبب محاولة كل واحد الانفراد

(1) ذكره كلافيجو باسم كزخان Chayscon وهو لقب معناه إمبراطور الإمبراطوريات التسع لكن التتار يسمونه تنقوز Tanguz ومعنى هذا بالنسبة إليهم الإمبراطور الخنزير، وفى الماضي كان تيمورلنك مرغما على أن يدفع الجزية إليه. كلافيجو، سفارة إلى تيمورلنك، ص245.

(2) كلافيجو، سفارة إلى تيمورلنك، ص 244 -245.

(3) كلافيجو، ، ص318.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالإمبراطورية لنفسه[1]، وكان تيمورلنك يفكر في غزو بلاد اصلين منذ كان ببلاد الروم إذ بعث إليها أميره داد الله زوده بمعلومات عنها فلما عرف أحوالها جهز إليها جماعة من رؤوس دولته وهم: بردبك وتغري بردي، وصعدات الناصي، وأمرهم بالذهاب إلى الأمير داد الله بمدينة أشباره[2] والقيام ببناء قلعة لكي تكون له معقلاً يلجأون إليها إثر توجههم إلى بلاد الخطأ المحاددة للصين[3].

لم ينس تيمورلنك أن يعطي مسوغاً لحربه ضد الصين شأنه في ذلك مع بقية المناطق التي غزاها، وهو الجهاد والفتح ضد مناطق الكفر والفساد[4]، وقد اتضح في رده على رسالة إمبراطور الصين التي حملتها السفارة الصينية كان فحواها: "إن كل الناس يعلمون في رده بأن تيمور كان محتلاً لأراضي كانت من قبل إقطاعاً للصين وكانت تدفع عنها الجزية سنوياً إلى إمبراطور الصين لكن في السنوات السبع المنصرمة ما من جزية دفعت وعلى تيمور أن يدفع هذا المبلغ المستحق مباشرة"[5]، وكان جواب تيمور إلى السفراء بأن ذلك كان صحيحاً وإنه سيدفعها لكنه لن يتبعهم ويثقلهم بحملها، سيحملها بنفسه للإمبراطور[6].

ولاشك في أن إخضاع الصين تحت حكم تيمورلنك يعد خطوة هامة في مخططه الطموح للسيطرة على العالم. ولتحقيق هدفه عقد اجتماع قوريلتاي حضره أحفاده وأمراؤه لدراسة مشروع الحملة وتحدث في الاجتماع وأشار إلى سيطرته على كثير من ممالك العالم وخضوع حكامها وتكلم عن كثرة قواته وبين للحاضرين ما بدر من حكام الصين من جرائم وزلات وعرض عليهم آخر ما استقرت عليه العلاقات بينه وبين إمبراطور الصين وأيد جميع الحاضرين اقتراحاته[7].

---

(1) كلافيجو، ، ص317.

(2) أشبارة لم أجد لها تعريف في المصادر.

(3) ابن عربشاه، عجائب المقدور في نوائب تيمور، ص 219، ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ج4، ص128، 129.

(4) يزدي، ظفرنامه، ج2، ص450.

(5) كلافيجو، سفارة إلى تيمورلنك، ص 317.

(6) كلافيجو، ، ص317.

(7) يزدي، ظفر نامه، ج2، ص447.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فأمر عساكره أن يأخذوا الأهبة لمدة أربعة سنوات فاستعدوا لذلك، منها تصنيع خمسمائة عجلة تحمل المعدات[1]، وجمع المؤن والعتاد ومائتي ألف جندي من بلاد ما وراء النهر وخوارزم وبلاخ وبذخشان وانخرط في عداد هذه القوات التتر الذين جئ بهم من بلاد الروم بعد معركة أنقرة[2].

خرج تيمورلنك بموكبه من سمرقند في (23 جمادى الأولى سنة 807هـ/ 28 تشرين الثاني 1404م) وكان الفصل خريفاً والجو شديد البرد والثلوج تتساقط، فعبر نهر سيحون المتجمد ونزل عند اترار، وحينها اشتدت العلة عليه حتى أعلن طبيبه فضل الله أن حالته قد باتت ميئوساً منها[3].

ومن المحتمل أن البرد الشديد أذاه بسبب كبر سنه وأصبح لا يتحمل مشقة السفر والارتحال لاسيما في مثل تلك الظروف المناخية السيئة وكان يعاني من الوقت نفسه من المرض قبل قيامه بالغزو وقد أشار السفير كلافيجو إلا أن تيمورلنك قد امتنع عن مقابلة السفراء في الآونة الأخيرة بسبب مرضه الذي أقعده عن أمتطاء جواده وقد كان أحياناً يحمل على محفه إلى خارج سمرقند للإشراف على مشاريع البناء التي كان يتم تنفيذها حينها[4].

أما ابن عربشاه فيذكر "أن حرارة العرق المقطر من الخمر قد أثرت على كبده وأمعائه فالتهب مزاجه حتى ضعف بدنه وأطباؤه يعالجونه وأخذوا يضعون الثلج على بطنه لارتفاع حرارته فتلفت كبده وصار يضطرب ولونه يحمر لمدة ثلاثة أيام حتى وافته المنية"[5]، في يوم الأربعاء 17 شعبان 807هـ/ 18 شباط 1405م، عن عمر يناهز الواحدة السبعين سنة بعد أن حكم ستاً وثلاثين عاماً[6]،

---

(1) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج4، ص129.

(2) يزدي، ظفر نامه، ج2، ص 450، يويكوبوفسكي، تيمورلنك، ص127.

(3) فامبري، تاريخ بخاري، ص236.

(4) كلافيجو، سفارة إلى تيمورلنك، ص 310.

(5) ابن عربشاه، عجائب المقدور في نوائب تيمور، ص221، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج4، ص130.

(6) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص 222، يزدي، ظفرنامه، ج2، ص468 – 469، دائرة المعارف الإسلامية، م7، ص162.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والتف حول فراشه أبناؤه وأحفاده ورفاقه حيث وأوصاهم بالاتحاد والتآلف والطاعة لحفيده بير محمد الذي أعلن رغبته ليخلفه من مكانه[1]، ووضع جثمانه في تابوت من الأبنوس حمل بعد ذلك بشهرين إلى سمرقند حيث احتفل بجنازته وقد دفن في ضريح فخم ويعد آية من آيات العمارة في عصره، ويعرف باسم كورمير ولا يزال قائماً إلى يومنا هذا[2]، وبوفاته توقفت الحملة على الصين وما كانت ستؤدي من دمار كبير.

3-2 إنجازات تيمورلنك المدنية والحضارية:

1-3-2 الاقتصاد والمجتمع:

سعت الإدارة التيمورية لدفع الحركة الاقتصادية في بلاد ما وراء النهر إلى الأمام وكان قسم كبير من نشاط تيمور في هذا المجال على حساب المناطق الأخرى من الإمبراطورية التيمورية، ويبدو ذلك في أعمال التخريب التي ألحقتها جيوشه بالمرافق الاقتصادية في المناطق التي خضعت لسيطرته من حرمان هذه المناطق من أبنائها المنتجين، وحمل أرباب الحرف والفنون إلى ما وراء النهر، وفرض الإقامة الجبرية عليهم في تلك البلاد، كما أشار إلى ذلك عدد من مؤرخي العصر التيموري[3].

وظهرت مساعي الإدارة التيمورية لانعاش الاقتصاد في المجال الزراعي، في الحض على إحياء الأرض الموات[4]، وفي إعفاء الفلاحين - كما نصت على ذلك التنظيمات - من الضرائب خلال المرحلة الأولى من استثمار الأرض، وتقديم الأدوات الزراعية لهم بالمجان في بعض الظروف، وحماية صغار الفلاحين من تصرفات كبار الملاكين، ثم في اعتبار تنفيذ مشاريع الري وتنظيف الأقنية والترع وبناء الجسور وإصلاحا، واجباً من واجبات الدولة.

---

(1) يزدي، ظفرنامه، ج2، ص462، فامبري، تاريخ بخاري، ص236.

(2) دائرة المعارف الإسلامية، م7، ص162.

(3) حافظ آبرو، زبدة التواريخ، ص203.

(4) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص160.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقام تيمور بتنفيذ عدد من مشاريع الري كان أهمها في منطقة الحدود الشمالية الشرقية المتاخمة لبلاد الجتا. وكان الدافع لذلك – كما قال يزدي – رغبة تيمور في إقامة مناطق استقرار وزراعة، تمكن قواته من الإقامة هناك بصورة دائمة، لصد أية غارة مفاجئة تأتي هذه الناحية[1]، وقد كشفت الحفريات الحديثة عن بقايا قناة مائية في تلك المنطقة، ويعتقد أنها شقت في عهد تيمور، في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي، ويضيف ابن عربشاه أن تيمور أصدر عام 807هـ/1406م، قبل بدء زحفه إلى الشمال الشرقي نحو الصين ، أوامر لقوادة من أجل الاهتمام بزراعة المناطق الممتدة، من سمرقند إلى بلاد الجتا وحذر من أن يهمل الفلاحون أراضيهم تحت طائلة العقوبة، وقد أثمرت الجهود كما يقول شامي.

مما أدى إلى امتداد الزراعة حتى حوض، اميل في وسط آسيه[2]، ولكن معالم الازدهار الزراعي لم تلبث أن زالت بعد مدة قصيرة من وفاة تيمور، ولم يوفق خلفاؤه رغم جهودهم التي بذلوها للمحافظة على ازدهار المنطقة[3].

ونفذ تيمور أيضاً بعض مشاريع الري خارج ما وراء النهر، فشق قناة مائية بجوار مدينة كابل، عام 800هـ/ 1398م، في إثناء مرورة بالمنطقة في حملته على الهند ويقول يزدي أثر ذلك إلى جنان وحدائق[4]، وقام تيمور بشق قناة أخرى بعد عامين في منطقة قراباغ (في شمال اذربيجان)، عندما كان في طريقه إلى بلاد الروم، إن عمل تيمور لم يتعد تجديد قناة يونانية قديمة، كانت متفرعة من نهر أراكس الحالي ودعيت القناة بعد إصلاحها نهوبرلا س وكانت بطول عشرة فراسخ وقد ساعدة على انتعاش الزراعة وانتشار القرى والطواحين على ضفاف القناة المستصلحة[5]، وكان تيمورقد دأب على اتخاذ المنطقة منتجعاً له في كثير من الأحيان.

---

(1) يزدي، ظفرنامه، ج1، ص 344.

(2) شامي، ظفرنامه، ص119 و يزدي، ظفرنامه، ج1، ص344.

(3) بارتولد، تاريخ الترك، ص 231.

(4) يزدي، ظفرنامه، ج2، ص 31.

(5) يزدي، ظفرنامه، ، ج2، ص 283.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وادخلت إلى ما وراء النهر في عهد تيمور زراعة القنب والكتان، وحققت زراعة القطن في ذلك الوقت تقدماً كبيراً، كما زرعت الحبوب المتنوعة كالقمح والشعير والأرز والذرة، وأشار مستوفى لما وراء النهر من شهرة قديمة بانتاج الخضار والفواكة من الأصناف الجيدة، ولاسيما البطيخ والعنب[1]، والتي كانت تجود بشكل خاص في السهول المحيطة بسمرقند، وبلغ من اتساع رقعة البساتين المحيطة بهذه المدينة، أن فرسا فقد لتيمور في هذه البساتين ولم يعتر عليها إلا بعد ستة أشهر.

وكانت حركة الجيوش تسيئ أحياناً إلى الزراعة فكان يحق للقوات المسلحة أن تخترق خلال تنقلها الأراضي المزروعة، وأن تحصل على ما تحتاج إليه من المياه والحبوب وغيرها من المحاصيل.

أما في المجال الصناعي، فقد نقل تيمور العمال وأرباب الحرف والفنون الصناعية، كالنساجين والصياغ وصناع الزجاج المهرةن من بلاد الشام وبلاد فارس والروم والكرج وكان هؤلاء يقيمون في مستعمرات عمالية كبيرة أقيمت لهم حول سمرقند، وقد زاول هؤلاء أعمالهم في مجموعات تشبه النقابات وكانوا يتمتعون بكافة الحقوق والامتيازات ما عدا حق العودة إلى بلادهم، وازدهرت في سمرقند صناعة نسج الحرير الطبيعي والقطن والكتان والمخمل، وصنعوامن هذه المنسوجات الثياب الحريرية والمخملية الملونة ذات الصناعات الشهيرة الكبيرة، وتقدمت صناعة المرايا والأواني الخزفية والورق والأسلحة والحلى.

وقد ذكر ابن عربشاه أن الذهب والفضة كانا يحملان من كافة الأنحاء إلى سمرقند وجلب إليها الفيروز من نيسابور والماس والياقوت من الهند، واللؤلؤ من هرمز[2]، وأقيمت على ضفاف نهري جيحون وسيحون مصانع القوارب، وشاهد كلافيجور في شوارع سمرقند الصياغ وصانعي الأحذية والخياطين والخبازين واللحامين ويظهر من أقوال السفير الأسباني أن الحرفيين كان لهم دور نشيط في حياة المجتمع العامة، فيشير إلى أن الأوامر قد صدرت إلى هؤلاء عام 807هـ/1406م، بمناسبة الاحتفال بزواج أحفاد تيمور، إلى الخروج إلى ظاهر المدينة حيث كان يقام مخيم تيمور، وقد حمل الصناع معهم

(1) يزدي، ، ج2، ص 284.

(2) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص 219 – 220.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أدوات عملهم وأخذوا بممارسة صناعاتهم وعرض فنونهم أمام الجمهور وجمع أفراد كل حرفة في مجموعة من الخيام في ناحية خاصة بها، حيث أقيم لكل حرفة معرض خاص، ثم مر العمال بعد ذلك، في مجموعات حرفية منظمة، وهم يحملون أدوات عملهم ونماذج من مصنوعاتهم، أمام السرادق الملكي حيث كان يجلس تيمور وقد ذكر مستوفي أنه كانت تستخرج في تلك الآونة بعض المعادن من أرض بلاد ما وراء النهر، فكان يؤتى بالزئبق من فزغانه والكبريت التعدين الملون من خبارى[1].

2-3-2 التجارة والأمن:

وحرصت الإدارة التمورية على تحقيق الأمن على الطرق التجارية[2]، ونصت التنظيمات على وجوب سير دوريات من الحرس بشكل منتظم على تلك الطرق، لتمكين التجار والمسافرين من السير بأمان وحرية، ولتقديم المساعدة عند الضرورة لمن يطلبها.

كما نصت التنظيمات أيضاً على إقامة محطات تجارية على الطرق، يأوي إليها المسافرون ليلاً، وتشددت في إيقاع العقوبات على من يعترض حرية المرور أو يعتدي على القوافل التجارية، وكان الموت هو العقوبة المقررة على من يرتكب هذه الأعمال، وآتت هذه التدبيرات نتائجها فأشار سمرقندي إلى أنه أضحى بإمكان القوافل التجارية أن تسير بأمان مخترقة المفاوز والفيافي في مختلف أقطار الدولة من أقصى حدود تركستان إلى دلهي ومن حد باب الأبواب في أقصى الشمال اذربيجان إلى حدود مصر[3].

واستمر الطريق الدولي للتجارة البرية الممتد من شرق آسيا والمتجة إلى أوربا، على نشاطه خلال عهد تيمور وعهود خلفائه الأوائل، وكانت القوافل التجارية القادمة من الصين تخترق صحراء غوبي إلى المماليغ، ثم تتجه منها إلى أوترار ، وكانت القوافل تحتاج لقطع المسافة بين هاتين المدينتين إلى خمسة وأربعين يوما ويتقدم الطريق بعد ذلك إلى العاصمة سمرقند ويتفرع من هناك إلى السلطانية وتبريز عبر ولاية خراسان، ليتابع – عبر اذربيجان التقدم إلى المراكز التجارية، في شمال البحر الأسود التي كانت

---

(1) قزويني، عالم حمد الله مستوفي، نزهة القلوب، بسعي كاي ليسترنج، لندن، 1919، ص 206- 207.

(2) سمرقندي، كمال الدين عبد الرازق، مطلع سعدين ومجمع بحرين، اهتمام عبد الحسين نوائي، طهران، 1356 ه، ص 112.

(3) بارتولد، تاريخ الترك، ص 245

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في ذلك الوقت تقع تحت نفوذ جمهورية جنوة الإيطالية ،وقد يتجه الطريق من سمرقند إلى أوركند في خوارزم، وتتقدم بعد ذلك، عبر سهول روسية، إلى مدينة نوفغرود فالمدن الهانسية على بحر البلطيق ولكن حروب تيمور في بلاد القبجاق، وتهديم مدينة سراي على نهر الفولغا، والأضرار التي لحقت بثغر كافا الجنوي على البحر الأسود بسبب هذه الحروب قد أدت إلى تضاؤل النشاط التجاري على هذا الجزء من الطريق، وإلى تحول التجارة إلى ميناء طرابزون، أو القسطنطينية.

وكانت القوافل التجارية القادمة من الشرق، تميل إلى سلوك الطرق التي تمرعبر الإمبراطورية التيمورية، بسبب ضآلة الضرائب التي كانت تتقاضاها السلطات من هذه القوافل، وتتحاشى الطرق التي تقع تحت نفوذ دولة المماليك، لكثرة ما كانت تتقاضاه هذه السلطات من الضرائب.

ورغب تيمور – كما ورد في التنظيمات – بتنشيط علاقاته التجارية مع الدول الأوروبية وأرسل الوفود إلى كل من فرنسا وانكلترة لعقد المعاهدات التجارية وكتب إلى ملك فرنسا رسالة جاء قوله فيها: إن العالم يزدهر بالتجارة ويعده بأن يقدم الحماية والرعاية لمن يفد عليه من التجار الفرنسيين، وقد شاهد كلافيجو تجار أوربيون من جنسيات مختلفة في سمرقند كالروس واليونانيين والاسبان.

وساعدت حروب تيمور من ناحية ثانية، على تنشيط حركة التجارة على طرق جديدة تصل إلى الأقطار التي دخلت في الإمبراطورية التيمورية، كالطريق التي تصل سمرقند بالهند، إما بشكل مباشر عن طريق كابول وممر خيبر، أو بشكل غير مباشر بواسطة الطريق الذاهب إلى إيران ومنها إلى الموانى الهندية، وقد مكن استيلاء تيمور على الموصل من فتح طريق التجارة إلى بلاد التركمان، وبلاد القبجاق وآسيا الصغرى.

3-3-2 مركز سمرقند التجاري:

أصبحت سمرقند في عهد تيمور مركزاً تجارياً عالمياً ومحطة رئيسية على طريق الاتصال بين الصين وأوروبا واضحت سوقاً كبيراً للبضائع القادمة إليها من مختلف الجهات وتحدث يزدي عن نشاطها التجاري وكثرة وارداتها وصادراتها[1]، واشار كلافيجو إلى أن بضائع سمرقند منها ماكان مستورداً

(1) يزدي، ظفرنامه، ج 1، ص 162.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومنها ما كان من الإنتاج المحلي، وشاهد بالإضافة إلى التجار الأوروبيين تجاراً من العرب والأتراك والأرمن، وقد أمر تيمور ببناء سوق تجاري كبير في المدينة، بعد أن أضحى سوقها القديم لا يستوعب حركة التجارة المتزايدة فيها، والتي كانت تدور بإشراف المحتسبين الذن كانوا يراقبون الأسعار والموازين والمكاييل ويظهر أن الإدارة التيمورية كانت تهدف إلى إشاعة الاستقرار والثقة خلال التعامل التجاري، إذ كانت التنظيمات تنص على أن تقوم الدولة بإقراض التجار الذين يتعرضون أحياناً للخسارة، مبالغ من المال تساعدهم على استئناف أعمالهم.

وعلى الرغم من تعرض مدينة تبريز لمزاحمة سمرقند لها من الناحية التجارية، فقد ظل للعاصمة الايلخانية القديمة شيئاً من مكانتها التجارية السابقة، وظلت تبريز تعتبر محطة تجارية رئيسية، على الطريق التجاري القادم نحو بلاد الشام ومصر وقد داب تيمور على إرسال التجار من وقت لآخر، إلى عدد من مدن الشام ومصر والجزيرة العربية، لجلب البضائع النادرة، والتجسس وحمل الأخبار عن الأحوال العامة في هذه البلاد، كما أقرت بذلك التنظيمات.

ولعبت في هذه الآونة مدينة أوترار التي تقع في المكان الذي يصب فيه نهر آريس بنهر سيحون دورا تجارياً نشيطاً كمحطة على طريق الصين. ولذلك كان تجار اوترار الخوارزميون والتجار القادمون من بلاد الشام ومصر يمرون بها في طريقهم إلى تلك البلاد.

هذا واستمرت الفروق الاجتماعية واضحة بين عنصري الأتراك الجغتائيين والتاجيك في مجتمع ما وراء النهر في عهد تيمور وظلت هذه الفروق تسترعي انتباه المؤرخين[1]، وفي الواقع فإن هذه الفروق الاجتماعية تنطلق في الأساس من الفروق العرقية والتاريخية والدينية بين الفريقين وقد تجلت هذه الفروق في العادات والتقاليد والأزياء واتضح مع مرور الزمن أن الأتراك لم يشاؤوا أن ينبذوا تقاليد الحياة البدوية وظلوا يظهرون على أنهم مجتمع عشائري، على الرغم من إقامتهم في مناطق الحياة المستقرة واستمروا يحتفظون بمظهرهم كمحاربين أشد بغطرستهم القاسية المشحونة بروح التعالي والثورة، يحملون أسلحتهم بشكل دائم وتتراص صفوفهم بشكل تلقائي في وضع عسكري كأنهم في ساحة القتال، عندما يجلسون في الأحوال العادية، وتعكس كتابات بعض مؤرخي بلاد الشام صوراً من تلك

(1) شامي، ظفرنامه، ص 1999، و يزدي، ظفرنامه، ص406.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القسوة الفطرية التي ظلت للأتراك الجغتائيين فقد شاهد سكان حلب هؤلاء وهو يلبسون دروع الزرد على أجساهم دون ثبات[1]، وتحدث ابن عربشاه عن عمليات التعذيب التي كانوا ينزلونها بمن يقع في أيديهم من الأسرى، وما يحدثه ذلك من السرور في نفوسهم، فذكر أن جماعة منهم قد أغاروا على أحد المنازل في دمشق عام 803هـ / 1402 م، وبعد أن علقوا صاحب المنزل من قدميه بالسقف، جلسوا يتناولون الطعام والشراب وهم يمرحون، وكانوا يلتفتون من وقت إلى آخر إلى صاحب المنزل، ينكلون به ويسقونه الماء المملح، ثم يعودون إلى لهوهم وشرابهم[2].

وظل الجغتائيون يعتبرون أن تيمور قد ارتكب جرماً كبيراً، بإقلاعه عن عادة الارتحال والتنقل البدوية عندما اتخذ لنفسه مدينة كبيرة (سمرقند) عاصمة له[3]، واستمر هؤلاء – كما وصفهم كلافيجو – على حالة الترحل مع قطعانهم التي كانوا يتركونها ترعي أينما تشاء– ويمثل إعفاء الدولة لهم من دفع الضرائب نوعاً من الاستجابة للتمرد الكامن في نفسوهم على العادات والتقاليد الحضرية.

وتتعزز الفروق بين الأتراك الجغتائيين والتاجيك، وبالإختلاف القائم بين الفريقين في السحن واللباس كما يظهر ذلك من رسوم المخطوطات المصورة التي حررت في أسيا الوسطى، والتي يرجع تاريخها إلى تلك الحقبة[4]، وقد نشرت عدداً من الصور يرجع تاريخها إلى آخر القرن الرابع عشر الميلادي (عصر تيمور) رسمت في بعض مناطق آسيا الوسطى، ويظهر في إحدى هذ الصور رجلان من عامة الناس بشعور طويلة شعثا كما يظهر في صورة أخرى أناس يضعون على رؤوسهم القلنسوة المخروطية التي كانت لباس الرأس المميز عند الأتراك الجغتائيين في الوقت الذي تظهر فيه صور أخرى رسمت في مطلعالقرن الخامس عشر للناس وهم يضعون العمائم على رؤوسهم[5].

---

(1) ابن قاضي شهبه، تقي الدين أبو بكر، تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق عدنان درويش، دمشق، 1977، ص201.

(2) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص 232- 233.

(3) بارتولد، تاريخ الترك، ص 224.

(4) بارتولد، تاريخ الترك، ، ص301.

(5) ابن الفرات، ناصر الدين محمد، تاريخ ابن الفرات، المجلد التاسع، تحرير ونشر قسطنطين زريق، المطبعة الأمريكانية، بيروت، 1936 م، ص 369.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد لفتت نظر المؤرخ ابن الفرات سحنة أحد الجواسيس التيموريين ألقى القبض عليه في حلب، وجئ به إلى القاهرة، فقال عنه إنه يبدو كبير الوجه، ضيق العيون، أجرد ليس له في ذقنه شعر البتة[1]، وكان أحد رجال الإدارة في عهد ألغ بيك – حفيد تيمور الذي زار القسطنطينية بعد وفاة سيده يلبس الثياب التركية الجغتائية، مما يؤكد – كما يقول بارتولد – أن الاختلاف في المظهر الخارجي استمر بين الأتراك والتاجيك إلى ما بعد أيام تيمور[2]، وكان هذا المظهر يثير دهشة سكان البلاد الإسلامية الأخرى، لأنه لا يتفق مع المألوف من المظاهر الإسلامية عندهم، وكانوا يرون أن الأتراك الجغتائيين كانوا في مظهرهم هذا أقرب إلى المشركين، ولذلك فقد أسرع سكان دمشق إلى قص شعر سلطان حسين حفيد تيمور وتغيير ثيابه، عندما لجأ إليهم عام 803 / 1402 م.

وعلى الرغم من اعتناق الأتراك الجغتائيين الإسلام، فإن بعض المصادر المعاصرة تشير إلى بقاء بعضهم على الديانة الوثنية ولكنهم كانوا على اختلاف عقائدهم الدينية مستعدين لنبذ هذه العقائد جانباً، والالتفاف حول مبدأ الأخوة العشائرية وصورهم أحد الحكام المظفرين (وهو من التاجيك) في رسالة بعث بها إلى السلطان بايزيد الوالي العثماني عام 803 / 1402 م ، "إنهم جماعة ظلام وظلم وكدر وكفر وجور ابتليت أطراف البلاد بهم وهم كظلمات بحر لجي يغشاه الموج من فوقه ومن تحته، يقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض".

وأفادت التنظيمات أن عدد عشائر الأتراك الجغتائيين في عهد تيمور كان أربعين عشيرة، وكانت كل منها تدعى أويماق وقد خص تيمور من بين هذه الأويماقات الأربعين، اثني عشر أويماقا بامتيازات معنوية ومادية، لأن تيمور كان يطمئن إلى اخلاصها وولائها ويأتي في رأس هذه الامتيازات، حمل التامغا وهي شهادة ممهورة بالخاتم الرسمي، وتفيد أن حاملها هو من أخلص المقربين إلى تيمور[3]، وخصت

---

(1) بارتولد، تاريخ الترك، ص237.

(2) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص 100.

(3) وربما كانت التامغا التيمورية تقليداً للشارة المغولية المسماة البايزة، التي كانت تمنح من قبل خانات المغول لأتباعهم وكانت من الخشب أو المعدن العادي أو الذهب حسب رتبة الممنوح له وتخول البايزة لحاملها امتيازات الأمان على نفسه وعلى أمواله، فضلاً عما يقابل به من الرعاية والاحترام من قبل موظفي الدولة في حال سفره

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأويماقات الممتازة بعدد معين من المناصب العليا في الإدارة والجيش، وكانت عشيرة برلاس عشيرة تيمور الخاصة، التي يوصف أفرادها بأنهم إخوة تيمور، قد خصت بأربعة مناصب إدارية، حكم ولاية بدخشان وثلاث ولايات أخرى من ولايات الحدود[1]، ومائة منصب "أمير ألف" في الجيش[2].

4-3-2 الفئات الاجتماعية:

كان المجتمع في عهد تيمور يقوم على فكرة التطابق والتمايز الاجتماعي[3]، ولا يعطي ما أشارت إليه التنظيمات إلى تقسيم تيمور من حوله من الأتباع، الذين كان يستفيد من خدماتهم المختلفة في مجالات الإدارة والجيش والمجتمع، إلى اثنتا عشر طبقةن فكرة واضحة عن الطبقات الاجتماعية في المجتمع التيموري، ولا بد يعدو هذا التقسيم أن يكون تصنيفاً لرجال الحاشية الملتفين بكفائتهم واختصاصاتهم حول سيد البلاد، ولابد من مقابلة هذا التصنيف مع ما ورد من اشاراتحول هذه الناحية في المصادر الأخرى ويفهم مما أشار إليه المؤرخون التيموريون أن المجتمع في ذلك العهد كان يخص رجال الدين بنوع من الأولوية في الحياة الاجتماعية، ويحيطهم بهالة من الاحترام والتبجيل وتأتي الإشارة إليهم دائماً قبل بقية الطبقات الأخرى وترد الإشارة في هذه المصادر أيضاً إلى سكان المدن والبدو، كطبقات اجتماعية متميزة عن بعضها، مع عطف ملحوظ على العشائر البدوية التي توصف بأنها قد تحملت أكثر من غيرها ظلم الحكام الجتا، قبل أن يصل تيمور إلى الحكم، ويفهم مما أشارت إليه مصادر أخرى أن التمييز الاجتماعي كان يجري على أساس عرقي، فهنالك الأتراك الجغتائيون، ويقابلهم سكان ما وراء النهر الأصليون (قبل قدوم الغزو المغولي) والخراسانيون[4].

---

(1) وقد ذكرت التنظيمات أسماء العشائر التي خصت بالامتيازات وهي: برلاس – تاريخان – أرغون – جلاير – تولكاتش – دولدي – موغول – سلدور- توغا – قبيحاق – آرلات – تتار.

(2) يزدي، ظفرنامه، ج2، ص 143 الذي أفاد أنه عقب عودة تيمور من الهند، قام بتوزيع الهدايا والنفائس على كافة طبقات الأهالي كل على حسب رتبته.

(3) سمرقندي، مطلع سعدين ومجمع بحرين، ص313.

(4) سمرقندي، مطلع سعدين ومجمع بحرين، ، ص113.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعلى الرغم من الأتراك الجغتائيين أنفسهم، كانوا يعتبرون – بحكم التقاليد البدوية – في منزلة اجتماعية واحدة، فإن الأسرة المالكة (أسرة تيمور)، ومن كان يحيط بها من الأمراء والقواد، كانت تتمتع بأولوية اجتماعية، على بقية المجموعة التركية الجغتائية في البلاد. ويتأكد ذلك من اهتمام تيمور ليجعل من أسرته كتلة واحدة متماسكة، ينزل جميع أفرادها عند رغبته، وتوقع العقوبات الشديدة على من يتجاسر على معارضته، وقد تصل هذه العقوبات – كما نصت التنظيمات – إلى الإعدام في بعض الحالات، وسعى تيمور من ناحية ثانية، إلى أن يتحلى أولاده وأحفاده بقدرات عسكرية وإدارية عاليه، تمكنهم من الظهور أمام الناس أمراء ناجحين وقد دفعته رغبته لتحقيق ذلك، إلى اعتبار مسألة تربية أفراد الأسرة المالكة وتدريبهم من مهام الدولة، ولم يكن الآباء هؤلاء وأمهاتهم دور يذكر في هذا الموضوع وكان الطفل عندما يولد يعهد به إلى أحد الأمراء ليتولى الإشراف على تربية هذا الأمير الصغير، وتأمين ما يحتاجه من طعام ولباس، ويعرف هذا الأمير المربي بالاتابك [1]، وحاول تيمور أن يساهم بنفسه في عملية تدريب أولاده وأحفاده فكتب مذكراته وأمر بتسجيل تنظيماته وقد ضمن ذلك خبراته في مجال الإدارة والأمور العسكرية وقد صدر تيمور هذه المذكرات بقوله إلى أبنائي السعداء فاتحي الممالك وإلى أحفادي العظماء حكام العالم وأشار إلى أنه قد أقدم على كتابة المذكرات والتنظيمات، لأنه يعتقد أن عدداً من هؤلاء الأبناء والأحفاد سيجلسون على العرش من بعده ولذلك أحب أن يقدم لهم المبادئ والحكم التي تعيينهم لأن يكونوا حكاماً صالحين وقد قرن تيمور التوجيه النظري بالممارسة العملية، عندما وزع هؤلاء الأبناء والأحفاد حكاماً على مختلف مناطق الإمبراطورية التيمورية.

وأوردت المذكرات وصفاً لمظاهر البرتوكول، الذي كان متبعاً في بلاط تيمور في سمرقندة في الحفلات والاستقبالات الرسمية، وأشارت إلى أن يتمور كان يجلس على عرش يحيط به عدد كبير من رجال الحاشية والحرس، وكان لكل فئة من الحاشية مكان معين تقف فيه فخصصت الجهة التي تقع على يمين تيمور لجلوس رجال الدين، وكان أبناء تيمور وأحفاده وكبار الامراء يصطفون حول العرش على شكل نصف دائرة، وهم قعود ويجلس في الجهة المقابلة للعرش كبار موظفي الدولة والوزراء، وينتصب في كل جهة من جهات القاعة، ثلاث ضباط يتولون الحراسة، وقد أشار كلافيجو إلى الترتيب نفسه عندما قابله تيمورن وأضاف أن الضباط الذين كانوا يتولون الحراسة، كانوا يقفون وهم بكامل

(1) حافظ آبرو، زبدة التواريخ، ص200.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أسلحتهم وقد طلب هؤلاء من أعضاء الوفد الأسباني الجثو على الركب، أمام الفاتح التركي، وأشار إلى أن عادة تقبيل يد الملك لم تكن شائعة في البلاط، بل كانت تعتبر عملاً غير لائق.

وتحدث السفير الأسباني عن مظاهر الترف والبذخ في القصور الملكية وأشار إلى صحاف الذهب والفضلة التي كان الطعام يقدم بها على الموائد الملكية وأضاف أن هذه الموائد كانت عامرة بكميات كبيرة من الطعام، وهو من لحم الغنم والخيول المشوي، والخمور التي كانت تجلب بعض أنواع منها من بلاد القرم، وقال إن نساء البلاط كن يشاركن الرجال في الحفلات وفي احتساء الخمر، وقد دعت إحدى زوجات تيمور السفير في إحدى الحفلات للمشاركة في الشراب، وظهر أنها لم تكن مستعدة لتصدق أن هناك إنسان لا يشرب الخمر وكان بعض الحاضرين يتابع احتساء الخمر حتى يصل إلى حالة السكر الشديد والارتماء على الأرض، وأشار إلى أن حفلات الولائم وشرب الخمر التي كانت تقام بحضور تيمور تستغرق وقتاً طويلا وتمتد من أول النهار حتى حلول الظلام، وقد تستمر حتى ساعة متقدمة من الليل، وقد تناول تيمور في إحدى هذه الحفلات كمية كبيرة من الطعام، وتجرع بعدها كثيراً من الخمر، فأصيب بالتخمة، وذهب بعضهم إلى القول أن جلسات شراب الخمر قد تستمر أحياناً عشرة أيام متوالية فينقطع فيها تيمور عن الظهور، ويجلس مع قواده للشراب[1]، وكان شرب الخمر على هذا الشكل يحدث في مناسبات الأفراح وإحراز الانتصارات العسكرية[2].

وكان تيمور يميل من وقت لآخر لأن يقيم خارج سمرقند، في مخيمات تقام في الهواء الطلق وقد شاهد كلافيجو أحد هذه المخيمات، وقد أقيم بمناسبة الاحتفالات التي جرت عند زواج عدد من أحفاد تيمور عام 803 / 1406 م ، وأشارا ابن عربشاه إلى موقع هذا المخيم فقال إنه كان يقوم في ضاحية كل كل المهشورة بجمال مناظرها الطبيعية في ظاهرة سمرقند وادهشت كثرة الخيام السفير الأسباني وقدر عددها بخمسين ألف خيمة، وقال عنها إنها كانت منصوبة بشكل منتظمن يترك بين صفوفها شوارع مستقيمة ولفت نظر السفير المخيم الملكي الذي كان يقوم في وسط المكان، وقال إنه كان محاطاً بسور من نسيج القنب لمنع دخول من لا يرغب بدخوله وقسم المخيم الملكي من داخله،

(1) ابن قاضي شهبة، تاريخ ابن قاضي شهبة، ص201.

(2) يزدي، ظفرنامه، ص 440.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بسياج من نسيج القنب أيضاً إلى أقسامن كانت تقوم في وسط كل قسم خيمة، تحل بها زوجة من زوجات تيمور، وكان داخل الخيام الملكية مبطن بالفرو النفيس.

ووصف كلافيجو السرادق الكبير الذي كان يبدو كأنه قلعه لارتفاعه واتساع مساحتهن إذا كان يحمل على ست وثلاثين عموداً من الخشب. وكانت جدرانه مزينة بالرسوم وأرضه مفروشة بالسجاد المتعدد الألوان، ولابن عربشاه وصف مشابه فقد أشار إلى الخيام ذات الجدران المبطنة بالريش من الداخل والخارج أو المغطاة بصفائح من الذهب والمرصعة بالآلي، وذكر أن هذه الخيام كانت تهوى بمراوح من نسيج القنب، وأشار إلى إحدى ستائر هذه الخيام، فقال إنها كانت بطول عشرة أذرع، وقد صورت عليها صور ملونة لبعض الحيوانات والنباتات وكان تيمور قد حصل عليها من غنائم معركة أنقرة، وقد أثارت هذه الستارة إعجاب ابن عربشاه ، فقال عنها إنها من عجائب الدنيا[1].

5-3-2 الحدائق والقصور:

واهتم تيمور بإقامة عدد من الحدائق حول سمرقند، غرسها بأشجار الفواكة[2]، ويورد ابن عربشاه أسماء خمس من هذه الحدائق[3]، وذكر أنه كان من المسموح به لعامة الناس ارتياد هذه الحدائق عندما يكون تيمور خارج العاصمة ووصف يزدي إحدى هذه الحدائق وهي بستان ارم (باغ ارم)، فقال إنه كان يقع شمالي سمرقند، في منطقة اشتهرت بمناظرها الطبيعية الخلابة وعذوبة مناخها، وقد أوكل تيمور إلى بعض المهندسين لتجميل الحديقة بالمروج والأزهار، التي كانت على شكل أحواض ذات أشكال هندسية، كالمربعات والمثلثات والمسدسات[4]، واضاف ابن عربشاه أنه قد بنى في كل

(1) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص 152- 154.

(2) ابن عربشاه، ، ص 152- 154.

(3) يزدي، ظفرنامه، ج1، ص 162.

(4) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص 220 واسماء هذه الحدائق هي بستان ارم، زينة الدنيا – جنة الفردوس- الشمال – الجنة العليا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حديقة قصر بولغ في تزيينه وزخرفتها وأقام تيمور حول سمرقند حدائق تحمل أسماء مدن كبيرة في أقطار أخرى كدمشق، وبغداد، وسلطانية وشيراز، وقال إن ضاحية دمشق كانت تقع إلى الغرب من سمرقند على مسيرة نصف يوم منها[1].

وأما سمرقند نفسها فقد أوكل إلى أحد أعوانه - كما يقول يزدي - مهمة إصلاح المدينة بعدما تعرضت له من محن في السابق بسبب غارات الجتا ولظروف الصراع بينه وبين الأمير حسين[2]، ويقول ابن عربشاه إن المدينة كانت محاطة بسور يبلغ طوله (12) فرسخاً[3]، وقدر كلافيجور - كما ذكر سايكس - حجمها بحجم مدينة اشبيليه في عهدة، وقال إن سكانها يناهزون مائة وخمسين ألفا[4]، معظمهم من العناصر اشبيلية في عهدة، وقال إن سكانها بيناهزون مائة وخمسين ألفا[=]، معظمهم من العناصر الأجنبية التي أجيرها تيمور على القدوم معه من البلاد التي وصلت إليها جيوشه، وقد وصف هؤلاء بأنهم أهل كل فن عجيب وأسلوب من الصنائع غريب[5]، وقد دفع حب المدينة تيمور التي كان يدعوها عاصمتي، ويراها زهرة على جبين الخلد[6]، إلى الاهتمام بتزيينها بالأقواس والمشاعل في المناسبات والأعياد وعمد إلى مكافحة التسول فيها، فأمر بجمع المتسولين وإجراء صدقات يومية عليهم، تحت طائلة بيعهم كالعبيد إذا عادوا ثانية إلى ممارسة التسول.

وكانت من الملاهي الاجتماعية الشائعة، مشاهدة مباريات المصارعة والملاكمة، وكذلك اللعب بالنرد والشطرنج وكان تيمور من المولعين والمبرزين فيه ويشير ابن عربشاه إلى وجود متخصصين في

---

(1) يزدي، ظفرنامه، ج1، ص 577، ج2، ص13-14.

(2) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص41 وقد أشار يزدي إلى موقع آخر يحمل اسم دمشق إلى الجنوب من سمرقند بالقرب من مدينة شادمان وقال عنه إنه من مستحدثات تيمور، انظر: يزدي، ظفرنامه، مصدر سابق ج1، ص 416.

(3) يزدي، ظفرنامه، ج1، ص162.

(4) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص41.

(5) ابن عربشاه، ، ص225.

(6) يزدي، ظفرنامه،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعليم هاتين اللعبتين. وتحدث عن وجود أنواع من الشطرنج كانت متداولة، كالمدور والمستطيل والكبير الذي يصل عدد حجارته إلى ستة وثلاثين حجراً[1].

6-3-2 الموسيقى:

اهتم المجتمع التيموري بالموسيقى والغناء وورد ذكر القانون والعود والربابة، بالإضافة إلى آلات الإيقاع والنفخ، من بين الأدوات الموسيقية المستعملة، وكانت الحفلات الموسيقية والغنائية تقام في الغالب، عقب عودة تيمور من حروبه إلى سمرقند[2]، ومن الحفلات التي أشار إليها المؤرخون تلك التي أقيمت خلال الاحتفالات بأعراس أحفاد تيمور عام 803هـ / 1406 م ، والتي تنافس فيها كما يقول يزدي مغنون من الترك والمغول والصينيين والعرب والفرس[3]، وقد ذكر ابن بطوطة الذي زار ما وراء النهر في مطلع القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)، أنه قد استمع إلى الغناء الفارسي والتركي في مدينة بخارى[4].

7-3-2 المرأة في المجتمع والمجال السياسي والحربي:

وعلى الرغم مما يقوله ابن عربشاه، عن أن الإشارة إلى المرأة كان أمراً مستكرهاً عند الأتراك الجفتائيين وأنهم كانوا يشيرون إلى النساء بألفاظ الكتابة، فيقولون عنهن ربات الحجال أو المخدرات[5]، فإنه يشير إلى أن النساء كن لا يسترون من الرجال، ولا سيما في الحفلات والاجتماعات وأيد كلافيجو أقوال ابن عربشاه وذكر أن النساء كن يشاركن الرجال في الحفلات التي كانت تقام في

---

(1) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص 223 وقد أورد أسماء لعدد من مشاهير اللاعبيين وقال إن أحد هؤلاء يرجع سر براعته إلى أنه قد شاهد علي بن أبي طالب في الحلم، وقد ناوله الشطرنج في كيس وكان يلعب على الغائب ودون تفكير ومع ذلك فلم يتمكن أحد من التغلب عليه.

(2) يزدي، ظفرنامه، ج1، ص 547.

(3) يزدي، ـ، ج2، ص440.

(4) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص345.

(5) ابن عربشاه، عجائب المقدور ص 122 وقد أشار لانكله إلى الأمر نفسه بأنه كان يشار إلى النساء كونهم أهل بيتي أو بعبارة الأرجل القصيرة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القصور الملكية، وتحدث عن الأناقة التي كانت تبدو بها سيدات البلاط في ارتداء الثياب الحريرية التي كانت بدون أكمام وأشار إلى اهتمامهن بالتزين بشرائط الذهبن وبتصفيف الشعر بشكل عال فوق الرأس الذي تتدلى منه ريشة بيضاء تنزل حتى العيون.

كان المجتمع التيموري يسير على قاعدة تعدد الزوجات ومع ذلك فقد كانت المرأة تمارس دوراً نشيطاً في الحياة الاجتماعية ويتحدث كل من شامي ويزدي عن شقيقة تيمور فتلق توركان، وعن أعمالها الخيرية ونشاطها في حقل العمران، فذكروا أنها بنت عدداً من المدارس والخوانق ولما كانت أكبر من تيمور سنا، فقد كانت تبذل له النصح في كثير من الأمور، ووقفت إلى جانبه تشده أزره في صراعه ضد احتلال الجتا لبلاده، وظل تيمور مختبئاً في منزلها مدة ثمان وأربعين يوماً بانتظار الظروف الملائمة لمتابعة الثورة ضد هؤلاء.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن شهيرات النساء في عصر تيمور "زوجته الرئيسية" ساراي ملك خانوم ، وهي ابنة الخان الجفتائي تازان وكان زوجة الأمير حسين في بادئ الأمر، ولكن تيمور تزوجها بعد ظفره بحسين وقتله له عام 771هـ/ 1370م وكانت تلقب ببلقيس الصغرى وأشار إليها كلافيجو بتعبير "الخانم الكبيرة" [1]،

(1) هذا وكان زواج تيمور بسراي ملك خانوم ثاني زواج هام له تحدث عنه المؤرخون بعد زواجه من الجاي توركان أغاء حفيدة قازغن وشقيقه الأمير حسين وكان ذلك عام 757هـ، ويذكر يزدي: أن تيمور قد تزوج عقب مقتل حسين بثلاث أخريات من زوجاته هن: الوس أغاب بنت بيان سلدوز وإسلام أغا بنت خضر يسوري وطغى تركان خاتون (يزدي، ، ظفرنامه، مصدر سابق ج1، ص155) وعقد تيمور قرانه في إحدى غزواته لبلاد الجتا عام 776هـ على دلشاد اغا ابنة عدوة قمر الدين ويقول ابن عربشاه إن دلشاد أغا كانت تدعى الملكة الكبرى (ابن عربشاه: ص 220) ولكنها لم تمكث مع تيمور إلا مدة قصيرة فقد توفيت عام 785 هـ (شامي ص 90 ويزدي، ، ظفرنامه، مصدر سابق ج1، ص19 – 191، 260 وابن عربشاه: ص15) وعقد تيمور قرانه عام 779هـ، على تومان أغا ابنة عدوه الاسبق موسى جلاير الذي كان تيمور قد انتزع منه عام 768هـ مدينة قارشي، وتمكن من أسر زوجته آروز ملك وكانت حاملة بابنتها تومان أغا (عروس تيمور) في الشهر التاسع، وبذلك تكون تومان أغا في الحادية عشرة من العصر عند افترانها بتيمور (يزدي، ظفرنامه، مصدر سابق ج1، 105، 215) ويتكلم يزدي في أحداث عام 792 هـ عن أن تيمور في غزوته لبلاد الفبجاق التي قام بها في ذلك التاريخ، قد أصطحب معه زوجته التي تدعى جلبان أغا ويبدو من هذه العبارة أن تيمور قد تزوجها في تاريخ سابق لعام 792هـ ويقول هذا المؤرخ التيموري أن جلبان أغا كانت بنت أحد الزعماء الجتا ويدعى حاجي بيك (يزدي، ، ظفرنامه، مصدر سابق ج1، 357 وانظر أيضاً شامي، ظفرنامه، مصدر سابق ص117) اما اسم جلبان فيعني نجم الصباح، ويروي ابن عربشاه أن تيمور شك في سلوك زوجته وعفافها فأمر بها فقتلت مع أنها كانت بريئة مما نسب إليها، ولم يذكر هذا المؤرخ الدمشقي تاريخ هذه الحادثة (ابن عربشاه، ص221) وربما كانت جلبان أفا هي المقصودة فيما ذكر سيالتير من أن تيمور حنق في آخر أيامه على أصغر زوجاته لأنه اكتشف أن لها علاقة بأحدى قواده وقد نقلت له هذا الخبر كبرى زوجاته (العلا سراي ملك خانوم) وضبط عندها خطابًا أرسله لها ذلك القائد، فأمر بقطع رأسها على الفور وتزوج تيمور مرة أخرى عام 800هـ وكانت العروس ابنة الخان الجغتائي الشرقي خضر خواجا بن تغلق تيمورخان وتدعى العروس الجديدة، تكل خانوم (يزدي: ج2، ص16) وكان الدافع لهذا الزواج توطيد للصلح الذي تم التوصل إليه مع ذلك الخان بعد سلسلة من الحروب والغزوات قام بها تيمور ثم قواده إلى بلاد الجتا، وبعد مفاوضات جرت مع وفد أرسله خضر خواجا إلى تيمور في سمرقند (يزدي: ج1، ص9) واحتفل بهذا الزواج في موقع باغ دلكتاي في شمال سمرقند (يزدي، ، ظفرنامه، مصدر سابق ج2، ص16) ويقول ابن عربشاه أن العروس الجديدة كانت تلقب بالملكة الصغرى (ابن عربشاه: 35) ولذلك فإن بارتولد يعتقد أنه كان لتلك خانوم المقام الثاني ودعيت كشك

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ووصفها عندما قابلها بأنها سيدة قوية الشخصية نشيطة، تحب الصيد وتجيد ركوب الخيل، وتحسين الاستفادة من مركزهاه كزوجة رئيسية للفاتح التركي، وكانت تتمتع بلباقة سياسية فائقة، تقابل السفراء وتحسن التصرف معهم، واضحي تيمور بزواجه من سراي ملك خانوم على صلة - برباط المصاهرة، بأسرة الخانات الجغتائيين حكام ما وراء النهر الشرعيين ولذلك حصل ايضاً على لقب كوركان.

وكان للمرأة في العهد التيموري طموحها ونشاطها في المجالين السياسي والحربي أيضاً. فقط طمعت زوجة والد حاجي برلاس في زعامة القبيلة (قبيلة برلاس) ونافست ابن زوجها على هذا المنصب، ودبرت مؤامرة للقضاء عليه، ولكن حاجي برلاس استطاع كشف المؤامرة في الوقت المناسب، وحكم على المرأة بالموت وتم تنفيذ الحكم بها، وذكر ابن عربشاه أن نساء الاتراك الجغتائين كن يشتركن في القتال مع الرجال وتحذق المرأة استعمال مختف أنواع السلاح[1]، وتوكل إليها في أغلب الأحيان عمليات التجسس على الأعداء[2]، وضرب هذا المؤرخ الدمشقي مثلاً على تقشف المرأة التركية الجغتائية، بأن الواحدة منهن إذا كانت على سفر وأدركها المخاض، فإنها تتنحى عن الناس لتلد، ثم تحمل وليدها وتتابع سيرها[3]، وقاتلت إحدى زوجات تيمور مع عام 763هـ واضطرت أن تعبر الصحراء مشياً على قدميها[4].

خانوم، ولا يشير ابن عربشاه الذي يذكر أن تيمور تزوج من أميرتين صينيتين، إلى تاريخ هذا الزواج (ابن عربشاه، ص221) وكانت إحدى هاتين الزوجتين تدعى بين خاتون وقد أطلق اسمها على المسجد الجامع في سمرقند الذي بناه تيمور وكان لتيمور أيضاً عدد كبير من السراري يفقن في عددهن حد الإحصاء كما يقول ابن عربشاه، ومن أبرز من بقى من زوجاته بعد وفاته سراي ملك خانوم وتومان أغا وتكل خانوم.

(1) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص232.

(2) ابن عربشاه، ، ص203.

(3) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص232.

(4) شامي، ظفرنامة، ص20، و يزدي، ظفرنامة، ج1، ص48.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

8-3-2 الفكر والفن:

لم تسمح ظروف الحياة العامة في عهد تيمور الحافل بالحروب، بقيام حياة فكرية راقية ولم تستطيع الحركة الثقافية أن تحقق تقدماً إلا في عهد خلفائه، ولم يظهر في عهد تيمور – كما يقول بارتولد – أحد ممن كان يهتم بالفلسفة أو المنطق، على الرغم مما يذكره المؤرخون التيموريون عن شغف تيمور بمجالسه العلماء ومناقشتهم، والأخذ بيدهم والترحيب بهم[1]، وكان الاهتمام منصرفاً في المجال الفكري إلى النواحي العملية التطبيقية، دون النظر إلى القيمة النظرية الحقيقية للعلوم بالنسبة لتقدم الإنسانية، وقد انصب جهد العلماء على دراسة تاريخ الأمم الغابرة ثم الطب والنجوم والشريعة أكثر من بقية العلوم، بسبب الحاجة المادية لهذه العلوم، في مجال الحكم والإدارة للاعتبار وزيادة الخبرة، ثم للمحافظة علي الصحة والتنبؤ عن المستقبل، ولإيجاد مبرر شرعي للأعمال التي كان يقوم بها تيمور. وقد أشار حافظ آبرو إلى أن تيمور كان في آخر أيامه، يقضي جزءاً من الليل في مباحثة العلماء في المسائل الشرعية والأغذية والأشربة، وأضاف أن أكثر اهتمامه كان متجهاً إلى مسائل الطب والنجوم[2]، وكان تيمور- تطبيقاً للناحية العملية - يطلب من العلماء أن يصنفوا كتباً يفهمها غير المثقفين، ويحبها في الوقت نفسه المثقفون[3].

وكانت اللغة التركية التي تكلمها تيمور والأتراك الجغتائيون لهجة متطورة عن اللغة التركية الشرقية، التي كانت منتشرة في تركستان قبل وصول الإسلام إلى هناك وقد تفرع عدد من اللهجات التركية، بما فيها التركية الجغتائية، عن اللغة التركية الأم منذ مطلع القرن الرابع عشر الميلادي، وحلت منذ ذلك التاريخ في اللغة التركية الجغتائية تعبيرات وألفاظ من اللغات الحية التي كانت سائدة في تلك المناطق كالفارسية والعربية، محل التعبيرات والألفاظ الصينية والصغدية والمغولية التي كانت قد غزت اللغة التركية الأم، قبل انتشار الإسلام، في تلك البلاد، ويقدر صموئيلوفتش عدد التعبيرات والألفاظ الفارسية والعربية التي استقرت أخيراً في التركية الجغتائية بنصف ألفاظ هذه اللغة تقريباً ومع ذلك

---

(1) حافظ آبرو، زبدة التواريخ، ص1 92- 193 وسمرقندي، مطلع سعدين ومجمع بحرين، ص107.

(2) حافظ أبرو، زبدة التواريخ، ص1963 -200.

(3) بارتولد، تاريخ الحضارة الإسلامية، ص145.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهنالك من ينظر إلى وصول تيمور إلى حكم ما وراء النهر، على أنه انتصار للتركية الجغتائية على الفارسية، التى كانت سائدة هنالك كلغة للتخاطب بين السكان، فى الوقت الذى احتفظت فيه هذه الفارسية بمركزها كلغة للبحث العلمى والإدارة، وقد شهد عصر تيمور المحاولات الأولى للإنتاج الأدبي بالتركية الجغتائية، التي لا تزال تستعمل إلى اليوم في نطاق ما كان يدعى ببلاد جغتاي[1].

2-3-9 الكتابة:

وقد استمر تأثير الأويغور الثقافي على الأتراك الجغتائيين في عهد تيمور، في مجال الكتابة، وقد أشار ابن عربشاه إلى أن الجغتائيين كانوا يكتبون بالقلم الأويغوري - الذي كتب به المغول سابقا - لكتابة المراسيم الإدارية والأدب والتاريخ[2]، كان الأويغور يوصفون في عهد تيمور بأنهم العنصر الذي ينتمي إليه كتاب تيمور، ويطلق عليهم اسم يخشى[3]، وقد استخدمت الكتابة الأويغورية في عهد خلفاء تيمور أيضاً وظل حتى مطلع القرن السادس عشر من كان على خبرة في امور هذه الكتابة[4]، ويقول بارتولد إن تحول كتابة اللغة التركية الجعتالية من الحروف الأويغورية إلى الحروف العربية قد بدأ مع ذلك منذ وقت مبكر، وكان تحولاً تدريجياً مع ازدياد استعارة الألفاظ العربية والفارسية إلى التركية الجفتائية ولعله كان من دواعي هذه التحول كون الكتابة الأويغوية لم تكن تجاوز أربعة عشر حرفاً، لأن حروف الحلق فيها كلها تعتبر حرفاً واحداً، وكذلك كان حال الحروف المتشابهة، كالباء والفاء، تم السين والتاء والصاد، ثم التاء والطاء، ثم الدال والضاد وقد أيدت الأبحاث الحديثة آراء ابن عربشاه

---

(1) الساداتي، تاريخ المسلمين، ج2، ص361.

(2) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص230 وقد ذكر بارتولد أن الخط الأويغوري هو كتابة صوتية عجائبة وقد اشتق من الكتابة الصغدية المأخوذة بدورها من الكتابة البابلية السامية ا نظر: بارتولد، تاريخ الترك في أسيا الوسطى، ص49.

(3) يزدي، ظفرنامة، ج1، ص19 وقد رسمها بارتولد (باخشي) انظر له، تاريخ الترك ص218.

(4) بارتولد فقد أشار إلى أن أحد الشعراء الأتراك الجغتائيين وهو مير محمد حيدر مجذوب قد كتب مؤلفه مخزن الأسرار في مدح أحد أحفاد تيمور اسكندر سلطان بالكتابة الأيغورية وتوجد من هذا المؤلف نسخة محفوظة في برلين، وهنالك مصنفان مخطوطان بالأويغورية يرجع تاريخهما إلى القرن التاسع (بعد عصر تيمور) بختيار نامة تاريخه 838هـ/ 1435م محفوظ في اكسفورد، ومعراج نامه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فاشار صامو لوفيتش إلى هذه الخصائص التي كانت عليها الكتابة الأويغورية ويفهم من حديث ابن عربشاه عن حال الكتابة الأويغورية في عهد تيمور "ومن حذق الكتابة كان له مورد رزق موفروه" أن عدد من كان يتقن هذه الكتابة كان قليلاً جداً لمزاحمة الكتابة العربية للحروف الأويغورية وأضحى من الأمور اللافتة للانتباه في القرن السادس عشر، أن يوجد من لا يزال يعرف استعمال هذه الحروف، وقد أطلق صامولوفيتش على هؤلاء لقلة عددهم لقب خبراء، ويؤكد بارتولد أن انتصار الحروف العربية على الكتابة الأويغورية كان انتصاراً نهائياً في القرن الثامن عشر.

ولم يصل إلينا من الأعمال الأدبية بالتركية الجغتائية من عصر تيمور إلا القليل ولعل أهمها هو المؤلف الذي ينسب إلى تيمور نفسه، والذي اشتهر باسمه "ملفوظات تيمور" وقد تحدث فيه تيمور على شكل مذكرات، عن أحداث عصره السياسية والعسكرية وفصل الكلام فيه في قسم خاص دعى توزوكات عن الأنظمة السياسية والإدارية والقضائية والعسكرية التي عمل على تطبيقها في دولته وأشار إلى آرائه ونظرياته في كل هذه الأمور، وترد اشارات إلى سيف الدين برلاس على أنه شاعر نظم شعره بالتركية الجفتائية وكان رفيق تيمور في حروبه ومغامراته، كما ترد اشارات أخرى إلى الخان الجغتائي كابل خان الذي ولى العرش فيما وراء النهر كخان دميه من قبل تيمور والأمير حسين عام 1366م على أنه شاعر نظم بالتركية الجغتائية، وعلى الرغم من انتعاش حال الأدب الذي كتب بالجغتائية، وتزايد عدد المؤلفات التي كتبت بهذه اللغة، ولاسيما في عهد خلفاء تيمور، فقد ظل الأدب الجغتائي يدين للأدب الفارسي بالشئ الكثير وظلت موضوعات هذا الأدب (الفارسي) تلهم في الغالب الشعراء الجفتائيين، وظل بعض الأدباء يكتبون أعمالهم بالتركية والفارسية معاً، كما فعل سيف الدين برلاس[1].

وكانت القضية الأدبية الأولى المطروحة أمام الأدباء الجغتائيين في عصر تيمور وعصر خلفائه هي الموازنة بين لغة الترك وثقافتهم وبين لغة الفرس وثقافتهم، وبيان أن التركية الجغتائية لا تقل عن اللغة الفارسية، في استعدادها لاستيعاب الأغراض الأدبية المختلفة[2].

---

(1) بارتولد، تاريخ الترك، ص234.

(2) بارتولد، تاريخ الترك، ص 232، من أبرز من تصدى لهذا الموضوع ميرعلي شيرنوالي (844 – 906هـ/ 1140 أو 1141 – 41501م) الذي ذاع صيته كشاعر تركي نظم مئويات تركية تحاكي الأدب الفارسي بالشكل والموضوع كان صديق السلطان التيموري حسين بايقرا (1469 – 1506م) وكانت

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتعكس المقابلة التي يزعم أنها تمت بين تيمور والشاعر الإيراني، شمس الدين حافظ الشيرازي عام 795هـ/ 1293م وما دار فيها من حوار بين الفاتح التركي والشاعر الفارسي نوعا من التحدي الأدبي التركي الجغتائي للأدب والخيال الأدبي الفارسي[1].

ويتحدث المؤرخون الفرس الذين عاشوا في عصر تيمور، عن ميل الفاتح التركي لسماع قصص التاريخ والإطلاع على أحوال الأمم الماضية وانسابها، من ترك وعجم وعرب وكانت تحيط به حاشية من المؤرخين والأخباريين، من الأويغور والتاجيك[2]، وقد تعدى اهتمام تيمور بالتاريخ سماع الأخبار إلى تسجيل الأخبار التي تقع في عصره، وتشير التنظيمات وغيرها من المصادر الفارسية المعاصرة إلى أن

لغته واضحة بسيطة وافقت أذواق معاصريه، ويتجلى في كتاباته الإبداع الخاص بآداب العهد التيموري، ويعتبره بعض الباحثين أهم شخصية في النهضة الأدبية التيمورية وفي لغة الخغتائيين بشكل عام ويرون فيه المجدد الحقيقي للغة التركية الجغتائية، لأنه حاول أن يعلى لقيمة هذه اللغة عن طريق محاولته بيان فصلها على اللغة الفارسية، في كتاب الفه في آخر أيامه ودعاه محاكمة اللغتين أثر على ما جاء بعده من الشعراء وتجاوزت شهرته حدود الإمبراطورية التيمورية وكان إلى جانب كونه شاعراً، مؤرخاً وضع كتاباً في تاريخ ملوك الفرس القدماء وموسيقياً ورساماً طبع ديوانه في باكو عام 1926.

(1) وكان تيمور قد استاء عند سماعه بيتين من الشعر قال فيهما حافظ: لو أن ذلك التركي الشيرازي يأخذ بإشارة واحدة من يده قلوبنا فإنني من أجل خاله الأسود ألقى سمرقند وبخارى. ولذلك وبخه تيمور قائلاً: كيف تستطيع أن تلقى على أقدام غانية من شيراز تلك المدينتين اللتين أخذتهما بقوة سيفي، ثم أجهدت نفسي بتجميلهما خلال سنين طويلة، واستعنت لذلك بأكبر الفنانين، لأجعلهما فوق سائر المدن الأخرى، واتخذتهما مكاناً لإقامتي، كيف تتجاسر أيها الشخص التافة المتسرع أن تهب هاتين المدينتين لخال أسود على قسمات وجه جميل ورد الشاعر باستكانة وذل معتذرا فقال: إنه الهوس المفرط الذي كان السبب في الشقاء الذي تراني فيه وترد الشكوك حول وقوع هذه المقابلة لأنه لم يرد لها ذكر عند أي من المؤرخين الذين عاشوا في عصر تيمور أو في عهد خلفائه المباشرين، وانفرد بذكرها دولتشاه السمرقندي وهو من كتاب القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) وتضعف قيمة رواية دولتشاه هذه لأنه ذكر في موضع آخر من مؤلف تذكره الشعراء أن حافظ الشيرازي توفي عام 789هـ/ 1387م أي في تاريخ أسبق للتاريخ الذي كان قد حدده لحدوث المقابلة بينه و بين تيمورلنك.

(2) يزدي، ظفرنامه، ج1، ص19 وحافظ أبرو، زبدة التواريخ، ص 192.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هؤلاء الكتاب الأويغور والتاجيك، كانوا يقومون بتسجيل الأحداث التي تقع والأوامر التي تصدر عن تيمور، والحلول التي يراها للمسائل التي تعرض عليه، ويتحتم - كما يقول يزدي - أن يكون التسجيل صادقاً دون زيادة أو نقصان[1]، وجاء في التنظيمات أن الجهاز الإداري في الدولة كان يضم دائرة تختص بتسجيل الأحداث أولاً بأول.

وظهرت في عهد تيمور مؤلفات تاريخية حررت بالفارسية، تحدثت عن حياة الفاتح التركي وحروبه وأعماله المختلفة وكان من أهم هذه المؤلفات ماكتبه المؤرخ نظام الدين شامي الذي أرجع بعض الباحثين أصله إلى بلاد الشامن كما يظهر ذلك من اسمه فيقول عنه بروان إنه سوري الأصل أقام في بغداد وكرر القول ذاته بوقا ويظهر من كتابات شامي انه كان يكن الاحترام للعرب فيصفهم بأنهم قد اشتهروا بالكرم والسماحة[2]، وعلى الرغم مما يذكر عن أصل المؤلف أنه من ضاحيه شنب غازان قرب تبريز، وأن سبب الالتباس في نسبة شامي يرجع إلى أن حرف "الباء" إذا جاء بعد حرف النون يقلب الحرفان معاً إلى "ميم" في اللغة الفارسية، ولذلك فإن كلمة شنب تقرأ شم أو شام، فإن تاور الذي حقق كتاب نظام الدين شامي ونشره، عام 1937م قد أشار في الترجمة التي قد كتبها عن المؤرخ في مقدمة الجزء الثاني لعمله عام 1956م أن نسبة نظام الدين شامي إلى ضاحية شنب غزان هي رأي افتراض، وتظل حياة المؤلف قبل اجتماعه بتيمور عام 795هـ/ 1393م في بغداد مجهولة - كما يقول تاور وقد أشار نظام الدين في كتابه إلى أنه كان أول من قابل الفاتح التركي من سكان بغداد في ذلك التاريخ، عند قدومه إليها للمرة الأولى[3]، الأمر الذي يدفع إلى الاعتقاد إلى أنه كان يعتبر نفسه من أبناء هذه المدينة وكان اللقاء الثاني بين المؤرخ وتيمور في حلب عام 803هـ / 1401م وكان نظام الدين كما ذكر عن نفسه في مؤلفه على وشك الانطلاق إلى الحجاز، عندما أسرته سلطات المدينة المملوكية[4]،

(1) يزدي، ظفرنامه، ج1، ص19.

(2) شامي، ظفرنامه، ص140.

(3) شامي، ـ، ص139.

(4) شامي، ـ، ص 228.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكان قدوم تيمور على رأس جيوشه إلى حلب سببا في إطلاق سراحة ، وأشار المؤرخ التيموري الآخر حافظ أبرو الذي رافق حملة تيمور إلى حلب، إلى وجود نظام الدين في المدينة في ذلك الوقت[1]. وكلف تيمور نظام الدين عام 804هـ/ 1402م بكتابة تاريخ له، يتناول حياة الفاتح التركي وأعماله ووضع أمامه عدداً من المراجع والوثائق ليعتمد عليها[2]، وانتهى المؤرخ من عمله بعد عامين، وقدمه إلى تيمور في آخر عام 806هـ/ 1404م عندما كان تيمور عائداً من حروبه في بلاد الكرج إلى سمرقند في المرحلة الأخيرة من حروب السنوات السبع وأطلق على الكتاب - بعد ذلك بأمر من تيمور اسم ظفرنامه (كتاب الظفر) وأدخل المؤلف تعديلات على كتابه بعد ذلك، مرة ثانية، إلى حفيد تيمور "عمر بن ميرانشاه" ويعتقد أن نظام الدين شامي قد أمضى آخر أيامه في تبريز وكانت وفاته حوالي 814هـ/ 1411م ومما لا شك فيه أن المؤرخ قد اطلع على كثير من المؤلفات والوثائق غير التي زوده بها تيمور ولكنه لم يشر إلى أي من هذه المصادر، ولا إلى شخصيات أصحابها، سوى ما كتبه أحد الذين شاركوا في حملة الهند، وهو القاضي نظير الدين ويؤكد بروان أن مذكرات تيمور وتنظيماته كانت من المصادر التي استعان بها نظام الدين في كتابه مؤلفه.

وقف شامي في تاريخه عند أحداث عام 816هـ / 1415 ولم يكتب شيئاً عن أحداث العام الأخير من حياة تيمور عام 807هـ / 1406 م وكان أسلوبه في الكتابة واضحاً بسيطاً ابتعد فيه عن الزخارف اللفظية وضروب البلاغة التي كانت شائعة في عصره.

وأما المؤرخ الثاني الذي عاش في تلك الحقبة، فهو شهاب الدين عبد الله بن لطف الله بن عبد الرشيد الخوافي، وقد اشتهر باسم مختصر هو حافظ آبرو ولد ميرات حوالي 763هـ / 1362 م[3]، ونشأ في همذان ولا يعرف شئ عن حياة المؤرخ قبل اتصاله بتيمور في بياني في المدخل الذي وضعه لأحد مؤلفات حافظ آيرو، عندما ترجمها إلى اللغة الفرنسية بأنه أشهر كتاب العصر التيموري ويعلل التعتيم الذي لحق بالجزء الأول من حياته بحسد الكتاب المعاصرين له لحظوته في البلاط التيموري عاش

(1) حافظ آبرو، زبدة التواريخ، ص2160.

(2) حافظ آبرو، نفس المصدر السابق.

(3) فؤاد الصياد، رشيد الدين مؤرخ المغول، ص325.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المؤرخ في كنف تيمور وخدمه بإخلاص وشهد أغلب حملاته، ويقول حافظ آبروعن نفسه إن رافق تيمور في حملته على الهند عام 800هـ / 1399م ، وعلى بغداد وحلب، ودمشق عام 803هـ / 1402 م [1]، وانتقل بعد وفاة تيمور إلى كتف ابنه شاه رخ في ميراث حيث عمل كأمين على سجلات بايستقر بن شاه رخ وتوفى حافظ آبرو في مدينة زنجان في شوال 834هـ/ آب 1430م.

وظهر نشاط المؤرخ في التأليف بعد وفاة تيمور، عندما كان في حاشية بايستقر بن شاه رخ فكتب ذيلا لكتاب جامع التواريخ للمؤرخ رشيد الدين، ضمنه عهد الحاكمين الايلخانيين أو لجايتو وابنه أبي سعيد والحقبة الأخيرة من حياة الدولة الا يلخانية بين 703-757هـ وأنجز آبرو عمله عام 820هـ / 1419م ، وكتب في هذا العام نفسه ذيلاً آخر لكتاب ظفرنامه لنظام الدين شامي، ضمنه أحداث السنة الأخيرة من عهد تيمور (عام 807هـ) التي لم ترد في مؤلف شامي، ومطلع عهد شاه رخ حتى عام 810هـ وبدأ حافظ العمل في كتابه الموسوعي مجمع التواريخ عام 822 بناء على طلب شاه رخ وقد تناول فيه أحداث التاريخ منذ العصر الجاهلي إلى عصر شاه رخ واعتمد فى تأليفه على النسخة الفارسية من كتاب الطبري وعلى جامع التواريخ لرشيد الدين وظفرنامه شامي وقسم حافظ آبرو كتابة إلى أربعة أرباع، تناول فيها حقب التاريخ المختلفة، وتحدث في الربع الأخير الذي دعاه زبده التواريخ عن تاريخ تيمورد وأدخل به الذيل الذي كتبه على ظفرنامه شامي وقد ذكر فيه أنه قد استفاد كثيرا مما كتبه نظام الدين شامي[2]، وقد نشر المستشرق التشيكوسلوفاكي تاور زبدة التواريخ عام 1956م في براغ في مجلد ثان ملحق بالمجلد الأول الذي نشره عام 1937 في بيروت وضمنه ظفرنامه شامي.

وظلت الحركة العلمية محصورة في الغالب في التاجيك وباللغة الفارسية التي كانت تعتبر لغة البحث العلمي على حد قول بارتولد [3]،ويؤكد ذلك قوائم الأسماء التي يوردها المؤرخون للمشتغلين بالطب والفلك ويتضح من هذه القوائم أن أصحاب هذه الأسماء هم من أصل فارسي أو عربي، جاءوا

(1) حافظ آبرو، زبدة التواريخ، ص 143، 160.

(2) فؤاد الصياد، رشيد الدين مؤرخ المغول، ص325 – 330.

(3) بارتولد، تاريخ الترك، ص 237.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من مدن في إيران والعراق والشام[1]، وقد أشير إلى الأطباء والمهندسين كفئة متميزة في حاشية تيمور وهم يحتلون الرتبة الثامنة من المراتب الاثنتا عشرة التي قسم تيمور حاشيته إليها، وينسب حافظ آبرو إلى تيمور بعض المعرفة الطبية التي تتعلق بالمعالجة وخواص بعض الأطعمة والأشربة[2]، كما يورد ابن عربشاه وصفاً لأساليب التداوي باستعمال معاجين مستخرجة من بعض المركبات الكيميائية التي يدعوها أحجار[3]، بالإضافة إلى الرقي ودعاء الأتقياء من الناس، وقد كانت تعتبر من الأساليب الناجحة في المعالجة[4].

10-3-2 الفلك والتنجيم:

وأورد ابن عربشاه في قائمته المطولة لأسماء العلماء الذين كانوا في حاشية تيموره اسم أحمد الطبيب النحاس الذي استطاع عام 808هـ (بعيد وفاة تيمور) أن يضع جداول فلكية ورياضية لمئتي عام مقبلة وتنبأ عن أحداث سوف تقع في هذه الحقبة[5]، وعلى الرغم من اهتمام تيمور بالتنجيم وتقدمت الأبحاث الفلكية في عهده كما كان الحال في عهد حفيده ألغ بك، الذي أنشا مرصداً في سمرقند وكانت النتائج التي توصل إليها في عهد الغ بك - برأي بارتولد - آخر كلمة قيلت في علم الفلك في العصر الوسيط،وآخر مرحلة بلغها هذا العلم قبل اختراع المنظار الفلكي [6]، ويعلل هذا المستشرق الروسي عدم تطور علم الفلك في عهد تيمور بعدم رغبة الفاتح التركي بالتنجيم الفلكي وبميله لاستفتاح القرآن كوسيلة للتنبؤ، وقد أشارت المذكرات في أماكن عديدة لاستطلاع تيمور رأي الآيات القرآنية فيما سيقدم عليه من أعمال، ويفهم من أقوال ابن عربشاه أنه قد بقيت عند بعض أتباع تيمور الجغتائيين، ممن ظلوا على ديانتهم الوثنية، عادت التنبؤ عن المستقبل من النظر في عظام الضآن[7]، وظل تقويم

(1) يزدي، ظفرنامة، ج2 ص 242، وابن عربشاه، عجائب المقدور، ص 223.
(2) حافظ آبرو، زبدة التواريخ، ص202.
(3) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص221.
(4) يزدي: ج2، ص 139.
(5) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص 222.
(6) بارتولد، تاريخ الحضارة الإسلامية، ص141.
(7) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص230.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاثني عشر حيواناً الذي كان شائعاً عند المغول والأتراك القدماء، متبعاً في عهد تيمور وأبنائه إلى جانب استعمال التقويم الهجري في التاريخ [1]، وقد استعمل يزدي وغيره من المؤرخين الفرس التقويمين في مؤلفاتهم التاريخية.

11-3-2 النشاط العمراني:

أراد تيمور عن طريق المنشآت العمرانية التي أقامها، أن يدعم وحدة امبراطورية التي أقامها بقوة جيوشه بوحدة فنية، تحت تأثير الفكرة القائلة إن المنشآت العمرانية كعمل حضاري مدني، تستطيع كالحروب والانتصارات الباهرة تخليد مجدة على مر السنين وهدف تيمور من ناحية ثانية إلى دعم فكرة الرغبة في السيطرة على العالم وإظهار عظمة الدولة التي أقامها، عن طريق إقامة منشآت عمرانية ضخمة ولذلك فاقت هذه المنشآت مثيلاتها التي انشئت في البلاد الأخرى ضخامة وارتفاعا وقد حملت جيوش تيمور معها العمال والمهندسينن من مختلف المناطق التي بلغتها، كدمشق وبغداد وشيراز ودلهى للاشتغال في أعمال البناء في العاصمة سمرقند وجلبت هذه الجيوش معها مواد البناء والأحجار والرخام والأعمدة ،وقد لمس ابن عربشاه من هذه الأعمال أيضاً رغبة تيمور في دعم فكرة عالمية دولته عن طريق إظهار أن جميع الشعوب تقوم على خدمته[2].

وقد بدت الرغبة في إظهار عالمية الدولة التيمورية أيضاً، في تعدد الأساليب الفنية في الأبنية التي شيدت في عهد تيمور فظهرت الأساليب الإسلامية الفارسية في شكل الأبنية ومخططاتها والأغراض التي شيدت من أجلها، إلى جانب الأساليب الصينية التي بدت في الزخارف بالإضافة إلى الرغبة في

(1) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص 230 ويقوم هذا التقويم على تسمية كل عام باسم حيوان من اثنتي عشر حيواناً تقول الأسطورة التي اشارت إلى منشأ هذا ا لتقويم، إن أحد ملوك الترك القدماء لما خرج إلى الصيد شاهد هذه الحيوانات تقفز إلى نهر آيلي هاربة منه بالترتيب الذي اتبعه التقويم فيما بعد.

(2) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص151.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

محاكاة أشكال مخيمات الأتراك الجفتائيين عند بناء القصور واستخدام الألوان المتعددة والصارخة التي تستهوي الشعوب البدوية[1]، وقد أثر عن تيمور حبه الشديد للبناء والفنون بشكل عام ، وكانت سرعته في إقامة المباني في سمرقند لافتة للنظر كسرعته في التدمير في المناطق الأخرى ، وقد أشار يزدي إلى أنه قد تم بناء أحد القصور خلال شهر ونصف[2]، وكانت أعمال البناء في كثير من الأحيان تراقب من قبل تيمور بالذات وقد شاهد كلافيجو تيمور عام 807هـ/ 1406م في سمرقند وهو مريض، وقد حمل على محفة وخرج ليتفقد أعمال بناء أحد القصور خارج المدينة وقد تصل عقوبة التأخر في مواعيد انجاز الأبنية إلى الموت أحياناً وكان تيمور يجتمع من وقت إلى آخر بالمهندسين لمناقشتهم في أعمالهم ويعد الامر ال أن يفرض عليهم آراءه التي كان بعضها صائبا مما يثير دهشة المهندسين، وبعضها الأخر غير قابل للتحقيق وأضحت معظم المباني التي شيدت في عهد تيمور، أطلالاً بعد مدة وجيزة من الانتهاء من بنائها ويذكر ابن عربشاه أن المصلين في المسجد الجامع بسمرقند كانوا يخشون من خطر تساقط حجارة السقف على رؤوسهم أثناء الصلاة[3]، وربما كان السبب في ذلك، السرعة التي تم بها تشييد هذه المباني ثم محاولات المهندسين تحقيق رغبات تيمور على حساب القواعد العلمية.

توقفت منذ عهد تيمور عادة البناء بالتراب والخشب التي كانت شائعة في الماضي واستعملت الحجارة والأجر[4]، وشيد في تلك الحقبة عدد من القصور في سمرقند ومناطق أخرى في بلاد ما وراء النهر ولا نعرف في الوقت الحاضر عن أغلب هذه القصور إلا ما ذكرته الروايات المعاصرة فقد أشار يزدي إلى أن تيمور بنى قصراً في بخارى عام 791هـ / 1390م.

وترى بعض الأبحاث الحديثة أن مسجد بين الخاتم من أعظم المساجد التي شيدت في أسيا الوسطى، وهو لذلك من أعظم مساجد العالم الإسلامي، وتعزو هذه الأبحاث سبب تصدع البناء في السنوات الأولى للإنتهاء من عمارته – كما أشار إلى ذلك ابن عربشاه – إلى السرعة والإهمال أثناء

(1) ابن عربشاه، ، ص 159.

(2) يزيدي، ظفرنامة، ج1 ص572.

(3) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص159

(4) يزدي، ظفرنامة، ص 349.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تشييده، وكذلك لضخامة منشآته وقبابه وأقواسه[1]، ساهمت الهزات الأرضية بعد ذلك، على مر الأيام، بهدم أجزائه بالتدريج وقد حول زلزال عام 1898م مجموعة البوابة الرئيسية إلى أنقاض، ولم يبق من المسجد اليوم إلا جزء من المئذنة الشمالية الغربية يرتفع إلى 18,20م.

12-3-2 مقبرة تيمورلنك:

وأشرف تيمور على بناء مقبرة له في سمرقند وقد انتهى بناؤها قبيل وفاته بأمد قصير، عام 807هـ/ 1405م بإشراف مهندس تاجيكي من مدينة أصفهان وتعرف المقبرة اليوم باسم كورمير أي قبر الأمير وهي لا تزال بحالة جيدة، وتعتبر من مآثر فن العمارة في العصر الوسيط، وينظر إليها مع المسجد الجامع على أنهما نموذجان كاملان لفن العمارة في عصر تيمور.

تتألف المقبرة من بناء مثمن الأضلاع من الخارج، تعلوه قبة بصلية الشكل، ذات عنق أسطواني عال والقبة من الخارج مضلعة ومكسوة بالقرميد الأزرق القاتم والأزرق السماوي. وتلتف حول العنق كتابات قرآنية، وكان للبناء من جهة المدخل مئذنتان، لم يبق منها اليوم إلا الأطلال، فقد انهارت الأولى عام 1860م وانهارت الثانية عام 1901م[2].

وللقبة من الداخل شكل مربع، له أقواس في جدرانه الأربعة، وبوابات صغيرة في كل ضلع من أضلاعه، وداخل القبة غني بالزخارف، فالأجزاء السفلي من الجدران مغطاة بالرخام الأخضر المعرق، يعلوه حزام من حجر اليشم المزخرف بزخارف نباتية وكتابات مذهبة، تسجل أعمال تيمور، وأما الأجزاء العليا من الجدران فهي مغطاة بنقوش بارزة مذهبه على أرضية زرقاء، وتنفتح فيها نوافذ تسمح لأشعة الشمس بالنفاذ إلى الداخل أما سقف القبة من الداخل فهو مزخرف أيضاً بزخارف من اللوتين الذهبي والأزرق. ويقع ضريح تيمور في مستوى أخفض من أرض المكان[3]، ويتألف من قطعتين من حجر اليشم مزينتين بزخارف نباتية، جاء بهما الغ بيك حفيد تيمور، من غزوته إلى بلاد الجتا عام 828هـ/ 1425م ووصفهما مارتان بأنهما من أشهر قطع اليشم في العالم.

---

(1) آثار الإسلام.

(2) آثار الإسلام، ص8.

(3) آثار الإسلام، ص 58.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولتيمور أعمال عمرانية أخرى فقد رمم أسوار سمرقند، وبنى في الجزء الغربي من هذه الأسوار قطعة ورمم قصر الخان الجغتائي كيك في قارشي، وأقام مسجداً على قبر والده في مدينة كيش (شهري سبنز) وأعاد إعمار مدينة بيلقان في شمال اذربيجان[1].

وعلى الرغم من إشارة ابن عربشاه السابقة عن استعمال التصوير لتزيين القصور التي شيدها تيمور، فإننا لا نعلم شيئاً اليوم عن هذه الصور أو عمن قاموا برسمها وكان تيمور قد نقل من بغداد إلى سمرقند بعض الرسامين ويشير ديماند إلى ثلاث نسخ مصورة من الملحمة الفارسية الشهيرة "الشاهنامة" كتبت في عهد تيمور تحتفظ مكتبة "طوب قبوسراي" في اسطنبول بإحداها ، وقد كتبت عام 772هـ/ 1370م ويرجع تاريخ الثانية إلى عام 796هـ/ 1394م وهي محفوظة بدار الكتب في القاهرة، وثالث هذه النسخ ترجع إلى عام 800هـ/ 1398م وهي موجودة في مكتبة المتحف البريطاني، وتظهر في الصور التي زودت بها هذه النسخ، العناصر الفنية المميزة للمدرسة التيمورية في التصوير، وهي التي شهدت عصرها الذهبي في ميرات وشيراز في عهد خلفاء تيمور[2]، وكان من أبرز هذه العناصر الاهتمام بتصوير هذه المناظر الطبيعية، مع الإكثار من الزخرفة والتلوين.

---

(1) يزدي، ظفرنامة، ج2، 393.

(2) ديماند، الفنون الإسلامية، ترجمة أحمد محمد عيسى، ص52

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

علاقة تيمورلنك بسلاطين المماليك

3-1 علاقة تيمورلنك بسلاطين المماليك قبل السلطان برقوق:

3-1-1 نشأة دولة المماليك:

حكم مصر والشام ما بين عامي 648 – 923هـ/ 1250 – 1517م فرعان من المماليك[1]، أطلق على الفرع الأول (دولة المماليك البحرية[2]، 648 إلى 784هـ/ 1250-1382م) وأطلق على الثاني (دولة المماليك الجراكسة أو البرجية[3]، من سنة 784 إلى 923هـ/ 1382 – 1517م) وقد عرف حكم المماليك منذ بداية نشأتهم حتى وفاة السلطان الناصر محمد بن قلاوون بالقوة والجهاد ضد أعداء الدين.

---

(1) كما يتضح من مدلول اللفظ نفسه هم الرقيق الأبيض الذين أسروا في الحروب أو الذين بيعوا في أسواق النخاسة، وتعهدهم من يشتريهم بالرعاية والعناية والتدريب العسكري ليكون عدتهم عن حدوث المنازعات أو الحروب مع غيرهم، وأبدوا بسالة نادرة في المجال الحربي.

د. قاسم عبده قاسم، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي، دار الممعارف المصرية، القاهرة، 1979، ص9.

د. علي إبراهيم حسن، مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي إلى الفتح العثماني، الطبعة الخامسة، ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1964م، ص 203.

(2) دولة المماليك البحرية مؤسسها عز الدين أيبك التركماني (648هـ/ 655هـ) وكلمة البحرية أطلقت على طائفة المماليك قبل تأسيس دولتهمن هذه الطائفة هي التي أسكنها سيدهم الملك الصالح نجم الدين الأيوبي (637 – 647هـ) بجزيرة الروضة وبني فيها ثكنات خاصة بهم.

المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية) القاهرة: طبعة بولاق، 1270، 90/3.

د محمود رزق، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، المجلد الأول، الطبعة الثانية، المطبعة النموذجية، القاهرة، 1381هـ - 1962م، 1/23- 41.

(3) قامت على أنقاض الدولة الأولى، سميت بالبرجية أو مماليك البرج لأنها تنتمي إلى لواء من الجند كان مقيما في القلعة، وقد أكثر السلطان المنصور سيف الدين قلاوون (679 – 689هـ) من شرائهم حتى بلغ عددهم 3700 كما كانوا يسمون أيضاً المماليك الشراكسة نسبة إلى موطنهم الأصلي الذي أتوا منه وهو جورجيا وبلاد الشركي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد انبرى المماليك لمواجهة الطوفان المغولي وتهديداته المتكررة، فتمكنوا من الانتصار عليه في أكثر من معركة كان أعظمها شهرة معركة عين جالوت سنة 658هـ/1260م حيث انهزم فيها المغول هزيمة منكرة أنقذت خلاله البشرية من شرورهم وغاراتهم المدمرة.

كما أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون (693 – 741هـ / 2193 – 1341م)[1]، كان له دور فعال في مواجهة الزحف المغولي سنة 699هـ - 1299م في موقعة الخزندار[2]، وفي موقعة مرج الصفر[3]، سنة 702هـ - 1303م التي حقق فيها انتصار كبيران أظهر خلاله المماليك شجاعة وبطولة فائقة، فكانت تلك المعركة نهاية لسلسلة الحروب المتواطة بين الطرفين[4]، حيث لم تنشب بينهما حروب ذات أهمية حتى نهاية القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي حيث جاءت حملات تيمورلنك المدمرة راغبة في انتزاع بلاد الشام من قبضة المماليك.

واستمر عصر المماليك الأول يشار إليه بالبنان لكن بعد وفاة الناصر محمد بن قلاوون 741هـ/ 1341م تغير الوضع بتعيين أبنائه وأحفاده الذين تولى أغلبهم السلطة وهم أطفال[5]، لا يملكون القدرة

د. حسن علي إبراهيم، مصر في العصور الوسطى، ص 228.

د. قاسم عبده قاسم، دراسات في تاريخ مصر، ص 10.

(1) اعتلى الناصر محمد عرش مصر ثلاث مرات، استمرت الفترة الأولى عاما واحدا أي من سنة 1693 إلى 694هـ ثم اغتصب الملك منه ا لعادل زين الدين كتبغا، فالمنصور حسام الدين لاجين 696 – 698هـ واستمرت فترة الاغتصاب هذه أربع سنوات ثم بدأ الناصر مرحلة سلطنته الثانية من سنة 698هـ إلى 708هـ حيث تمكن بيبرس الجاشنكير من الاستيلاء على ا لعرض بنفسه واستمر حتى سنة 709هـ حتى خلع نفسه من السلطنة بعد تآلب المراء عليه، وعاد الناصر إلى السلطنة للمرة الثالثة التي استمرت اثنتين وثلاثين سنة متصلة 709 – 741هـ انفرد وحده بحكم مصر.

(2) يقع هذا المكان في وادي الخزندار وهو بين حمادة وحمى، وقد انتصر المغول في هذه المعركة.

(3) مرج الصفر: موقع بدمشق، وتسمى أيضاً شقحب وبينها وبين دمشق ستة فراسخ ياقوت الحموي: معجم البلدان: 101/5.

(4) المقريزي، السلوك، 934/2/1 – 937.

محمد جمال سرور، دولة قلاوون في مصر، ص 197.

(5) كان من بين هؤلاء: سيف الدين أبو بكر (741 – 742هـ)، وعلاء الدين كجك (742هـ) وكان عمره لا يتجاوز السابعة، كذلك عندما اعتلى الحكم الناصر حسن بن محمد بن قلاوون (748هـ) لم يتجاوز عمره الحادية عشر، وكان حاجي بن شعبان (783 – 784هـ) هو آخر سلاطين المماليك من بيت الناصر محمد بن قلاوون وكان عمره عند اعتلائه الحكم يتراوح بين التاسعة والحادية عشر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والكفاءة على إدارة دفة أمور الحكم، لصغر سنهم وقلة خبرتهم فانعكس ذلك على أوضاع البلاد في مختلف النواحي، ودفع الأمراء الكبار إلى السيطرة على زمام الأمور فنشبت الفتن والمنازعات والمؤمرات فيما بينهم.

وعلى كل حال فقد ظهر في الفترة الأخيرة من حكم أحفاد الناصر أمراء أقوياء أمثال بركة الجوباني [1]، وبرقوق العثماني[2]، اللذان نجحا في التخلص من أينبك البدري[3]، صاحب الحل والعقد في

انظر: ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محد بن أيدمر العلائي (ب809هـ) الجور الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق، محمد كمال الدين عز الدين على، الطبعة الأولى، عالم الكتب، ، بيروت، 1405ه / 1985م، 174/2 – 243.

(1) هو بركة بن عبد الله الجوباني اليلبغاوي، رفيق السلطان الظاهر برقوق، وكان تركيا جلبه خواجه جوبان من بلاده إلى الديار المصريةن فاشتراه الأمير يلبغا الخاضكي وجلعه من جملة مماليكه، وترقى في المناصب أمير مائة ومقدم ألف وأمير مجلي ولما تولى برقوق الاتابكية صار بركة رأس نوبة الأمراء، ثم وقع بينه وبين برقوق فتنة أوجبت قتالهما، وتمكن برقوق من قتله في سنة 782هـ.

ابن تغري بردي، المنهل الصافي، 3 /351 – 354.

(2) هو برقوق بن آنس السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق العثماني اليلبغاري سلطان الديار المصرية، القائم بدولة الشراكسة، كان اسمه الطنبغا، وقيل سودون فلما اشتراه الأتابك يلبغا العمري سماه برقوق وجعله من جملة مماليكه، وتقلب في المناصب من الجندية إلى أمرة طبلخاناه، ثم إلى أمرة مائة وتقدمه ألف وصار يترقى حتى أصبح هو السلطان سنة 784هـ/ 1382م.

انظر: السخاوي، الضوء اللامع، 12/3/2 -14.

(3) عينه الملك المنصور علي بن الأشرف شعبان أتابك العساكر عوضا عن الأمير قرطاي الطاري، ونودي في القاهرة ومصر (من كانت له ظلامه فعليه بباب أمير كبير أينيك البدري) وتزايدت حرمته أضعافاً كبيرة.

انظر : ابن اياس، بدائع الزهور، 203/3/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دولة المنصور على بن شعبان[1]، (778 – 783هـ) وسيطرا بركة وبرقوق على أزمة الأمور واقتسما خيرات البلاد فلم يكن يستطيع أحد أن يلي وظيفة إلا بمال حتى تندر العامة بهما (برقوق وبركة نصبا على الدنيا شبكة) وكان ذلك نذيرا بسقوط دولة بني قلاوون فالسلطان لم يعد إلا هيكلا ظاهريا وكان من سولت له نفسه بمركز دون إرادة برقوق كان نصيبه الهلاك والسجن[2]، ثم خطط برقوق للقضاء على رفيق دربه بركة فقام أولاً بالتقرب من الشراكسة وشملهم بعطفه وبوأهم المراكز الهامة.

2-1-3 الاتصالات بين تيمورلنك وسلاطين المماليك قبل السلطان برقوق:

انبرى المماليك لمواجهة الطوفان المغولي وتهديداته المتكررة، فتمكنوا من الانتصار عليه في أكثر من معركة كان أعظمها شهرة معركة عين جالوت سنة 658هـ/1260م حيث انهزم فيها المغول هزيمة منكرة أنقذت خلاله مصر من شرورهم وغاراتهم المدمرة.

ونجح المماليك منذ ذلك التاريخ وعلى مدى قرن من الزمان بين منتصف القرن الرابع عشر الميلادي) – في رد حملات الا يلخانيين المتكررة في بلاد الشام، في الوقت الذي تمكنوا فيه من القضاء على آخر معاقل الصليبيين في عكا، عام 690هـ (1291م).

كانت علاقة المغول بالمماليك بعد موقعة عين جالوت عدائية تارة وودية تارة أخرى وكان أشد خطر هددت به مصر من جانب المغول في عهد سلطانهم تيمورلنك الذي نظم جموع المغول واتجه على رأسها نحو الغرب وأعاد سيطرة المغول على بغداد سنة 795هـ.

---

(1) هو الملك المنصور علي بن السلطان الملك الأشرف شعبان تولى الحكم بعد مقتل أبيه وهو ابن ثمان سنين وكان ذلك سنة 778 – 783هـ.
انظر: العيني، عقد الجمان، ص 10.
ابن حجر العسقلاني، أبناء الغمر، 232/1.

(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 163/11.
انطون خليل ضومط، الدولة المملوكية (التاريخ السياسي والاقتصادي العسكري)، الطبعة الثانية، دار الحداثة، بيروت، 1982م، ص 286.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي 803هـ انقض على بلاد الشام انقضاض الصاعقة واستباح مدينة حلب ثلاثة أيام وقتل من سكانها نحو عشرين ألفا وخرّب مساجدها ثم اجتاح مدن حماه وحمص وبعلبك وعاث فيها فسادا.

وصلت أخبار هذه الطائفة المغولية المدمرة إلى القاهرة فخرج السلطان الناصر فرج بن برقوق منها على رأس جيشه متجها نحو الشام ووصل إلى دمشق في جمادى الأولى من السنة نفسها واشتبك الجيش الإسلامي مع جيش المغول في معارك حزئية ثبت فيها الجيش الإسلامي أمام هجمات المغول الشديدة وبرهن على مقدرته الحربية.

كانت السلطات المملوكية حريصة على تتبع حركات تيمور، منذ أن بدأ أعماله في إيران والعراق، ويشير ابن الفرات إلى تجريده عسكرية أرسلت لكشف أخبار تيمورلنك بقيادة أحد الأمراء المماليك، قد عادت إلى القاهرة في رجب عام 789هـ (تموز 1387م) حاملة أخبار انتصار تيمور على تركمان الغنمة السوداء في منطقة الفرات العليا. في ذلك العام وكان حكام إيران والعراق في الوقت نفسه يرسلون بأخبار تيمور العسكرية إلى القاهرة في بعض الأحيان.

ولكن لم تكن هناك اتصالات تذكر بين المماليك وتيمورلنك قبل عهد السلطان الظاهر برقوق.

3-2علاقة تيمورلنك بالسلطان برقوق:

3-2-1الاحتكاكات والاتصالات مع الظاهر برقوق:

سبقت غارة تيمور على بلاد الشام في مطلع عام 803هـ (أواسط 1400م) مرحلة طويلة من الاحتكاكات والاتصالات الدبلوماسية بين الفاتح التركي ودولة المماليك بدأت في عهد السلطان الظاهر برقوق واستمرت إلى عهد ابنه الناصر فرج، وبقيت هذه الاتصالات مستمرة بين الدولتين إلى ما بعد عودة تيمور من حملة اجتياح بلاد الشام.

ولا تقل أعمال الفاتح التركي السياسية والعسكرية في بلاد الشام مع المماليك، في أهميتها عن أعماله في أسيا الصغرى من العثمانيين، فقد كانت دولة المماليك أيضاً تتميز بنظامها العسكري، واستطاعت جيوشها المدربة تدريباً عالياً أن توقف قبل مائة وخمسين عاماً الغزو المغولي، الذي انطلق

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من قلب أسيا، وأن تنتصر على المغول في المعركة الشهيرة في عين جالوت عام 658هـ (1260م) ونجحت منذ ذلك التاريخ وعلى مدى قرن من الزمن بين منتصف القرن الرابع عشر الميلاد بين) - في رد حملات الا يلخانيين المتكررة في بلاد الشام، في الوقت الذي يمكنت فيه من القضاء على آخر معاقل الصليبيين في عكا، عام 690هـ (1291م)[1].

ولكن دولة المماليك في الآونة التي بدأ فيها تيمور أعماله العسكرية في إيران، كانت تعاني من فتن واضطرابات داخلية كان لها أثر سئ على مقدرتها العسكرية من الناحية الخارجية، فقد اشتد النزاع والتنافس بعد وفاة السلطان محمد الناصر بن قلاوون عام 741هـ (134م) بين أبنائه ثم بين أحفاده على الحكم، إلى أن استطاع أحد الأمراء الشراكسة وهو برقوق أن يحسم النزاع عام 784هـ (1382م) لصالحه، فجلس على العرش، وأنهى عمله هذا حكم سلاطين المماليك الأتراك، وبدأ به حكم السلاطين الشراكسة الذي استمر إلى قدوم الاحتلال العثماني لمصر عام 922هـ (1517م).

ولكن السلطان الجديد الذي حكم بين عامي 1784 و 801هـ (1382 - 1400م) لم يوفق في القضاء على المشاكل التي كانت تعاني الدولة منها، على الرغم من قوة شخصيته وسعة حيلته وقدرته

(1) إبراهيم طرخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، القاهر 1960، ص 15.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على تحمل المشاق والمصاعب، فقد طفح عهده بالفتن والثورات[1]. وكانت المؤامرات والفوضى أقوى من السلطان نفسه، فخلع عن عرشه بعد سبع سنوات من جلوسه عليه (في جمادى الآخرة 791هـ/ جزيران 1389م) ليستقر فيه إلى وفاته[2].

وصور ابن تغري بردي حالة الفوضى وعدم المبالاة التي كانت تعاني منها البلاد، عندما بدأ الفاتح التركي زحفه نحو الغرب، فقال: لم يتأهب أحد من المصريين لقتال تيمور ولا التفت إلى ذلك بل كان جل قصد كل واحد منهم ما يوصله إلى سلطنة مصر وإبعاد غيره عنها[3].

---

(1) جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق محي الدين عبد الحميد، القاهرة، 137هـ/ 1952، ص 504.

وقد ثار على السلطان برقوق عام 789هـ/ 1387م نائبه على ملطية ويدعى منطاش ولما سار إليه نائب حلب يلبغا الناصري فر إلى سيواس ولم يلبث يلبغا نفسه أن ثار بعد عامين 791هـ/ 1389م واتفق مع منطاش. وجمع يلبغا تحت إمرته أغلب قوات الشام، وأخذ دمشق واحتل قلعتها بعد أن هزم قوات السلطان برقوق في معركة برزة شمال شرق دمش واضطر السلطان في إثر الهزيمة للتواري عن الأنظار، ولما زحف التوار إلى القاهرة اهتدوا إلى مخبئة فاعتقل ونفي إلى الكرك في شرق نهر الأردن وأعيد إلى العرض أحد أحفاد السلطان الناصر محمد بن قلاوون ولم يلبث منطاش أن تار على يلبغ، وتمكنك من اعتقاله، ونفاه إلى سجن في الإسكندرية وأرسل إلى الكرك من يقتل برقوق في سجنه ولكن أهل الكرك قتلوا رسول منطاش وسرحوا برقوق من سجنه فسار بقوة صغيرة إلى دمشق ام 792ه، (1390م) فاحتلها ونكل بأعوان منطاش ولما خرج إليه هذا من مصر دارت المعركة بين الفرقين في شقحب في حوران ولم تنته المعركة إلى نتيجة حاسمة، وسار برقوق بعدها إلى مصر وجلس على العرش من جديدن في الوقت الذي استقر فيه خصمه منطاش في دمشق، وضم إليه حكم حلب وقد السلطان برقوق للقدوم إلى دمشق منجديد على اثر انسجاب السلطان وعودته إلىمصرن دافع عن المدينة يلبغا الناصري الذي أطلق سراحه من منغاه بالإسكندرية واضطر السلطان برقوق للقدوم إلى دمشق للمرة الثالثة، وفر منطاش في هذه المرة إلى أحد امراء البادية هو الأمير نعيرم وكان برقوق قد اغري الأمير بالمال فاعتقل منطاش وسلمه للسلطان المملوكية، وقتل في قلعة حلب ع ام 795هـ/ (1393م) انظر لذلك من ابن الشحنة، روضة الناظر، ص 197 – 209 وابن صصري، كتاب الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، تحقيق ولمي بريز، كاليفورينا ، لوس انجلوس هذا وقد خاض السلطان برقوق صراعاً أخر مع الخلفاء العباسيين المقيمين في القاهرة فخلع أحد هؤلاء عام 785هـ/ (1383م) ويدعى المتوكل على الله، وحول الخلافة الأخر هو الواثق بالله ولما تفوى الواثق بعد هذا التاريخ بثلاث سنوات رفع برقوق إلى منصب الخلافة رجل جديد من آل العباس يدعى المستعصم بالله وظل المتوكل على الله معتقلاً إلى أن أعيد إلى منصبه ثانية بوفاة المستعصم عام 791هـ انظر القلقشندي، الإناقة، ج3، ص 184- 187).

(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهر، ص 217 – 218.

(3) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، م 9، ج1، ص10.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعلى الرغم من حالة التفكك والفوضى التي كانت تعاني منها الدولة، فإن السلطات المملوكية كانت حريصة على تتبع حركات تيمور، منذ أن بدأ أعماله في إيران والعراق، ويشير ابن الفرات إلى تجريده عسكرية أرسلت لكشف أخبار تيمورلنك بقيادة أحد الأمراء المماليك، قد عادت إلى القاهرة في رجب عام 789هـ (تموز 1387م) حاملة أخبار انتصار تيمور على تركمان الغنمة السوداء في منطقة الفرات العليا. في ذلك العام وكان حكام إيران والعراق في الوقت نفسه يرسلون بأخبار تيمور العسكرية إلى القاهرة في بعض الأحيان. فقد بعث حاكم مدينة بسطام في خراسان، بأخبار انتصار تيمور على شاه منصور المظفري وقتله له عام 795هـ (1393م) ومع ذلك فإنه يظهر أن السلطات المملوكية لم يكن لديها في تلك الآونة خطة معينة في مقاومة توسع الفاتح التركي، أو التدخل لتقديم المساعدة لحكام إيران والعراق، إذ لما أرسل حاكم ماردين الظاهر مجد الدين عيسى إلى القاهرة بخلعه تيمور وبكتابة له، الذي يطالبه فيه أن يخطب ويضر النقود باسمهن كان جواب القاهرة فاترا، ولم تطلب منه سوى الانتصار[1]. ويظهر عدم اكتراث السلطات المملوكية لاتخاذ موقف واضح من عمليات تيمولينك في تلك البلاد، فقد ذكر ابن الفرات أنه قد أشيع في العاصمة المملوكية عام 790هـ (1388م)، أن تيمور قد عاد من تبريز إلى بلاده لكثرة من توفي من عساكره، وبسبب الغلاء في تلك المدينة[2].

وكان تيمور بدوره يكن للمماليك العداء ويسعى لإظهار الاحتقار والازدراء لحكامها في كل مناسبة فيتهمهم في رسالته إلى برقوق عام 796هـ /1394م بالرشوة واكل مال الأيتام[3]. ولا يعتبر يزدي مؤرخ العصر التيموري السلطان الظاهر برقوق إلا والياً على مصر ويرى أن الحكام المماليك قد حادوا عن الصراط المستقيمن وساروا في طريق الغزو والطغيان[4]. ويتضح كره الفاتح التركي للمماليك مع معاداته لأصدقائهم وحلفائهم، وفي اقتناص الفرص للانتقام من هؤلاء الجلفاء فكان من الأسباب التي دفعت تيمور لاحتلال سيواس والتنكيل بسكانها - كما أشار إلى ذلك في إحدى رسائله إلى بيازند - أرسال سكان المدينة بعض الهدايا إلى سطان مصر ولذلك وجبت معاقبتهم[5].

(1) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، م9، ج2، 432.

(2) ابن الفرات، ، م9 ج 1، ص 24

(3) العسقلاني، انباء الغمر، ج1، ص474.

(4) يزدي، ظفرنامة، ج1، ص 458.

(5) فريدون بيك، مجموعة منشآت السلاطين، ج1، ص 131.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ودفعت سياسة العداء تيمور، لأن يحرص على أن يظل على اطلاع على أحوال دولة المماليك، عن طريق شبكات التجسس التي دأب على بثها في بلاد الشام، والتي وصل بعضها لممارسة نشاطه في القاهرة نفسها، وذلك قبل بدء الصراع المسلح بين الفريقين بوقت طويل ويتحدث ابن الفرات عن اكتشاف إحدى هذه الشبكات عام 789هـ/ 1387م في حلب، ويقول إنه في شعبان من ذلك العام أرسلت السلطات المملوكية في الشام إلى مساعديه في دمشق[1]. وثم بعد ذلك التاريخ بسبع سنوات، اكتشاف شبكة تجسس أخرى أكبر من الأولى كانت تمارس عملها بين حلب والقاهرة فقد أشار كل من المقريزي والعسقلاني وابن قاضي شهبة، إلى أنه في ربيع الأول عام 796هـ/ كانون الثاني 1394م أرسلت سلطات الشام المملوكية إلى القاهر، رجلاً تركياً مكبلاً بالحديد يدعى دولات خجا أقر بعد ضربه بوجود عدد من الجواسين في القاهرة يساعدونه في عمله، فألقى القبض على سبعة منهم، وكانوا في ثياب التجار[2]. ويبدو أن اكتشاف هذه الشبكة قد أثار دهشة وفضول حكام القاهرة.

حتى أن السلطان برقوق قد حضر بنفسه لمشاهدة دولات خجا في معتقله ويبدو أيضاً أن المؤرخ ناصر الدين محمد بن الفرات الذي كان يعيش في تلك الفترة في القاهرة، قد شاهد الجاسوس التيموري، فوصفه فقال إنه كان كبير الوجه ضيق العيون أجرد ليس له في ذقنه شعر البته، وذكر دولات خجا عن نفسه بأنه مسلم يقرأ القرآن وقدم معلومات عسكرية عن قوات تيمورلينك وأعداد جنده، وأقر بأن له ثلاث مساعدين يقيمون في حلب[3]. وكان الجواسيس الذين ترسلهم سلطات ما وراء النهر إلى الشام أو مصر، يشكلون مصدر إزعاج للسلطات المملوكية، دفع برقوق إلى الإشارة إلى ذلك في إحدى رسائله إلى تيمور عام (796هـ)، وأرسل يبر سبب قتل أحد المبعوثين التيموريين فقال: إن الرسول المذكور كان يكتب المنازل منزلة منزلة إلى بلادنا المحروسة، واطلع عليه جماعة من جهتنا[4].

(1) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، م9، ج12 -14.

(2) المقريزي، السلوك، ج3، ق 2 ص 802، والعسقلاني، انباء الغمر، ج1، ص474 و ابن قاضي شهبه، تاريخ ابن قاضي شهبه، الجزء الأول القسم الثالث، ص506.

(3) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، م9، ج2، ص269.

(4) القلقشندي، صبح الأعشى، ج7، ص316.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2-2-3 طمع تيمورلنك بمصر:

وتفصح أعمال تيمور هذه عن نية عداونية ضد دولة المماليك، ومطامعه في أراضيها ولا يخفي يزدي أنه كان في نية تيمور القدوم لاحتلال بلاد الشام عام 795هـ /1393م بعد نجاحه باحتلال بعداد في ذلك العام[1]. ويجعل شامي المؤرخ التيموري الأخر مطامع الفاتح التركي في تلك الآونة تتجاوز بلاد الشام لاحتلال مصر[2]. وقد أكد هذا العزم السخاوي الذي أفاد بأن تيمور قد اتجه بعد احتلال بغداد إلى الثغر السلوكي وهي الرحبة الواقعة على نهر الفرات، يريد الإغارة على بلاد الشام ولكن حركة توقتميش خان الفبجاق وحليف المماليك في شمال اذرييجان، اجبرته على التراجع[3].

وظل تيمور يظهر رغبته باحتلال مصر في كثير من المناسبات وجاء في إحدى رسائله إلى أحد أمراء عرب بادية الشام والتي يحرضه فيها للخروج على سلطة المماليك والانضمام إليه عام 796هـ /1394م قوله فنحن واصلون إليكم في طريقنا إلى مصر[4]. وأرسل في مناسبة أخرى بعد عودته من غزوة بلاد الشام عام 803هـ / 1402م إلى السلطان العثماني يقول: إن غزوته لبلاد الشام وعودته منها لن تحول دون غزو مصر، لأنه ينوي العودة لاحتلال ذلك البلاد[5]. وبعث في مناسبة ثالثة عام 805هـ /1403م إلى الناصر فرج يهدده بالزخف على مصر بعد أن يفرغ من الحروب في بلاد الروم[6].

ويظهر أن تيمور الذي كان يهدف للسيطرة على العالم، كان بهدف أيضاً من وراء إظهار رغبته باحتلال مصر، أن يصل إلى منصب الخلافة، لأن القاهرة كانت مقر الخليفة العباسي وعاصمة سلاطين المماليك الذين كانوا يشكلون عقبة كبيرة في وجه الفاتح التركي، لبلوغ هذه الغاية ويبدو تطلع تيمور إلى منصب الخلافة من إلحاحه على أن يخص نفسه بعلامتين كان قد اصطلح على أنهما من علامات

---

(1) يزدي، ظفرنامة، ج1، ص473.

(2) شامي، ظفرنامة، ص146.

(3) السخاوي، الضوء اللامع، ج2، ص46.

(4) القلقشندي، صبح الأعشى، ج7، ص311.

(5) فريدون بيك، مجموعة منشآت السلاطين، ج1، ص128 الرسالة التيمورية الثالثة إلى با يزيد.

(6) يزدي، ظفرنامة، ج2، ص331.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخلافة، وهما الخطبة والسكة وكان دأبه أن يطالب حكام البلاد التي ينوي احتلالها أن تكون الخطبة والسكة في هذه البلاد باسمه وقد جاء في رسالته إلى رجال الدين في دمشق عام 803هـ / 1402م بأنه ينوي قصد بلاد مصر ليضرب السكة ويذكر اسمه في الخطبة[1]. وذهب به الأمر إلى القول في رسالته التي وجهها إلى السلطان افرج عام 815/ 1414م أنه لا يكتفي أن تكون الخطبة والسكة في مصر والشام باسمهن بل يجب أن يرافق ذلك إقرار من فرج على أن هذا هو حق خالص للفاتح التركي[2]. ولعل صرف تيمور لذلك الرجل الذي خرج من قلعة دمشق أثناء حصار القوات التيمورية لها عام 803هـ 1402م مدعيا النسب العباسي ومطالبته له بإنصافه وايصاله إلى منصب الخلافة الذي يعتقد أنه يستحقه وراثة عن آبائه من دون الخليفة الذي أقامه المماليك في حمايتهم في القاهرة[3]، إنما هو إزاحة لمنافس آخر على هذا المنصب الذي كان يتطلع إليه تيمور، ويقول المقريزي إن تيمور حاول أن يرسل عام 807هـ 1405م عشرة آلاف فارس مع المحمل العراقي وبعثه لكشف الطريق إلى الحجاز وقرر أن يرسل كسوة للكعبة في العام التالي[4]، وحالت وفاة تيمور التي كانت قبل موسم الحج في ذلك العام دون أن يحقق هذه الرغبة.

3-2-3 الاحتكاكات الأولى عام 789هـ:

كانت الاحتكاكات الأولى بين تيمور والمماليك في الغالب غير مباشرة قبل عام 796هـ /1394م واقتصرت على بعض الإجراءات التي تخذها السلطان المملوكي أو نوابه في بلاد الشام، رداً على الأعمال التي كانت قوات الفاتح التركي تقوم بها في المناطق القريبة من ثغور بلادهم، في العراق أو بلاد الروم

---

(1) المقريزي، السلوك، ج3، ق 3، 31 وابن تغري، بردي النجوم الزاهرة، ج 2، ص221 وقد أورد ابن قاضي شبهة نص العبارة السابقة الواردة في رسالة تيمور بعد أن ترجمها من الفارسية إلى العربية على الشكل التالي: ثم قصدنا بلاد مصر ليضرب بها السكة. ويذكر اسمنا في الخطبة ثم ترجع بعد أن نقر سلطان مصر بها. انظر ابن قاضي شهبه، ص 200.

(2) يزدي، ظفرنامة، ج2، ص331.

(3) المقريزي، السلوك، ج3، ق 3، ص1166.

(4) ابن خلدون، التعريف، ص 374 – 376.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من باب الاحتياط للطوارئ فقد وجه برقوق كما يقول ابن الفرات بعض أمرائه إلى بلاد الشام لاتخاذ بعض الإجراءات الدفاعية، على أثر وصول أخبار تقدم جحافل تيمور إلى إيران عام 789هـ /387م [1]، ويضيف المقريزي على ذلك، أن العساكر التي وجهت إلى بلاد الشام في ذلك التاريخ، قد اشتبكت بطلائع قوات تيمور في ضواحي ملطية وسيواس[2]، وعقد السلطان في أثر عودة القوة المملوكية إلى القاهرة مجلساً للتشاور حضره الخليفة العباسي والقضاة وشيخ الإسلام، وقد تم فيه بعد جدال عنيف جمع الأموال لتجهيز الجيوش ويبدو من سلسلة التغيرات وبعض أعمال الاعتقالات التي قام بها السلطان برقوق في المناصب الرئيسية في بلاد الشام والتي أشار إليها ابن اياس، أن السلطان كان لا يطمئن إلى كفاءة وإخلاص نوابه في تلك البلاد[3].

4-2-3 فرار أحمد جلاير إلى دمشق:

وتدخل العلاقات بين تيمور والمماليك عام 796هـ /1394م مرحلة جديدة تمتاز بالاحتداد والتأزم، عندما لجأ سلطان بغداد أحمد جلاير الفار من وجه تيمور، إلى السلطان المملوكي الذي أحاط ضيفة بمظاهر الترحيب، عندما وصل إليه في القاهرة، ووعده بتقديم المساعدة لاسترجاع بغداد وخرج معه على رأس قواته إلى دمشق، وأمر نائبه في حلب بالتقدم لصد قوات تيمور حتى ضفاف نهر الفرات، واستقرت قوات الأعراب والتركمان الضاربة في ذلك المنطقة لهذه الغاية[4]، واجتمع السلطان المملوكي خلال وجوده في دمشق برسل نوقتمين خان القبجاق وبوفد السلطان العثماني يا يزيد، وقد جاؤوا يعرضون المساعدة للوقوف معاً في وجه الفاتح التركي[5]، وظل برقوق في دمشق مدة طويلة تزيد عن

(1) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، م9 ج1، ص12.

(2) ابن اياس، بدائع الزهور، ج3، ق2، ص563.

(3) ابن أياس، بدائع الزهور، المصدر السابق، ج3، ص267، 269.

(4) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، م 9ج 366 وابن خلدون، التعريف، م5، ص 1157 – 1176 وابن اياس، بدائع الزهور، ج1 ص 303.

(5) ابن صصري، الدرة المضيئة، ص145 والعسقلاني، انباء الغمر، ج1، ص471 والسخاوي، ج2 ص46.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خمسة أشهر، إلى أن تحقق من ابتعاد قوات تيمور عن حدود أملاكه، ونجاحه أحمد جلاير بدخول بغداد واسترجاعها وإقامته الخطبة باسم السلطان برقوق، وتقدم بعد ذلك إلى حلب[1]، ويقول ابن تغري بردي إن السلطان المملوكي قد أبدى أسفه عندما علم بابتعاد تيمور عن الحدود المملوكة وعدم إتاحة الفرصة للسلطان لمواجهة الفاتح التركي[2].

5-2-3 وفد تيمورلنك عام 796هـ:

وكان أحمد جلاير في أثر وصوله إلى دمشق فاراً من بغداد، وقد أعلم السلطان المملوكي في المدينة أن رسلاً للفاتح التركي في إثره على الطريق ووصل الوفد التيموري إلى الثغر المملوكي الرحبة يرأسه رجل فارسي من مدينة ساوة[3]، في أول احتكاك مباشر بين الفريقين، لحل المسائل المختلف عليها والناجمة عن اجتياح تيمور العراق وموقف المماليك من سلطان بغداد أحمد جلاير[4]، ويفهم من أقوال يزدي أن سفر الوفد كان في آخر ذلك العام 795هـ وأن نائب الرحبة المملوكي قد قتل أعضاء الوفد جميعهم، بناء على أوامر جاءته من القاهرة، التي كانت تتصرف في ذلك الوقت بوحي من أحمد جلاير اللاجئ إليها[5]، وتشير مصادر مؤرخي الشام ومصر إلى وصول الوفد التيموري إلى الرحبة في ذلك التاريخ[6]، وصنف هذه المصادر أن مشادة جرت بين أعضاء الوفد وبين نائب الرحبة، وأغلظوا الكلام فيها له، وطلبوا من أن يضرب السكة وأن تكون الخطبة باسم تيمور، وحمل الوفد معه الهدايا وأبلغت القاهرة

---

(1) العسقلاني، انباء الغمر، ج1، ص 476 وابن الشحنة، روضة الناظر، ص207 وابن خلدون ، التعريف، ص364 الذي ذكر أن برقوق تقدم حتى نهر الفرات.

(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 12، ص61.

(3) يزدي، ظفرنامة، ج 2، ص199، أما ساوة: فهي مدينة في إيران تقع على الطريق بين قم واصفهان انظر: القزويني، أثار البلاد، ص442.

(4) أشار المقريزي إلى حدوث اتصال سابق عام 787 هـ/1385 م.

(5) يزدي، ظفرنامة، ج 2، ص199.

(6) أشار المقريزي إلى حدوث اتصال سابق عام 787هـ 1385م فذكر أنه وصل القاهرة في ذلك التراخ وفد تيموري يحمل إرساله وهو يحمل الجواب دون أن يشير إلى مضمون المراسلات انظر المقريزي، السلوك، ج3 ق3، ص538.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بقدوم الوفد التيموري في المحرم 796هـ /تشرين الثاني 2393م وجاءت الأوامر لنائب الرحبة بعدم تمكين أعضاء الوفد من الوصول إلى غايتهم، وعدم المساح لهم بالعودة إلى أولادهم والعمل على قتلهم سراً، وإرسال ما معهم من هدايا إلى العاصمة المملوكية[1]، وقتل أعضاء الوفد التيموري وكان عددهم كما ذكر ابن قاضي شهبة أربعين شخصاً[2]، وقد تم قتلهم وهم نيام، إلا واحداً أرسل مع الهدايا إلى القاهرة عن طريق دمشق[3]، واتضح أن هدية تيمور التي كانت تتألف من تسعة عبيد وتسع جواهر، أنهم جميعاً كانوا من أحرار بغداد وقعوا في أسر تيمور عند احتلاله لها وكان فيهم ابن وزير بغداد وابن قاضيها وابن محتسبها فأمر برقوق بإطلاق سراحهم والإحسان إليهم[4].

وينفرد السخاوي الذي كتب كتابه "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع" في تاريخ لاحق لتاريخ هذه الأحداث بمدة وجيزة، من دون المؤرخين الفرس التيموريين ومؤرخي مصر والشام، بالقول إن تيمور بعد أن احتل بغداد في ذلك العام 795هـ/ 1393م فإنه لم يقف عند مدينة عانه على نهر الفرات – كما أشارت إلى ذلك هذه المصادر – بل تقدم غرباً حتى بلغ الرحبة القريبة من دير الزور الحالية، فنهبها ثم انسحب عند سماعه بحركة توقتميش خان في شمال اذربيجان[5].

6-2-3 اصطدام الرها:

وتتحدث مصادر مؤرخي الشام ومصر عن مواجهة أخرى بين قوات تيمور وقوات برقوق في منطقة ديار بكر، وقعت في تاريخ لاحق من عام 796هـ /194م، بعد مبارحة تيمور العراق في طريقة إلى الشمال ويشير ابن الشحنة الذي كان في ذلك التاريخ يتولى قضاء حلب... إلى أن تيمور غادر بغداد نحو الشمال، وبعد أن علم بمقتل رسله في الرحبة، قد اغار على "الرها" فسلبها وسباها[6]، وأضاف ابن

(1) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، م 9، ج2، ص362 والعسقلاني، انباء الغمر، ج1، ص473.

(2) ابن قاضي شهبة، تاريخ ابن قاضي شهبة، ص472.

(3) ابن صصري، الدرة المضيئة، ص145.

(4) ابن صصري، _، ص146.

(5) السخاوي، الضوء اللامع، ج2، ص46.

(6) ابن الشحنة، روضة الناظر، ص207 وقد ذكر المقريزي أن ابن الشحنة قد استقر في قضاء حلب منذ عام 787هـ، انظر السلوك ، ج3، ق2، ص537.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عربشاه أن الفاتح التركي لم يمكث في الرها إلا يومين بين 10-12 ربيع الاول (12-16 كانون الثاني)، ثم أنسحب منها باتجاه ماردين[1]، وتتحدث بقية المصادر عن الحادث وتصوره على أنه اصطدم بين طليعة م قوات تيمور وقوة مملوكية يقدر عددها بألف رجل، كانت قدانطلقت من حلب، ولما بلغت القوة الرها وجدت القوات المعادية قد احتلتها. واضطر نائبها المملوكي إلى مبارحتها فاراً إلى"البيرة" القريبة منها. ودار القتال بين الطرقيين بالسهام.وأطلق التيموريون خلال المعركة مائة ألف نشاب ولما فرغ ماعندهم من النبال أغار عليهم عساكر حلب بالرماح، فقتلوا وأسروا عدداً منهم. وعادوا بالأسرى ورؤوس القتلى إلى حلب. وكان الحادث بالنهاية التي انتهى بها مبعث سرور للسلطان برقوق[2]، ولكن تيمور الذي خشى من أن يتطور الاشتباك بين طلائع الفريقين إلى حرب واسعة، فضل الانسحاب نحو الشمال للتصدي لتوقتميش خان الذي كان يتوقع منه غارة مفاجئة عبر عتبة دربند[3].

وتشير المصادر الفارسية إلى هذا الاصطدام المبكر بين قوت الطرفين. ولكنها تذكر أن تيمور في أواخر عام 796هـ /كانون الاول1393م، على الموصل ورأس العين، وأطلق من هناك قواته في منطقة دياربكر في حملات ضد التركمان الغنمة السوداء (القره قيونلو). ولما ابت قواته إليه في "روحا" (الرها)، وحيث أقام هنالك مأدبة ومجلساً للأنس. وحاول بعض سكان المدينة المقاومة ولكنهملم يفلحوا[4]، ولذلك فإنه من المحتمل أن تكون إحدى فصائل القوات المتغيرة التي كانت تتجول في المنطقة، قد اشتبكت في إحدى الأنحاء مع قوة من المماليك، ولكن رغبة تيمور في التقدم إلى بلاد القبجاق أملت عليه أن لا يعلق أهمية على الحادث، وفضل الانسحاب[5].

(1) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص47 -48.

(2) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ص370 و العسقلاني، انباء الغمر، ج1، ص473 ابن قاضي شهبة، ص504، 506، 507.

(3) ابن خلدون، التعريف، ص 364.

(4) شامي، ظفرنامة، ص 146 ويزدي، ظفرنامة، ج1، ص 471 – 472.

(5) يضيف ابن اياس الذي عاش بعد تلك الحقبة (متوفي نحو عام 1524م) أن قوات تيمور بلغت البيرة بعدأن مرت على الرها، ولكن فرسان المماليك عبروا النهر بخيولهم ليلاً وصدوهم وعادوا بالغنائم ابن اياس، بدائع الزهور، ج1، ص302.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3-2-7 رسالة تيمورلنك الأولى:

وأرسل تيمور في حقبة الاتصالات التي سبقت نشوب الصراع المسلح بين الفريقين، أربع رسائل، وتلقى من السلطان المملوكي ثلاثة ردود على هذه الرسائل ولا تشير إلى الرسالة الأولى إلا المصادر الفارسية، وتقول عنها إنها الرسالة التي حملها الوفد التيموري الأول الذي قتل أعضاؤه في الرحبة وقد اكتفى يزدي بإيراد مجمل عن الرسالة دون أن يشير إلى اللغة التي حررت بها ولا إلى تاريخها[1]، ولكنه من المستطاع تحديد ذلك التاريخ على وجه التقريب، وهو أواخر عام 795هـ عندما وصل الوفد حامل الرسالة إلى حدود دولة المماليك ويشير يزدي إلى أن دوافع إرسال الرسالة كانت اهتمام تيمور بأمن بالطرق وتأمين رفاهية المسافرين[2].

وقد أشار في مطلع الرسالة إلى المنازعات التي اشتدت في الماضي بين المماليك والايلجائيين، ومانجم عنها من أضرار بالغة لسكان بلاد الشام والبلاد المتاخمة لها وقد استتب الأمن بعد ذلك عندما ترددت الرسل وتبودلت الرسائل، ثم توقفت جهود المحافظة على السلام بعد وفاة السلطان أبي سعيد الايلخاني ولم تقم بعد ذلك قائمة لهذا الفرع من بيت جنكيز خان في إيران، وانتهى الحكم في تلك المناطق إلى ملوك الطوائف، باب الهرج والمرج، ثم شاءت عناية الله أن تصبح مماليك إيران والعراق العربي المجاورة لدولة المماليك تحت حكم تيمور، ولذلك فإن حقوق الجوار تقتضي أن تكون المراسلة والمكاتبة مفتوحة بين الطرفين، ليتمكن تجار الدولتين من الانتقال بأمن وسلام[3].

ويظهر أن تيمور لم يتلق رداً على هذه الرسالة على الرغم مما يبدو من لهجتها المعتدلة ولعل الهدية التي رافقتها والتي كانت تحمل معنى التهديد والازدراء، (وكانت تتألف كما سبق ذكره من تسعة عبيد وتسع جواري كانوا من وجهاء سكان بغداد) كانت من الأسباب التي دفعت برقوق لأن يهمل الرد على هذه الرسالة.

---

(1) يزدي، ظفرنامة، ج1، ص458.

(2) يزدي، ـ، ج1، 457- 458.

(3) يزدي، ـ، ج1، ص458.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

8-2-3 رسالة تيمورلنك الثانية:

وكان الموقف الحازم الذي وقفه السلطان المملوكي من الوفد التيموري الأول، وإقدامه على قتل معظم أفراده، دافعاً ليرسل تيمور رسالته الثانية، التي أشارت إليها مصادر مؤرخي الشام ومصر وقد أفاد هؤلاء أن الرسالة التي حررت باللغة العربية قد بلغت القاهرة في الثالث من ربيع الآخر عام 796هـ /6 شباط 1394م [1]، وكان تيمور في تلك الآونة يقاتل في الجزيرة العليا تركمان القرة فيونللوا، وكانت الرسالة الجديدة على عكس الرسالة الأولى -مشحونة بالتهديد والوعيد والإرعاد - على حد تبعير العسقلاني[2]، وجاء فيها قول تيمور:

.... قد نزع الله الرحمة من قلوبنا، فالويل ثم الويل لمن لم يكن من حزبنا ومن جهتنا وذلك لكثرة عددنا وشدة بأسنا.. وطالب الفاتح التركي برقوق بأن يعلن طاعته لمن يحمله مسؤولية الرفض والعصيان.... وأنتم فإن أطعتم أمرنا وقبلتم شرطنا، فلكم ما لنا وعليكم ما علينا وإن خالفتم وعلا بغيكم وتماديتم، فلا تلوموا إلا أنفسكم....، ويرد تيمور بعد ذلك على من يتهمه بالكفر فيقول".... وقد غلب عندكم أننا كفره وثبت عندنا والله أنكم الكفرة الفجرة.... ويختم الرسالة بالمطالبة يرد الجواب مشيراً إلى إقدام السلطات المملوكية على قتل أعضاء الوفد السابق قائلاً .... فلا تقتلوا المرسلين كما فعلتم بالأولين، وقد لاحظ كل من ابن عربشاه والعسقلاني منذ ذلك الوقت، أن فقرات مطولة من مقدمة الخطاب قد انتزعت من الخطاب الذي كان قد أرسله القائد المغولي هولاكو إلى السلطان المملوكي قطر عام 658هـ/ 1260م قبيل معركة عين جالوت، وكان الخطاب من إنشاء أحد الكتاب الفرس ويدعى نصير الدين الطوسي وكان من أبرز شخصيات حاشية القائد المغولي هولاكو[3].

---

(1) النص الكامل للرسالة في المقريزي، السلوك، ج3، ق 2، 803- 805 وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج12، ص49- 50 وابن عربشاه، ص65 -66 وابن صصري، ص147 وابن الفرات، م9، ص2، 370 -372، أما العسقلاني فأورد مقتطفات منها في انباء الغمر، ج1 ص474.

(2) العسقلاني، المصدر نفسه.

(3) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص 67 والعسقلاني انظر: بعض خطاب هولاكو كاملاً في المقريزي، السلوك، ج1، ق2، 427 – 428، أما الفقرات المقتبسة من هذا الخطاب في قوله "قل اللهم مالك الملك فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون" قد نزع الله الرحمة من قلوبنا، إنا جند الله مخلوقون من سخطه ومسلطون على من يحل عليه غضبه لا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

9-2-3 رد السلطان برقوق:

وأرسل برقوق رده على رسالة تيمور بعد ثلاثة أيام من تسلمه تلك الرسالة، في السادس من ربيع الآخر (9 شباط 1394م)[1]، وقد بعث به مع حامل رسالة تيمور[2]، وكان الرد مشحوناً بالتوبيخ العنيف لتيمورن جاء فيه قوله: "يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون" ففي كل كتاب ذكرتم، وبكل قبيح وصفتهم، ألا لعنة الله على الكافرين... إنما النار لكم قد خلقت ولجلودكم قد أضرمت... ومن العجب العجاب تهديد الليوث باللبوث والسباغ بالضباغ والكماه بالكراع، ثم يعلن رفضه الإقرار بالطاعة لتيمور، واستعداده للقتال في سبيل ذلك ثم يقول: إن قتلناكم نعم البضاعة، وإن قتلتمونا بيننا وبين الجنة ساعة ... أبعد أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين تطلبوا منا طاعة، لا سمع لكم ولا طاعة.

10-2-3 رسالة تيمورلنك الثالثة:

وينفرد القلقشندي في صبح الأعشى، بإيراد خطاب ثالث أرسله برقوق في جماد الأولى من ذلك العام 796هـ نسيان 1394م أي بعد شهر واحد من إرساله الرد السابق وكان برقوق في طريقة من القاهرة[3]، إلى دمشق للعمل على إعادة أحمد جلاير إلى بغداد ويرد في الخطاب الجديد من الدلائل ما يفهم منه بشكل صريح، أنه كان رداً على عدد من الرسائل وصلت للسلطان المملوكي من تيمور سابقاً، من ذلك قوله فقد وصل إلى أبوابنا الشريقة العالية كل ما جهزته أول (كذا) وآخرا من كتابن ثم قوله: في الخطاب نفسه في مكان آخر.... فأما ما ذكرته في أول كتبك... وقوله: ".... لأنك لم تزل في كتبك

نرق لشاك ولا نرحم عبره: باك.....إلخ قابل نص خطاب هولاكو الوارد في السلوك للمقريزي في المكان المشار إليه مع نص خطاب تيمور المشار إليه في الأمكنة المشار إليها.

(1) المقريزي، السلوك، ج3، ق 2، ص 805 – 807 وابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، م9، ج2، ص372- 374 وابن عربشاه، عجائب المقدور، ص66 -67، وابن صصري، الدرة المضيئة، ص147 148.

(2) ابن صصري، الدرة المضيئة، ، ص148.

(3) القلقشندي، صبح الأعشى، ص8: 3-319.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كلها تستشهد بتواريخ جنكيز خان...." ووردت في خطاب برقوق الجديد، ردود على ما ورد في خطابي تيمور السابقين المشار إليهما، كما وردت فيه ردود أخرى على أمور لم ترد في ذينك الخطابين، مما يوحي بالاعتقاد بأن تيمور قد أرسل في خلال هذا الشهر، خطاباً ثالثاً جديداًعلى الأقل. وتمكن الأمور التي أشار إليها خطاب برقوق الجديد، من استنتاج أغلب محتويات رسالة تيمور الثالثة، التي لم ترد الإشارة إليها في أحد من المصادر العربية والفارسية التي بين أيدينا ويبدو من اشارات رد برقوق أن رسالة تيمور كانت مطولة كما، أنها تناولت مواضيع عديدة، وأرفقت أيضاً بهدية رمزية، هي سيف وتركاش[1]، كنوع من التهديد المبطن وقد شبه تيمور نفسه في رسالته بجنكيز خان، وأعلن أنه يقتدي به في أقواله وأعماله، ثم طلب أن تقوم بين الفريقين علاقات الصداقة، وأن يسلم المماليك له السلطان أحمد جلاير، تطبيقاً لاتفاق سابق تم عقده بين دولة المماليك والدولة الايلخانية، نص على تبادل تسليم الثائرين الفارين من أحد البلدين إلى البلد الآخر، واستشهد على ذلك بحادثة دمرادش بن جوبان الذي ثار على الايلخانيين وفر إلى القاهرة عام 727هـ (1327م) وزعم أن السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون قام بتسلم دمرداش إلى وفد أيلخاني حضر إلى القاهرة في طلبه[2]، ثم دافع تيمور عن احتلاله تكريت وتنكيله بسكانها بحجة أن حاكمها كان سارقاً وقاطع طريق، وهدد الفاتح التركي بالإغارة على مصر في فصل الربيع القادم، إذا لم يلب طلبه، ويوجه إليه أحمد جلاير واحتج بقتل رسله الذين حملوا أول رسائله إلى السلطان برقوق، وذكر بأنه سيزحف على بلاد الشام بقوات أكبر من التي زحف بها هولاكو على هذه البلاد، ثم ندد بقرا يوسف حليف أحد جلاير، ووصفه بأنه رجل مفسد، وختم رسالته بلفت انتباه برقوق إلى مؤامرة قال إنه علم بها، وزعم أن اتفاقاً سرياً قد تم بين أحمد جلاير اللاجئ إلى القاهرة وبين نعير أحد أمراء عرب بادية الشام ضد المماليك، وقال إن المؤامرة إذا نقدت فسوف تؤدي إلى خراب دولة المماليك.

(1) التركاش: من المصطلحات العسكرية المملوكية ويعني جعبة السهام، انظر المقريزي، السلوك، ج3، ق2، ص811.

(2) تيمورلنك، مذكرات تيمور،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد مكنت إشارة تيمور في رسالته هذه إلى احتلاله تكريت من تحديد تاريخ الرسالة، ولابد أن يكون هذا بعد 25 محرم 796هـ الأول من كانون الأول 1393م وهو التاريخ الذي اجتاح به الفاتح التركي هذه المدينة، على ما يذكره يزدي[1]، وقبل جمادى الأولى من ذلك العام الذي ذكره القلقشندي على أنه تاريخ رد برقوق على رسالة تيمور هذه وبما أن رسالة برقوق الجوابية الأولى التي جاءت رسالة تيمور الأخيرة بعدها، كانت بتاريخ السادس من ربيع الآخر، ولذلك فإنه يصبح من المؤكد أن تاريخ الرسالة التيمورية الجديدة، كان بعد السادس من ربيع الآخر وقبل جمادى الأولى من ذلك العام.

3-2-11 رد برقوق الثاني:

وكان تيمور لا يزال يقاتل في الجزيرة، وكان رد برقوق على تلك الرسالة (وهو الرد الثاني له) ردا مطولاً أورده القلقشندي في إحدى عشرة صفحة[2]، أظهر فيه السلطان المملوكي قدراً كبيراً من التعالي والترفع على تيمور وتهكم عليه وسخر من ادعائاته فكان يدعوه بالأمير ويخاطبه بصيغة المفرد، في الوقت الذي يشير فيه إلى نفسه بصيغة جمع المتكلم، وغيره بافتدائه بجنكيز خان ولم يصدق ادعاؤه برغبته في تحسين العلاقات بين الدولتين، فخاطبه قائلاً: وأما ما ذكرته من قولك: إنك فتحت معنا باب المحبة والوداد والصحبة والاتحاد.. والذي نعرفك به أن الذي وقع منك بخلاف ما قلت، ثم انتقده لقبول لجوء اثنين من أمراء المماليك كانا قد فرا من السلطان برقوق[3]، ولتحريضه أعراب بادية الشام للثورة على السلطات المملوكية، ووعده لأمير هؤلاء الأعراب بتعيينه قائدا لجيوش تيمور، ثم غدره بالسلطان أحمد جلاير بعد أن أقسم بأن لا يتعرض له وبين له أن أحمد جلاير هو ضيف السلطان، وحاله لا ينطبق على حال الثائر دمرداش في أيام السلطان أبي سعيد الايلخاني، ليقوم المماليك بتسليم أحمد لتيمور ثم يذكر السلطان المملوكي الفاتح التركي بأعماله التي ارتكبها في بغداد قائلاً: فأهل بغداد

(1) يزدي، ظفرنامة، ج1 ص466.

(2) القلقشندي، صبح الأعشى، ج7، ص 308-319.

(3) كان أحد هؤلاء الأمراء المقصود بإشارة برقوق الأمير شكر أحمد الذي فر إلى تيمور عام 796هـ انظر ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، م9، ج2، ص 369.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كانوا حرامية وقطاع طريق حتى فعلت بهم ما فعلت... وقد تعجبنا يا أمير تيمور للغاية كيف تدعى أنك عادل، وبين له كيف كان مصير حملات المغول والايلخانين التى قصدت بلاد الشام، أيام هولاكورغازان، ثم يقترح عليه أن يجتمعا فى مكان يعينه تيمور إما من ذاك الجانب من الفرات أو من هذا الجانب لتسوية الأمور المختلف عليها، بما فيها موضوع السلطان أحمد ويرد عليه لاحتجاجه على قتل أحد الرسل التيموريين بأن هذا المبعوث كان يقوم بأعمال التجسس، ويسخر من اتهام تيمور لقرا يوسف بأنه رجل مفسد ويقول له ساخراً: والناس كلهم مناحيس وأنت الصالح، ويعلمه بأنه لا يرهب من ادعاء تيمور بأن البلاد سوف تتعرض للدمار إذا تم الاتفاق بين أمير العرب نعير وسلطان بغداد أحمد جلاير ويرد عليه قائلاً، وستعلم ديار من تخرب وعمر من يذهب... وهنا نحن واصلون بجيوش وجنود وعساكر مؤيدة من السباغ أسبع، لا ترون أسلحتهم من دم البغاة ولا تشبع، والجواب ما ترى لا ما تسمع.

ويظهر أن موقف برقوق المتشدد كما ظهر من لهجة هذا الرد كان من جملة العوامل التي دفعت تيمور لأن ينبذ فكرة الإغارة على بلاد الشام في ذلك التاريخ نهائياً، وأن يندفع نحو الشمال مبتعداً عن حدود دولة المماليك، بهدف رصد تحركات توقتميش خان القبجاق، حليف السلطان برقوق، ولذلك لم يرتيمور ما يستوجب أن يرد على رسالة السلطان المملوكي، ولم يستجب لاقتراح برقوق بالاجتماع بتيمور عند نهر الفرات لحل المشاكل المعلقة بينهما حلاً سليماً أن ينفذ.

وكان برقوق من جهته لا يطمئن إلى نوايا تيمور، ولا يثق بما كان يدعيه من رغبة في الصلح والتفاهم[1]، ولاسيما بعد كشف السلطان المملوكية للعديد من شبكات التجسس التي بثها تيمور في حلب ودمشق والقاهرة، وبعد أن تحقق السلطان المملوكي من إصرار الفاتح التركي على انتهاج سياسة التوسع وضم الأراضي في المناطق القريبة من الحدود الشرقية لدولة المماليك، وعلى حساب حلفاء هذه الدولة، كتركمان الغنمة السوداء والظاهر عيسى حاكم ماردين، ولذلك فقد وجد برقوق أنه من الأسلم

(1) طرخان: ص74.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

له أن يتخذ موقفاً عدائياً صريحاً ومتشدداً من تيمور من أن يتمسك بسلام لا يركن إليه[1]، فمضى قدماً لإنشاء جبهة متحدة من الدول المعادية لتيمور، وأظهر تصلباً كبيرا في موضوع الأسير التيموري المدعو اتلاميش، الذي كان بعث به إلى القاهرة حليفه التركماني.

قرا يوسف الذي تمكن من أسره في أحد الاشتباكات مع القوات التيمورية في ضواحي تبريز عام 798هـ (1396م) ولما كان السلطان برقوق يسعى من أجل إقامة جبهة معادية لتيمور، فقد أحاط حاكم بغداد أحمد جلاير، عندما وصل إليه إلى القاهرة بكل مظاهر الاحترام والتأييد[2]، ولما نجح أحمد في استرجاع بغداد أقام الخطبة فيها باسم السلطاني المملوكي، كدليل على أنه تابع له وكان قد تلقى الخلعة وكتاب التولية على بغداد من السلطان برقوق، عندما كان في دمشق.

ومن ناحية أخرى فقد كانت ظروف السلطان العثماني با يزيد خلال حروبه، ضد البيزنطيين، وفي البر الأوروبي، قد أملت عليه التقرب من دولة المماليك والعمل على محالفتهم فأرسل منذ عام 793هـ (1391م) يحدث السلطان برقوق عن شدة الرابط القائم بين الدولتين ورغبته في قيام تحالف بينهما[3]، ويبدو أن الظروف الداخلية التي كانت تمر بها دولة المماليك في تلك الآونة، لم تسمح لبرقوق من أن يستجيب لطلب السلطان العثماني وعاد با يزيد لمراسلة المماليك في الموضوع نفسه في آخر عام 796هـ (1394م) وأعلم برقوق بأنه يقف على رأس مائتي ألف فارس بانتظار أوامر السلطان المملوكي،

---

(1) صور المقريزي الاستقبال الودي الذي أيداه برقوق لأحمد جلاير بظاهر القاهرة، فذكر أنه بتاريخ 17 صفر 796هـ خرج السلطان مع حاشية كبيرة إلى الريدانية، حيث أقيمت هناك مصطبة جلس السلطان عليها ولما قدم موكب أحمد نزل السلطان عن المصطبة وحاول أحمد تقبيل يد السلطان ولكن برقوق لم يمكنه من ذلك ويتابع المقريزي حديثه فيقول: وعانقه وبكيا ساعة ثم مشيا، والسلطان يطيب خاطره ويعد بعودة ملكة ويده في يده حتى صعدوا (كذا) المصطبة وجلسا على البساط من غير كرسي وتحادثا طويلاً انظر السلوك للمقريزي: ج3، ص800 ونقل ابن قاضي شهبة صورة أخرى للعبارات التي خاطب بها السلطان برقوق أحمد جلاير طيب خاطرك فأنا إن شاء الله تعالى أجلسك على كرسي مملكتك انظر : ابن قاضي شهبه : ص504 وكان هذا المؤرخ الدمشقي المعاصر قد شاهد أحمد جلاير عندما مر من دمشق في طريقة إلى القاهرة فقال عنه إنه دميم الشكل ذو لحيه خفيفة وقد تدافع سكان دمشق لرؤيته. انظر أيضاً : ابن قاضي شهبة ص503.

(2) ابن قاضي شهبة، تاريخ ابن قاضي شهبة، ص515.

(3) فريدون، ج1، ص 115.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكان الوفد العثماني الذي حمل الرسالة قد جلب معه بعض الهدايا، وصفها المقريزي بأنها هدايا سنية، كان من جملتها باز أبيض[1]، وعلى الرغم من أن المصادر المملوكية المعاصرة لم تشير إلى الموقف المباشر الذي اتخذه برقوق من عرض التحالف الذي قدمه بايزيد، إلا أن سلطات القاهرة على الرغم من المخارف التي كانت تبديها من ازدياد قوة العثمانيين أرسلت في العام التالي (797هـ/ 1395م) تعلم بايزيد بموافقة الخليفة العباسي على طلبه بمنحه لقب سلطان الروم[2]، ويظهر أن هذا التقارب العثماني - المملوكي قد أتى ثماره على الفور، ودفع الفاتح التركي الذي شعر بخطورة مواجهة العثمانيين والمماليك معاً، لأن يستمر على قراره في الابتعاد بعملياته العسكرية عن المناطق المتاخمة لحدود الدولتين وأن يتابع السير إلى الشمال بحجة الرغبة في قتال القبجاق، ليستفيد من ضعف التحالف بين المماليك والقبجاق من الناحية العملية لبعد المسافة بين الدولتين.

وكان السلطان برقوق من ناحية ثالثة قد عمل على تقوية علاقاته بدولة القبجاق فاستقبل في دمشق عام 796هـ وفداً بعث به توقتميش خان[3]، جاء ليقول للسلطان المملوكي على لسان خان القبجاق: أن يكون وإياه يداً واحدة على الطاغي الباغي تيمورلنك[4]، ويقول كل من القلقشندي والسخاوي إن المباحثات بين الجانبين أسفرت عن توقيع معاهدة تحالف بينهما ضد تيمور[5]، وظهرت نتائج هذا التحالف أيضاً على الفور - بالنسبة لكلا الطرفين المتحالفين، فقد تقدم توقتميش على رأس قواته إلى عتبه دربند، في ذلك العام 796هـ/ 1394م مهدداً اذربيجان التي أصبحت الآن من أملاك تيمور، وكان ذلك أيضاً من جملة الأسباب التي جعلت الفاتح التركي يصرف النظر عن الإغارة على بلاد الشام ويمتنع عن توسيع نطاق الاشتباك الذي وقع بين طلائع من قواته وقوات المماليك في مدينة الرها

(1) المقريزي، السلوك، ج3 ص79 والعسقلاني، انباء الغمر، ج1 ص471، وابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، م9، ج2 ص476.

(2) ابن الشحنة، ص207.

(3) المقريزي، السلوك، ج3، ق2، ص476.

(4) ابن قاضي شبهة، تاريخ ابن قاضي شهبة، ص512.

(5) القلقشندي، الإنافة، ج3، ص190 والسخاوي، الضوء اللامع، ج2، ص46.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبسبب هذا التحالف أيضاً فقد تحركت قوات مملوكية إلى بلاد القبجاق، وكانت هذه القوات موجودة في العاصمة سيراي عند غارة تيمور عليها في أواخر عام 797هـ تشرين الأول 1395م [1].

وكان من الطبيعي أيضاً أن يبدي السلطان برقوق ترحيباً برغبة الدويلات الصغيرة القائمة في إيران والجزيرة العليا وآسيا الصغرى للتقرب من دولة المماليك، عندما أضحى خطر القوات التيمورية العاملة بالقرب من حدود بلاده الشرقية أمراً لا يمكن تجاهله، بعد أن كان يبدي في السابق كثيراً من اللامبالاة حيال رغبة هذه الدويلات، وكانت هذه الدويلات القائمة بين أملاك تيموروبين دولة المماليك تنشد التحالف مع برقوق للحصول على مساعدته لدرء الخطر التيموري الزاحف عليها من الشرق. وتنطبق هذه الحال على تركمان الغنمة السوداء والإمارة الأرتقية في ماردين وإمارة القاضي أحمد برهان الدين في سواس.

وكان قرا محمد والد قرا يوسف قد أرسل إلى القاهرة منذ عام 787هـ /1385م يلتمس السماح له في حال الضرورة أن يلجأ إلى بلاد الشام[2]، وقد قرب الخطر التيموري بين دولة الغنمة السوداء والدولة الجلايرية في بغداد، واضطرهما إلى نسيان المنازعات الإقليمية للوقوف معاً في وجه تيمور، وتم الاتفاق، على ما يذكر ابن الفرات، بهذا الشأن بين قرا محمد وأحمد جلاير عام 789هـ /1387م، في أثر نجاح تيمور بانتزاع تبريز من أحمد جلاير ونقل أخبار هذا الاتفاق إلى مصر أحد التجار كان قد قدم من المشرق[3].

وعلى الرغم من أن تيمور لم يطلق سراح الظاهر مجد الدين عيسى الأرتقي من معتقله في السلطانية، ويعيده إلى حكم إمارة ماردين، إلا بعد أن أخذ عليه العهود والمواثيق بالبقاء على الولاء له، فإن الظاهر عيسى قد ندم على إظهاره الولاء للفاتح التركي عند إطلاق سراحة في رمضان عام 798هـ /1396م فأرسل بعد عامين 800هـ/ 1398م إلى القاهرة يعتذر عن تصرفه السابق حيال الفاتح التركي، ويبرر هذا التصرف بالمعاملة القاسية التي لقيها في سجنه الذي امتد عاماً ونيف، حيث كان يرسف

---

(1) المقريزي، السلوك، ج3، ص2، ص 813 والعسقلاني، انباء الغمر، ج1، ص471، وابن قاضي شبهة، تاريخ ابن قاضي شهبة، ص 556- 1557

(2) المقريزي، السلوك، ج3، ق2، ص 536.

(3) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مصدر سابق م9، ج1، ص7.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خلال هذه المدة بقيود من الحديد تزن خمسين رطلاً[1]، وكان قد سبقه إلى القاهرة قبل عام نائبه الأمير علاء الدين الطنبغا ليشرح للسلطات المملوكية فيها رغبته في إبقاء رباط الولاء مع دولة المماليك[2]، ويذهب ابن عربشاه لي إلى حد القول إن عودة الظاهر عيسى بولائه عام 800هـ /1398م لسلطات القاهرة اتخذ في الوقت نفسه صفة العصيان والثورة على تيمور[3].

وكذلك فقد سبقت الإشارة إلى أن إقدام القاضي برهان الدين أحمد حاكم سيواس عام 796هـ /1394م على قتل أعضاء الوفد التيموري الذي جاء يطلب منه أن يعلن ولاءه للفاتح التركي، قد لقي استحسان السلطان المملوكي[4]، وأرسل القاضي يعلم السلطان برقوق عن استعداده للسير على رأس قواته إلى أية جهة لقتال تيمور[5].

ولا يعثر على أي احتكاك بين تيمور وبرقوق خلال عام 797هـ /1395م، بسبب ابتعاد الفاتح التركي عن المنطقة وانشغاله بقتال توقتميش خان، ولما آب في العام التالي إلى ما وراء النهر في نهاية حروب السنوات الخمس، انتقلت مسئولية المواجهة في تلك المرحلة مع دولة المماليك وحلفائها إلى ميرانشاه، الذي عينه والده حاكما على تبريز وعلى المناطق الغربية من أملاكه، وقاتل ميرانشاه أحمد جلاير ورده عن تبريز ثم لاحقه حتى حاصره في بغداد، وقامت على ميرانشاه في هذه الأثناء حركة عصيان في حصن النجق[6].

(1) ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر، ج2، 2، ص13 والمقريزي، السلوك، مصدر سابق ج3، ق 2، ص 898.

(2) المقريزي، السلوك، ج3، ق2، ص 869.

(3) ابن عربشاه ، عجائب المقدور، ص 82.

(4) ابن عربشاه: ص 65.

(5) ابن عربشاه: ص 65 وابن تغري بردي : ج 12 ص 59.

(6) يزدي: ج2، ص148 - 149.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتشير مصادر مؤرخي الشام ومصر إلى أن أهم ما وقع من حوادث الصراع، ذلك الذي خاضه ميرانشاه مع تركمان الغنمة السوداء خلال عامي 798هـ /1396م وكان قرا يوسف قد نجح في أسر أحد قواد تيمور المقربين يدعى اتلاميش قاوجين، الذي كان يحكم إحدى القلاع بجوار تبريز[1]، ويقول يزدي إنها كانت قلعة أونيك[2]، وذكر مؤرخو مصر والشام أن اتلاميش كان أحد أصفياء تيمور، وقد نزل من حصنه للصيد عندما وقع أسيراً في يد قرا يوسف في صفر من عام 798هـ /تشرين الثاني 1395م وأرسل الزعيم التركماني أسيره إلى القاهرة، حيث زج به في السجن بأمر من السلطان برقوق[3].

12-2-3 رسالة تيمورلنك الرابعة:

وكان أسر اتلاميش وسجنه في القاهرة، مناسبة لاستئناف المراسلات بين الجانبين بعد توقف دام ثلاث سنوات فأرسل تيمور من سمرقند عام 799هـ /1397م رسالته الرابعة إلى الظاهر برقوق، يطالبه بإطلاق سراح اتلاميش ولم تسمح السلطات المملوكية للوفد التيموري الذي كان يحمل الرسالة، عندما بلغ دمشق، بمتابعة السير إلى القاهرة، بل طلب إلى أعضائه تسليم الرسالة التي كانت معهم والانتظار وجاء رد السلطان برقوق (وهو الرد الثالث) كما أورده ابن حجر العسقلاني: إنك إذا أطلقت من عندك من جهتي، أطلقت من عندي من جهتك والسلام[4]، وكان برقوق قد طلب من اتلاميش أن يكتب إلى تيمور، ويصف له ماعليه من حسن المعاملة وأرفقت رسالة اتلاميش التي حررت باللغة (التركية الجغتائية) برسالة السلطان المملوكي وسلمت الرسالتان إلى الوفد التيموري الذي كان ينتظر في دمشق، ثم عاد الوفد إلى بلاده.

---

(1) المقريزي ، السلوك، ج3، ق2، ص 851 وابن الفرات، م9، ج2، ص43 والعسقلاني: ج2، ص23 وابن الشحنة ص238 وحافظ أبرو: ص159.

(2) يزدي، ج2، ص200.

(3) ابن الفرات، م9، ج2، ص430 وابن قاضي شهبه، ص 475 وأفاد ابن أياس (ج1، ص306). أن التاميش كان مخموراً عند أسره.

(4) العسقلاني، انباء الغمر، ج1، ص522 وقد أورد ابن الفرات صورة أخرى لهذه الرسالة شبيهة بها هي أصحابك عندي وعندك جماعة من أصحابي فأرسل لي أصحابي حتى أرسل لك أصحابك انظر ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، م9، ج2، ص453.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي الوقت الذي كان فيه تيمورلنك، وهو يقيم في ما وراء النهر، يكاتب برقوق (عام 799هـ/ 1397م) من أجل إطلاق سراح اتلاميش كانت المناوشات ما تزال مستمرة بين ميرانشاه وقرا يوسف، في منطقة ديار بكر و ارمينية الشرقية، فقد أغار ابن تيمور على الموصل وانتقم من أهلها، ونكل بعشائر تركمان الغنمة السوداء (القره فيونلو) النازلين في المنطقة، مما اضطر قرا يوسف نفسه إلى الفرار إلى بلاد الشام[1].

وتتحدث المصادر السريانية عن الأعمال التي قامت بها القوات التيمورية في ذلك الوقت، في أحد جبال المنطقة (منطقة ديار بكر) ويدعى طورعبدين[2]، الذي كانت غالبية سكانه من العناصر السريانية ويقول أحد هذه المصادر، إن هذه القوات أغارت على أحد الأديرة في المنطقة وقتلت الأسقف مع أربعين من رهبان الدير وخمسمائة من سكان المنطقة خنقاً بالدخان، وذلك عندما أوقد الجند النيران أمام باب المغارة التي كانوا يحتمون بها، وتشير هذه المصادر إلى أن أسقف أحد الأديرة الأخرى استطاع بما أظهره من خضوع أمام ميرانشاه أن يحصل على عفو منه وكان ابن الفاتح التركي قد استجاب لتوسلات الأسقف ولم يتعرض بأذى لسكان القرية التي كان يقوم هذا الدير بجوارها، ومنح لذلك منديلاً كدليل على حصوله على هذا العفو، وجرت في تلك الآونة استعدادات عسكرية في مصر وتقدمت قوات مملوكية منها إلى بلاد الشام، باتجاه سيواس عندما علم المالياليك بتوجيه ميرانشاه إلى ملطية، ولكن هذه القوات سرعان ما انسحبت عائدة إلى بلاد الشام، عندما عادت القوات المغيرة عنها[3].

(1) العسقلاني، انباء الغمر، ج1، ص453.

(2) طور عبدين جبل يتوسط مدن جزيرة ابن عمر ونصيبين وامد (انظربرسوم، ماراناغناطيوس أفرام الأول، تاريخ طور عبدين، ترجمة غريغوريوس بولس بهنام، مطبعة بيبان، لبنان، 1963، ص198).

(3) العسقلاني، انباء الغمر، ج2، ص18 وابن قاضي شهبة، ص 620 والمقريزي، السلوك، ج3، ق 2، ص 820.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

13-2-3 أسباب الإغارة على الشام:

ويتفق مؤرخو مصر والشام مع المؤرخين التيمورين في القول بوجود مجموعة من المسائل اختلفت فيها مواقف كل من تيمور وبرقوق، وكان هذا الاختلاف في المواقف من الأسباب التي أدت إلى سير تيمور لاجتياح بلاد الشام عام 803هـ/1401م ويلح يزدي بشكل خاص على إقدام السلطات المملوكية على قتل أعضاء الوفد التيموري في عام 796 هـ/1394م ويقول إنه قد نجم عن هذا الحادث عواقب وخيمة، ويوازن بينه وبين إقدام السلطان الخوارزمي محمد علاء الدين خوارزم شاه على قتل رسل جنكيز خان عام 616هـ /1218م في أوترار، هذا الحادث الذي كان السبب المباشر لحركة الفاتح المغولي على رأس جحافله التي اجتاحت شرق العالم الإسلامي في ذلك الوقت[1]، ويرى العسقلاني في حادثه أسر اتلاميش وامتناع برقوق عن تسليمه سبباً آخر هاماً لزحف تيمور على بلاد الشام ويعلق على ذلك وكانت هذه القلعة أعظم الأسباب في حركة تيمور إلى البلاد الشامية[2]، وأشار ابن عربشاه إلى هذين الأمرين فقال إنه عند مروه فيما بعد بمدينة حماه عام 839هـ /1345م وهو في طريقه إلى بلاد الروم قد اطلع على نقش في أحد مساجد المدينة يدعى الجامع النوري كتب باللغة الفارسية يرجع تاريخه إلى عام 803هـ /1401م.

وهو التاريخ الذي قدم به الفاتح التركي إلى بلاد الشام وأورد ابن عربشاه ترجمة النص المكتوب على ذلك النقش في مؤلفه على الشكل التالي: وسبب تصوير هذا التشطير هو أن الله تعالى يسر لنا فتح البلاد حتى انتهى استخلاصنا الممالك إلى العراق وبغداد فجاورنا سلطان مصر ثم أرسلناه (كذا ويقصد راسلناه) وبعثنا إليه قصادنا بأنواع التحف والهدايا فقتل قصادنا من غير موجب لذلك وكان قصدنا بذلك أن تنعقد المودة بين الجانبين، وتتأكد الصداقة بين الطرفين ثم بعد ذلك بمدة قبض بعض التراكمة على أناس من جهتنا وأرسلهم إلى سلطان مصر برقوق فسجنهم وضيق عليهم، فلزم من هذا أنا توجهنا

---

(1) يزدي، ظفرنامة، ج2، ص 199.

(2) العسقلاني، انباء الغمر، ج1، ص 509.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لاستخلاص متعلقينا من أيدي مخالفينا، واتفق لذلك نزولنا بحماه في العشرين من شهر ربيع الآخر سنة 803هـ/1402م [1]، ويضيف ابن الشحنة على ما قرأه ابن عربشاه في ذلك النقش من الأسباب التي دفعت تيمور للاغارة على بلاد الشام، سبباً آخر هو حقد تيمور على برقوق لمساعدته أحمد جلاير على استعادة عرشه في بغداد[2].

ومهما يكن من أمر الحجج والمبررات التي رآها هؤلاء المؤرخون والتي كان لها دور في جعل الفاتح التركي يفكر بغزو بلاد الشام، فإن أي منها لم يكن العامل الحاسم الذي دفع تيمور للقدوم إلى هذه البلاد لأن الفاتح التركي قد انتظر طويلاً بعد وقوع هذه الأحداث ولم يتخذ أي إجراء يدل على رغبته القيام بهذا الغزو، بل على العكس من ذلك فقد اتجه شرقاً وقام بحملته على الهند عام 800هـ /1398م متجاوزاً كل مطامعه في هذه البلاد، ومتجاهلاً كل ما قام به برقوق من أعمال التحدي والاستفزاز وظهر أن تيمور في تلك الآونة قد وقع ضحية الحرب النفسية التي جابهه بها السلطان المملوكي، عندما لم يقبل برقوق أن يعامل تيمور معاملة الند للند، فأمعن بالاستعلاء عليه، وقابل كل عمل قام به تيمور بعمل آخر يدل على تصميم تام على الحرب والمقاومة، مما أثر في ثقة الفاتح التركي بنفسه ودفعه خوفه من السلطان لأن يتراجع عن عزمه على الإغارة على بلاد الشام، وفضل أن يتمالك نفسه ويكظم غيظه، وبعد أن أتم غارته على بلاد القبجاق، ذهب ليقاتل في الهند، ولكنه لما آب إلى بلاده كان سماعه لخبر وفاة برقوق في شوال 801هـ /تموز 1399م مبعث سرور وارتياح على حد قول يزدي[3]، وأمر لمن حمل له هذا الخبر بجائزة سنية[4]، وكانت وفاة برقوق من جملة الأسباب التي دفعت تيمور للعودة إلى القتال في الميدان الغربي والإغارة على بلاد الشام، إن لم تكن أهم هذه الأسباب فقد تحركت الجيوش التيمورية بعد أقل من شهرين من وفاة برقوق ويقول ابن عربشاه إن تيمور جهد لإخفاء الأهداف الحقيقية لخروجه الجديد في مطلع عام 802هـ /ايلول 1399م وهي قتال

(1) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص 96 وقد أورد العسقلاني جزءا من النص، انباء الغمر، ج2 ص139- 140.

(2) ابن الشحنة، روضة الناظر، ص210.

(3) يزدي، ظفرنامة، ج2، ص 158.

(4) ابن الشحنة، روضة الناظر، ص210.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العثمانيين والمماليك - بإدعاء وقوع خلاف بينه وبين ابنه ميرانشاه حاكم الجزء الغربي من امبراطورية تيمور، وهو الجزء المتاخم لأملاك العثمانيين والمماليك[1].

3-3 الاتصالات السياسية بين تيمور والسلطان فرج (803 - 807هـ/ 1400 -1405م):

استمرت الاتصالات السياسية بين تيمور ودولة المماليك على الرغم من إقدام الفاتح التركي عام 803هـ /1401م على اجتياح بلاد الشام. وكانت هذه الاتصالات قد بدات في عهد السلطان برقوق - والد فرج - وبقيت هذه الاتصالات مستمرة بعد رحيل تيمور عن بلاد الشام وحتى استقراره في عاصمته سمرقند واستطاع الفاتح التركي أن يحقق عن طريق هذه الاتصالات السلمية ما لم تحققه له الحروب وأدت المراسلات التي حدثت بين الطرفين بين 803 - 807هـ /1401 - 1405م إلى تبدل في طبيعة العلاقات بين الدولتين، وتحولها من علاقات عدائية إلى صلات ودية، ظهرت في تبادل الوفود والهدايا، بقصد المجاملات السياسية، وقد ساعدت هذه الاتصالات على إدخال العلاقات بين الجانبين في طور جديد، ولاسيما بعد وفاة تيمور وتضاؤل نزعة الفتح والتوسع عند خلفائه.

3-3-1 رسالة تيمورلنك الأولى 803هـ:

وتمت أول اتصالات الفاتح التركي السياسة بالسلطان المملوكي فرج في مطلع عام 803هـ/1402م عندما أرسل إليه، وهو في ضواحي ملطية يهم بالإغارة على بلاد الشام، رسالة بلغت القاهرة، كما تشير إلى ذلك مصادر مؤرخي الشام ومصر والمصادر الفارسية[2]، في وقت متأخر جداً عن تاريخ تحريرها وهو 21 جمادى الأخرة 803هـ / 6 شباط 1402م أي بعد ستة أشهر من تاريخ إرسالها. وكانت القوات المغيرة خلال هذه المدة قد تقدمت في بلاد الشام حتى بلغت دمشق، ويظهر من تاريخ وصول الرسالة إلى القاهرة أن السلطان المملوكي قد تسلمها بعد شهر ونيف من عودته من دمشق إلى العاصمة، بعد

---

(1) ابن عربشاه ، عجائب المقدور، ص 72.

(2) المقريزي، السلوك، ج3، ق3، ص54، والعسقلاني، انباء الغمر، ج2، ص143 ويزدي، ظفرنامة، ج2، ص200 وقد ذكر أن الرسالة وصلت القاهرة في رجب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فشل محاولته في دفع الفاتح التركي عن دخول هذه المدينة (دمشق) وجاء في رسالة تيمور هذه مطالبته بإطلاق سراح أسيرة اتلمش[1]، الذي كان لا يزال سجينا في القاهرة، مقابل أن يطلق هو ما عنده من أسرى من أمراء المماليك، ويشير يزدي إلى تفصيلات في هذه الرسالة أكثر مما أوردته مصادر مؤرخي الشام، ومصر ويحاول أن ينقل نصها الحرفي تقريباً، وكانت قد صيغت بأسلوب متعالي، جاء فيه قول تيمور للسلطان فرج: لقد ظهرت من والدك حركات غير مقبولة، من جملتها اصداره الأمر بقتل رسلنا دون سبب ومازال التمش، وهو أحد عبيد عتبتنا محبوساً، ولم يرسل إلينا حتى الآن، ويتابع تيمور تهديداته فيقول: إن برقوق قد توفي الآن وأصبحت مسألة حسابه وعقابه عند ربه، وعلى فرج الآن أن يرعى مصالح رعاياه، بإطلاق سراح اتلمش حتى لا تتعرض سلامة هؤلاء الرعايا، في بلاد الشام ومصر إلى القهر والانتقام، وعلى فرج أن يتحمل وزر ووبال ما سيقع على أموال المسلمين ودمائهم ويقول يزدي إن سلطات حلب المملوكية اعتقلت أعضاء الوفد الذي كان يحمل الرسالة، بأمر من فرج نفسه، وبعثت الرسالة إلى مصر[2]، وربما كان هذا الإجراء الذي قامت به السلطات المملوكية في حلب، من جملة أسباب تأخر وصول الرسالة إلى القاهرة.

2-3-3 بعثة بيسق الشيخي:

ويقول يزدي إن اعتقال سلطات حلب للوفد التيموري كان السبب المباشر لحركة تيمور على بلاد الشام، إذ لم يعد هناك مبرر لانتظار جواب سلطات القاهرة[3]، واعتبر اعتقال الوفد رفضاً لما جاء في الرسالة من مطالب وتفيد مصادر مؤرخي الشام ومصر أن فرج قد وافق على طلب تيمور واتخذ من الإجراءات ما يشير إلى هذه الموافقة، فقد أوعز للعمل على تجهيز اتلمش لإرساله مع بعثة مملوكية إلى تيمور وأنعم عليه بمبلغ خمسة آلاف درهم، وبادر إلى إرسال بعثة برئاسة أحد أمرائه وهو الأمير

(1) ورد رسم هذا الاسم على أشكال مختلفة التاميش اتلمش، اطلاميش اطلندي.

(2) يزدي، ظفرنامة، ج2، ص200.

(3) يزدي، ـ، ج2، ص202.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"بيسق الشيخي" إلى تيمور، لإعلامه بما اتخذ من إجراءات لإيصال اتلمش إليه[1]، ويبدو واضحاً أن فرج قد اضطر للموافقة على طلب تيمور بإطلاق سراح اتلميش (اتلاميش) هذا الطلب الذي ظل والده برقوق يرفضه دائماً – بعد عودته من بلاد الشامن حيث وقف هناك على قوة جيش الفاتح التركي وكثرة أعدادها، واعتقد أن إطلاق سراح اتلمش سوف يجعل تيمور كما ذكر في رسالته، يتوقف عن الإمعان في التنكيل بمدينة دمشق، ويشجعه على الرجوع من هناك إلى بلاده ويثنيه عن متابعة التقدم إلى مصر كما كان قد أعلن عن رغبته هذه في السابق.

ويستنتج من أقوال ابن عربشاه أن بعثه بيسق الشيخي التي أرسلها فرج، قد قابلت تيمور في دمشق في وقت لاحق لنجاح القوات المغيرة في اكتساح قلعة المدينة، لأن تيمور دعا المبعوث المملوكي لمشاهدة تلك القلعة وقد "دكت وسيم حرامها"[2]، ولقى بيسق من تيمور معاملة خشبنة، وهدده بالقتل، لأن الفاتح التركي كان لا يزال حانقاً لإعتقال رسله في حلب، وشتم تيمور السلطان فرج أمام مسامع أعضاء الوفد المملوكي، ونعته بالذليل والحقير، ثم خاطب بيسق: قل له (لفرج) إني واصل إليه عقبك وها أنا منشب مخاليب أسودي بذنبك – على حد تعبير ابن عربشاه – ثم أمر بإخراج أعضاء الوفد من أمامه، بعد أن بلغ الخوف منهم مبلغاً عظيماً[3].

وتوقفت الاتصالات السياسية بين الجانبين مدة عامين تقريباً، كان تيمور خلال هذه المرحلة منهمكاً بالحروب في أسيا الصغرى وبلاد الكرج، وظل فيها اتمش معتقلاً في القاهرة.

(1) ابن قاضي شهبة، تاريخ ابن قاضي شهبة، ورقة 208، والمقريزي، السلوك، ج3، ق3، ص1054.

(2) ابن عربشاه، ص111.

(3) ابن عربشاه، .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3-3-3 رسالة تيمورلنك الثانية 804هـ:

ثم استأنف تيمور المراسلات عندما أرسل عن طريق الظاهر مجد الدين عيسى الأرتقي حاكم ماردين - رسالة حملها إلى القاهرة أحد أتباع الظاهر عيسى[1]، وقد أمكن تحديد تاريخ هذه الرسالة ومناسبة إرسالها، من رد السلطان فرج عليها، ويتضح من هذا الرد الذي أورده القلقشندي بنصه الكامل[2]، أن التاريخ هو 12 ذي القعدة عام 804 هـ /14 حزيران 1402م وكانت مناسبة إرسالها رغبة تيمور في إعلام فرج بما حققه من انتصارات في حروبه مع العثمانيين في أسيا الصغرى (قبيل معركة أنقرة)، وهي استرجاعه أزرنجان واحتلاله "كما خ"[3]، ويتفق التاريخ الوارد في رد فرج مع ما أورده ابن عربشاه عن تاريخ استيلاء تيمور على كما خ وهو شوال 804 هـ /أيار 1402م [4]، أي أن تيمور حرر رسالته بعد شهر من انتصاره في كما خ وأما مضمون الرسالة فإنه من الممكن التعرف عليه أيضاً من رد فرج وما أورده يزدي عن هذه الرسالة، ثم الإشارة العابرة التي أوردها العسقلاني عن الموضوع نفسه وهو المطالبة بطلاق سراح الأمير اتلتش،ويبدو طابع التهديد والتحدي واضحاً فيما جاء به يزدي أكثر مما جاء في المصدرين الآخرين، وكذلك فإن المطالب كانت أكثر، لإذ بعد أن يعلم الفاتح التركي السلطان فرج بانتصاراته التي احرزها في بلاد الروم، وبأن سلطته الآن تمتد من بلاد توران إلى إيران وبلاد الروم، فإنه يطالبه بأن تكون السكة والخطبة باسمه في بلاد الشام ومصر، مع الإقرار بأن هذا الأمر هو حق له ويحذره من مغبة التأخر في إطلاق سراح اتمش، ويهدده بأنه سوف يزحف على مصر عندما ينتهي من حروبه في بلاد الروم وختم الرسالة بعبارة وقد أعذار من أنذر[5].

---

(1) العسقلاني، انباء الغمر، ج2، ص228 والقلقشندي، صبح الأعشى، ج7، ص322 ويزدي، ظفرنامة، ج2، ص230.

(2) القلقشندي: صبح الأعشى، صج7، ص 320 – 324.

(3) القلقشندي، صبح الأعشى، ج7، ص322.

(4) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص124.

(5) يزدي، ظفرنامة، ج2، ص 330 والعسقلاني، انباء الغمر، ص 228.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأما ما ورد بشأن هذه الرسالة في رد فرج كما جا به القلقشندي –على العكس من ذلك – فإنه قد صيغ بلهجة مقبولة وتعرض بالإضافة إلى المطالبة بإطلاق اتلمش، إلى البيان بأن تيمور مستعد الآن بفتح باب المصالحة وأنه قد أقسم بالله.... أن يكون في هذه الحياة محباً لمن يحبنا ومبغضاً لمن يبغضناً – على حد تعبير فرج[1].

3-3-4 رسالة تيمورلنك الثالثة 805هـ:

ويشير رد فرج الآنف الذكر إلى إرسال تيمور رسالة ثانية تاريخها 12 صفر 805 هـ /112 ايلول 1402م إلى القاهرة حملها شخص من سكان أزمير وقد حملت الرسالة الجديدة أنباء انتصار تيمور على السلطان العثماني في معركة أنقرة، التي وقعت قبل شهر ونصف من تحرير هذه الرسالة، ويعود تيمور في هذه الرسالة إلى المطالبة من جديد بإطلاق سراح اتلمش[2]، ويشير يزدي بشكل مقتضب إلى وصول وقد تيمور إلى القاهرة لإبلاغ فرج أنباء نصر أنقرة وانضواء البلاد تحت سلطة الفاتح التركي، دون أن يحدد تاريخاً لذلك[3].

3-3-5 رسالة تيمورلنك الرابعة 805هـ:

وفي رد فرج إشارة أخرى لرسالة رابعة بعث بها تيمور إلى القاهرة بتاريخ الأول من ربيع الأول من ذلك العام (805هـ/ 29 ايلول 1402م) حملها وفد من أتباع تيمور على رأسهم شخص يدعى "الخواجا نظام الدين مسعود الكججاني"[4]، وكان مضمون الرسالة الجديدة تجهيزاطلمش لتحصل الطمأنينة والإشارة إلى أن المبعوث التيموري مسعوداً الكججاني يحمل رسالة شفوية تطالب فرج بأن يعترف بالفاتح التركي أياً كان له[5]، وقد ورد ذكر هذه الرسالة عند العسقلاني الذي أفاده بأن البعثة

---

(1) القلقشندي، صبح الأعشى، ج7، ص222.

(2) القلقشندي، ، ج7، ص 322 (صبح الأعشى).

(3) يزدي، ظفرنامة، ج2، ص356.

(4) القلقشندي، صبح الأعشى، مصدر سابق

(5) العسقلاني، انباء الغمر، ج9، 228.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجديدة التي انطلقت من بلاد الروم – حيث كان تيمور لا يزال هناك عن طريق البحر إلى مصر[1]، وأضاف المقريزي على ذلك أن البعثة قد بلغت القاهرة في الأول من جمادى الأول وأنه – كما ورد في الرسالة – إذا أطلق سراح اطلمش عاد الفاتح التركي إلى سمرقند[2]، وقد أشار كل من هذين المؤرخين المعاصرين إلى أن رئاسة البعثة كانت الكججاني، وأن الرسا لة حوت أموراً أخرى، ذكرها العسقلاني وهي أن تيمور يعتبر مسعوداً الكججاني ممثلاً له ومفوضاً منه وأنه مهما يقول مسعود ويقع عليها لاتفاق معه، فهو بإذني (بإذن تيمور) ومهما حلف عليه (كذا) فهو لازم لي[3]، ويتابع العسقلاني القول إن الكججاني حمل معه إلى القاهرة لواء مذهباً عليه اسم تمرلنك.

6-3-3 اتفاق عام 805هـ:

وبعد المفاوضات التي دارت في العاصمة بين السلطات المملوكية وبعثة الكججان، تم الاتفاق على إطلاق سراح اتلمش وتجهيزه والإنعام عليه بمال وقماش[4]، والتزم الجانبان بموجب هذا الاتفاق بأن يرد كل جانب من يرد عليه من رعايا الجانب الآخر، إذا لم يوافق الجانب الآخر على لجوئه إليه[5]، (تبادل المجرمين أو نحوه) وأشار رد فرج إلى بنود أخرى في هذا الاتفاق، منها نزوله عند رغبته تيمور والاعتراف بالمقام الشريف (تيمور) والدنا عوضاً عمن قدس الله تربه (والده برقوق) فقابلنا ذلك بالقبول والاستبشار... وقبلنا أبوته الكريمة على مدى الأزمان وتوالي الأعصار واستقبل فرح المبعوث التيموري وأقسم أمامه وأمام الخليفة العباسي وأقسم الخواجا مسعود الكججاني قسماً ممثلاً باعتباره ممثلاً لتيمور ووقع جميع الحاضرين على نص المعاهدة كشهود، وقد حررت المعاهدة على نسختين وتم الا تفاق مع الكججاني على حمل النسختين معه إلى تيمور ليوقع عليهما، ثم تعاد إحدى النسختين إلى القاهرة[6].

---

(1) المقريزي، السلوك، ج9، ق3، ص1098.

(2) العسقلاني، انباء الغمر، ج2، ص229.

(3) العسقلاني، ـ، ج2، ص 229.

(4) المقريزي، السلوك، ج3، ق3، ص1099

(5) العسقلاني، انباء الغمر، ج2، ص264.

(6) القلقشندي، صبح الأعشى، ج7، ص393.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويورد يزدي في صدد هذا الاتفاق بنوداً أخرى، تضمنت قبول فرج أن يجري الخطبة ويضر السلكة بألقاب صاحب القران(تيمور)[1]، ومما لا شك فيه أن إقرار السلطان فرج بأبوه تيمور، بتضمن موافقته على إجراء الخطبة ويضرب السكة باسم الفاتح التركي، وأن لم يشر إليها مؤرخو مصر والشام بشكل صريح، وغادر الوفد التيموري القاهرة يصبحه اتلمش وموفد مملوكي، في الأول من جمادى الأخرة 27 كانون الأول 1402 بعد أن مكث فيها شهراً ومر الوفد على دمشق فحلب، ثم تقدم من هناك لمقابلة تيمور في بلاد الروم[2]، ويفهم من أقوال يزدي أن المقابلة قد تمت بعد أن غادر تيمور مدينة أق شهر في طريق انسحابه من البلاد[3]، وكان اتلمش قد أمضى في الأسر نيف وثماني سنوات[4].

7-3-3 البعثة التيمورية الثانية:

ويقول يزدي إن السلطان فرج طلب من اتلمش قبل سفره، أن يتكون شفيعاً له عند تيمور، وأن ينقل إليه ندمه على ما بدر منه في الماضي من تقصير، ويواقفه على صدق فرج في الطاعة والانقياد، واستعداده لأداء الأموال والخراج المفروض عليه سنة بسنة، واستعداده لحمل الهدايا من الجواهر والأقمشة والخيول وغيرها من طرائف مصر، ويتابع يزدي الحديث بأن الأسير التيموري السابق، قد أعلم الفاتح التركي عند التقائه به بمدى خوف وانقياد حاكم تلك البلاد وأهاليها وعرض الوفد المملوكي على تيمور ما أرسله فرج معهم من الهدايا والتحف ونزلت أقوال السلطان المملوكي على مسامع تيمور منزلاً حسناً، فشمله بعطفه ورحمته ،ووجد أن ما يدر من فرج من أعمال سابقة، كان مرده إلى صغر سن السلطان المملوكي ولذلك فإنه من واجب الأب أن يراقب أحوال هذا الابن ليتمكن من ضبط أمول الملك والدين في تلك البلاد، وخدمة الحرمين الشريفين[5]، ويقول ابن أياس تأثر تيمور إن بما أبداه

---

(1) يزدي، ظفرنامة، ج2، ص356

(2) المقريزي، السلوك، ج3، ق3، 10599 والعسقلاني، انباء الغمر، ج2، ص 229.

(3) يزدي، ظفرنامة، ج2، ص356.

(4) المقريزي، السلوك، ج3، ق3، ص1099 الذي ذكر أنه سجن 10 سنوات ولكن أسره كان في صفر عام 798هـ وإطلاقه في جمادى الثانية عام 805.

(5) يزدي، ظفرنامة، ج2، ص3556- 357.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فرج من الطاعة والانقياد، دفعه إلى البكاء أمام أعضاء الوفد المملوكي، والاعتذار لهم لما وقع في دمشق وغيرها من المدن في بلاد الشام، وعزا ذلك كله إلى القضاء والقدر[1].

8-3-3 رد فرج السلطان المملوكي:

ولعل أهم ما حمله الوفد المملوكي المصاحب لا تلمش عندما ذهب لمقابلة تيمور، ذلك الرد المطول الذي استعرض فيه فرج العلاقات بينه وبين تيمور خلال مرحلة طويلة امتدت عامين ونصف وجاء في هذا الرد -بالإضافة إلى ما سبق ذكره من الإشارات إلى وسائل وصلت إلى فرج من تيمور، مع ذكر تواريخها ومضموناتها - ذكر موضوعات أخرى تحدد المستوى الذي بلغته العلاقات بين الجانبين، عند إرسال هذا الرد في منتصف عام 805هـ /كانون الثاني 1403م وقد استهل فرج هذا الرد بحمد الله الذي أحل الصلح بين الدولتين، ثم أغدق فرج طائلة من ألقاب العظمة والرفعة على الفاتح التركي المقام الشريف الكبيري العالمي العادلي المؤيدي المظفري الملجئ الملاذي الوالدي القطبي، نصرة الدين ملجأ القاصدين ملاذ العائذين قطب الإسلام والمسلمين تيمور كوركان[2]، وانتقل بعد ذلك لشرح دواعي تأخر إطلاق سراح الأسير اتلمش، وألقى المسؤولية في ذلك بشكل لبق على تيمور، وقال في هذا الصدد إن رئيس البعثة المملوكية عام 803هـ الذي قابل تيمور في دمشق (ويدعى بيسق الشيخي)، قد نقل إلى فرج عند عودته من مقابلة الفاتح التركي، أن تيمور قد أقسم له، بالله الطالب الغالب أنه إن جهز اطلمش المشار إليه إليه مرجع المقام الشريف إلى بلاده فأخذنا يتجهيزه إلى حضرته الشريفة على أجل ما يكون ولكنه لما وردت الأخبار على السلطان المملوكي بما اتفق لدمشق وأهلها من أنواع العذاب، وتخريب قلعتها وديارها وإحراق جامعها وغيره من المساجد والمدارس والمعاهد والمعابد.. دفع فرج إلى الاعتقاد بنقض تيمورما تم عليه الاتفاق مع بيسق، وعدم اهتمامه بأن يطلق سراح اتلمش، بدليل عدم انسحابه من دمشق ولما تحقق فرج من إصرار تيمور على أن يصل إليه اتلمش، من سلسلة

---

(1) ابن أياس، بدائع الزهور، ج3، ص336.

(2) القلقشندي، صبح الأعشى، ج7، ص321.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرسائل التي بعث بها إلى القاهرة، جهز الأسير ليرسل مع الموفد التميوري (الكججاني) الذي تم الاتفاق معه على عقد الصلح[1].

3-3-9 الوفد التيموري الثاني 806هـ:

ولما عاد الوفد المملوكي إلى مصر، زوده تيمور بخلعه ونطاق موضع وتاج لتسلم إلى فرج، كما خلع أيضاً على أعضاء الوفد ورافق الوفد المملوكي إلى القاهرة وفد تيموري جديد برأسه الخواجا مسعود الكججاني نفسه وحمل الوفد التيموري هدايا أخرى للسلطان فرج، فيها فيل وعلى ظهره هودج يتسع لعشرة أشخاص، و فهد وصقران ثم ثياب مزركشة مبطنة من داخلها بالفرو، قبل عنها إنها الخلعة التي أمر بها تيمور لفرج، على أنه حاكم تابع له في حكم مصر[2]، وعاد مع الوفد الجديد عدد من الأسرى من أمراء المماليك[3]، وبلغ الجميع القاهرة في 3 المحرم 806هـ /23 تموز 1403م .

وعلى الرغم مما يذكره العسقلاني أن الوفد قد حضر لتقديم الشكر على إطلاق سراح أتلمش، فإن سلطات القاهرة لم تبد لأعضائه ترحيباً كبيراً في بادئ الأمر فقد أنزلوا في دار خاصة، ولم يسمح لهم خلال الآونة الأولى من إقامتهم في القاهرة التي امتدت مدة تزيد عن ستة أشهر بالاختلاط بالناس[4]، واستلم السلطان فرج من الوفد رسالة بعث بها إليه تيمور وأشار العسقلاني إلى بعض محتويات هذه الرسالة وكان منها اقتراح الفاتح التركي أن يتزوج فرج من إحدى بنات ملوك المشرق، دون أن يحدد من المقصوده بهذه التعبير وعلى كل حال فإن الاقتراح لم يلق ترحيباً من السلطان المملوكي[5]، ومن المستطاع التعرف على المواضيع الأخرى التي اشملت عليها هذه الرسالة من رد فرج عليها (وهو رد آخر جديد)[6]، أورده القلقشدي أيضاً. فقد تضمنت رسالة تيمور الإعلام بوصول اتلمش وقد تم بوصوله

---

(1) العسقلاني، انباء الغمر، ج2، ص230، 256 والمقريزي، السلوك ، ج3، ف3، ص1111 وابن الشحنة، روضة الناظر، ص239.

(2) ابن اياس، بدائع الزهور، ج1، ص336.

(3) العسقلاني، انباء الغمر، ج2، 230 والمقريزي، السلوك، ج3، ق 3، ص 1113.

(4) العسقلاني، انباء الغمر، ج2، ص 257.

(5) أورد القلقشندي في صبح الأعشى، ص 330.

(6) الرد كاملاً: القلقشندي في صبح الأعشى، مصدر سابق ص 325 – 331.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ما كان تيمور يطالب به منذ أيام برقوق، كما أن التأخر في تلبية هذا الطلب، كان السبب لتقدم الفاتح التركي بجيوشه إلى بلاد الشام، حيث وقع للأهالي هناك حسب ما قدره الله، ولكنه منذ الأن وبعد أن أطلق فرج سراح اتلمش فقد صفت القلوب وانعقد الصلح وأقسم تيمور على أن يتمسك بمبادئ هذا الصلح، وأن يكون صديقاً لمن يصادق السلطان فرج، وعدوا لمن يعاديه وأنه على استعداد لأن يمده بما شاء من القوات، إذا ما تعرض لعدوان من قبل أعدائه أو مخالفيه ثم يبدي تيمور ملاحظة شكلية حول القسم الذي أقسمه فرج على الود والمصالحة وقال إنه كان من الأوضح لو أن فرج قد أدرج نص القسم في نص الرد الذي بعث به إلى تيمور. لأن السلطان المملوكي - كما يبدو من هذا الرد الذي لم يكن يحتوي على نص القسم- قد أرسل القسم الذي أقسمه على رقعة منفصلة عن الرسالة. ثم يتابع تيمور رسالته بإظهار سروره بموافقة فرج على الدخول في طاعته. ويتعهد بأنه سوف يكون له أشفق من والده وأصحابه. ويشير الفاتح التركي في هذه الرسالة إلى أنه قد اعتمد الخواجا مسعود الكججاني في المفاوضات التي ستدور بشأن الاتفاق على تعديل الحدود، وضم بعض المواقع الواقعة على حدود الدولة المملوكية إلى المناطق التي أضحت الآن تحت حكم تيمور، بحجة أن هذه المواقع كانت قبل أن تصبح تحت سلطة الدولة المملوكية تابعة لأملاك من يدعى الفاتح التركي أنهم الآن قد أضحوا تحت سلطته. وحدود الرسالة بعض هذه المواقع بأسمائها لـ "ابلستين" و "ملطية" وقلعه الروم، "والبيرة" وختم تيمور رسالته ببيان أنه من الضروري الامتثال إلى هذه المطالب، لعودة العلاقات بين الطرفين إلى الحالة الطبيعية[1].

(1) ورد في رد فرج الثاني على رسالة تيمور لعام 806هـ (1403م) في سياق هذا الرد على النحو التالي: "لزم المقام الشريف بوصول الأمير جلال الدين اطلمش.. شاكراً لانعاماتنا.. وإن الذي اتفق الآن هو المطلوب والمكتوب به إلى والدنا الشهيد الطاهر أولاً، (و) هو المرغوب، وخلافه كان بقضاء وقدر وكما حصل قبول الإشارة بتجهيز الرسل والأمير اطلمش صارت القلوب متفقة.. وأن المقام الشريف كان أقسم في كتبه قسماً وأعاده... وهو والله الطالب الغالب المدرك المهلك الحي الذي لا ينام ولا يموت، من يحبنا ويبغض من يبغضنا ويكون سلماً لمسالمينا وحرباً لمحاربينا، ومتى استنصرنا به على أحد مخالفينا أمدنا بماشئنا من العسكر وأنه لو كان القسم على الوجه الذي ذكره مصرحاً مذكوراً في لفظ الكتاب وعبارة الخطاب لكان أوضح. وأننا سنرى ما يصنعه المقام الشريف من الفضل المنيف، لأنه لنا أكفى كفيل وأشفق من الوالد والصاحب والخليل واما ما أشار إليه من أمر القرى التي قصد تسليمها لنوابه، وأنها داخلة في حدود مملكته فنص الرد كاملاً في القلشندي، صبح الأعشى، ج7، ص325 – 331.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

10-3-3 بعثة منكلي بغا:

وبقي الوفد التيموري في القاهرة حتى سمح له بالسفر في 23 رجب806هـ (6 شباط 1404م)، وبعد أن تقرر أن يسافر معه وفد مملوكي برئاسة أحد الأمراء المماليك، هو الأمير منكلي بغا وحمل الوفد المملوكي معه بعض الهدايا منها زرافه ونعامة[1]، ويرى أبن عربشاه أن السبب المباشر لتسيير البعثة المملوكية الجديدة، هو حضور الاحتفالات التي ستقام في سمرقند بمناسبة زواج الغ بك وعدد آخر من أحفاد تيمور[2]، ويبد وأن هناك دافع آخر وراء إرسال بعثة منكلي بغا إلى سمرقند، أشار إليه فرج في الرد الذي حمله معه الموفد المملوكي إلى هناك وهو أن المبعوث التيموري مسعود الكججاني عند عودته إلى القاهرة على رأس البعثة التيمورية الثانية، في مطلع 806 هـ /تموز 1403م ، لم يحضر معه نسخة المعاهدة التي تم التوصل إليها في العام الماضي. وكان الاتفاق قد تم في حينه – كما سبق ذكره -، على أن ترسل نسختا المعاهدة الموقعتان من قبل فرج، ليوقع عليهما تيمور ثم ترسل إحدى النسختين إلى القاهرة، ليحتفظ بها السلطان المملوكي في خزائنه، وما كان عدم إرسال تيمور نسخة المعاهدة لاعتراضه الشكلي، على عدم إدخال نص القسم الذي أقسمه فرج، في نص الرد الأول الذي بعثه السلطان المملوكي، ولذلك وجد فرج أنه من المناسب أن يرسل بعثته إلى سمرقند لإحضار نسخة المعاهدة المهورة بتوقيع تيمور[3]، بمناسبة المشاركة في احتفالات زواج بعض أحفاد الفاتح التركي.

---

(1) المقريزي، السلوك، ج3 ص 112.

(2) ابن عربشاه ، عجائب المقدور، ص 156.

(3) انظر إشارة القلقشندي، صبح الأعشى، فيما أورده عن نص المعاهدة في صبح الأعشى ، ج7 ص 329.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

11-3-3 رد فرج الثاني:

واشتمل رد السلطان فرج (وهو الرد الثاني الجديد) الذي حمله منكلي بغا على موضوعات أخرى عديدة، منها إظهار السلطان اغتباطه لاستقرار الصلح بين الدولتين، وإعلانه النزول عند رغبة تيمور، وإرساله نص القسم في هذه المرة متضمناً في نص الرسالة. وتطرق بعد ذلك إلى مسألة مطالبة تيمور بالتنازل له عن بعض المواقع والثغور الواقعة على الحدود، فيدعو هذه المواقع قرى حتى لا يزيد من

مطامع تيمور فيها ويقول إنه لا يتحصل منها من الخراج ما يكافئ ما تنفقه السلطة المركزية في القاهرة لمد النواب – حكام هذه المواقع – بالرجال والعتاد والخيول، ليتمكنوا من الوقوف في وجه السراق التركمان وقطاع الطرق من البدو وتابع فرج القول إنه كان على استعداد لتلبية طلب تيمور بارتياح لو طلب موقعاً أكبر مثل دمشق أو حلب لأن تسليم هذه المواقع الحدودية سوف يضعف الدولة المملوكية، وهذا ينافي ما أعلنه تيمور عن رغبته في تقوية هذه الدولة واستقرار أحوالها[1]، ويشر السلطان المملوكي بعد ذلك إلى سبب تأخر الوفد التيموري في القاهرة، وهو لجؤ السلطان أحمد جلاير الذي فر من بغداد ولجأ إلى حلب، في إثر خلاف وقع بينه وبين حليفه السابق قرأ يوسف الذي أغار على بغداد ولم يلبث قرأ يوسف نفسه أن اضطر إلى الفرار أيضاً أمام هجوم القوات التيمورية لاجئاً إلى دمشق في ربيع الأول من ذلك العا م (806هـ/ ايلو- تشرين الأول 1403م)،

(1) جاءت إشارة فرج لهذا الموضوع في رده كما ورد في القلقشندي(صبح الأعشى، المصدر السابق، ج7، ص329 -330) بالشكل التالي: ونحن نبدي إلى علومه الشريفة أن هذه البلاد لا يحصل لنا منها خراج، ولا ينال ملكنا ونوابنا منها في كل وقت إلا الانزعاج، وإذا جهزنا إليها أحداً من النواب فنكفل له غالباً بالخيل والرجل والركاب وبوا ضواحيها سراق التركمان وقطاع الطرق من العربان ما لا يخفى على مقامه ولو كانت دمشق أو حلب أو أكبر من ذلك.. ما توقفنا فيها عن قبول إشارته لتأكيد محبته.. غير أن لتسليمها (مواقع الحدود) من الوهن لمملكتنا منافاة لما تفضل به المقام الشريف من سؤال الله تعالى في زيادة سلطتنا، ونحن نترقب بين حركاته وسديد إشاراته زيادة الخير في النفس والملك والمال.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكان الوفد التيموري لا يزال موجوداً في القاهرة واعتقلت السلطات المملوكية – كما ذكر فرج في رده – السلطان أحمد ونقلته إلى دمشق، وأودعته مع قرأ يوسف سجن القلعة، وذلك تنفيذاً لمعاهدة الصداقة المعقودة بين تيمور ودولة المماليك[1]، وورد في رد فرج أخيراً ما يفهم منه أن محاولة للتنصل من دفع الأموال التي كان من المفروض أن يدفعها لتيمور، كونه حاكما تابعا له فيشير إلى أن الأحوال الزراعية في مصر كانت سيئة في ذلك العالم لعدم فيضان النيل[2].

(1) القلقشندي، صبح الأعشى، ج7، ص330.

(2) القلقشندي، صبح الأعشى، المصدر السابق، ج7، ص330.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

12-3-3 محاولة تيمور التدخل في الحجاز:

ولا شك في أن الوضع الذي استقر عليه العلاقات بين السلطان المملوكي والفاتح التركي، وإقرار فرج لتيمور بالتبعية، جعلت الظرف ملائماً ليسعى الفاتح التركي إلى مد نفوذه إلى الأماكن المقدسة الإسلامية في الحجاز، التي كانت تعتبر تحت نفوذ وحماية السلاطين المماليك وكان يزدي قد أشار إلى أنه كان من جملة أهداف الحملة التي أرسلها تيمور في ذلك العام 806هـ/1406م إلى بغداد – والتي كان من نتائجها طرد قرأ يوسف منها ولجوؤه إلى دمشق واعتقاله فيها – الإعداد لإرسال كسوة للكعبة في موسم الحج التالي[1]، ويؤيد المقريزي ما ذهب إليه يزدي، ويذكر أن احبار هذه الكسوة قد وصلت إلى مسامع سكان بغداد أنفسهم، فقد ذكر أحد حجاج العراق لشريف مكة في ذي الحجة من عام 807هـ /تموز 1404م ، أن تيمور كان على وشك أن يرسل محملاً إلى الحجاز يحرسه عشرة آلاف فارس ولكنه خاف من مخاطر الطريق فأرجا ذلك إلى العام القادم عام 808هـ واكتفى في هذا العام بإرسال بعثة لكشف الطريق[2]، وقد حالت وفاة تيمور في شعبان من عام 807هـ/ شباط 1405م دون إنجاز هذه المهمة. وسوف يسعى شاه رخ - فيما بعد – ليسمح له المماليك بإرسال هذه الكسوة.

واجتمعت البعثة المملوكية في طريقها إلى سمرقند، عندما كانت تمر من مدينة خوي في شمال اذربيجان بالوفد الأسباني برئاسة السفير كلافيجو وترافقت البعثتان في مراحل الطريق الباقية حتى سمرقند، ويشير يزدي إلى أن بعثة منكلي بغا قد لفتت الأنظار إليها في البلاط التيموري خلال احتفالات الزواج، بسبب ما كان يتمتع به رئيس البعثة من لباقة وفصاحة وسعة اطلاع على أنواع من العلوم والفنون وذكر يزدي أن البعثة كانت المملوكية كانت تحمل رسالة من الملك الناصر فرج صاحب تخت مصر وأن البعثة كانت تحمل معها هدايا من جملتها زرافة وتسع جمال، ولكن المؤرخ الفارسي لم يشر إلى مضمون الرسالة[3].

---

(1) يزدي، ظفرنامة، ج2 ص 369.

(2) المقريزي، السلوك، ج3 ص1116.

(3) يزدي، ظفرنامة، ج2 ص 425.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولما أجيز للبعثة المملوكية الإنصراف للعودة إلى مصر، بعد أن أنعم على أفرادها، رافق البعثة أيضاً وقد تيموري آخر برئاسة أحد رجال الدين، يدعى مولانا عبد الله الكشي وقد زود الوفد برسالة كان يتعلق بمسالة السلطان أحمد جلاير وحليفه السابق قرأ يوسف المعتقلين في دمشق، ويقول يزدي إن رسالة تيمور قد أثنت على إخلاق فرج وصدقة، وطلبت من السلطان المملوكي إطلاق سراح المعتقلين وتوجهيهم للقدوم إلى سمرقند، لأن الماطق التي كانت تحت حكمهما في السابق قد أضحت الآن أملاك الفاتح التركي، والأمن فيها مستتب والطاعة مستقرة وحمل الوفد التيموري الجديد خلعه أخرى للسلطان المملوكي هدية من تيمور[1].

ويقول كلافيجو إن البعثة المملوكية والبعثة الإسبانية قد ترافقتا أيضاً في بعض مراحل طريق العودة، وسجل العسقلاني تاريخ وصول الوفد إلى القاهرة في حدود رمضان عام 808هـ /نيسان 1406م [2]، ولا شك في أن وفاة تيمور في إثر مغادرة البعثة المملوكية لسمرقند ببرهة وجيزة، قد أدخل العلاقات بين الدولتين في طور جديد.

(1) يزدي، ـ، ج2 ص 448 -449.

(2) العسقلاني، انباء الغمر بانباء العمر، ج2، ص302

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خاتمة البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ان خاتمة القول بعد هذه الرحلة التاريخية الطويلة أن أسجل مجموعة من النتائج التي توصل اليها البحث استنادا إلى ما توفر لدى الباحث من مصادر تاريخية نحسن الظن بها ان شاء الله.

وأول ما أود الاشارة اليه في هذا الصدد أن تيمورلنك كان تركيا من من جهة أبيه من قبيلة برلاس التي هاجرت من مغولستان إلى ما وراء النهر سنة 664هـ واستقرت جنوبي سمرقند. وأنه من جهة أمه (تكينة خاتون) كان مغوليا ينتمي إلى القائد الشهير جنكيز خان كما دون على قبره.

وأن مولده كان في عام 736هـ /1335م . وأنه كان رجلا أميا لا يقرأ ولا يكتب الا أنه كان يعرف من اللغات الفارسية والتركية والمغولية ويحسن التكلم بها.

وكذلك على الرغم من ثقافة تيمورلنك الحربية وتعلقه بأمور الحرب والقتال الا أن ذلك لم يمنعه من مجالسة العلماء ومناقشتهم ومباحثتهم فى مختلف القضايا التاريخية والدينية وتقريب الحكماء والأطباء والمنجمين والمهندسين الذين يعدهم ضروريين لرفعة السلطنة. ودارت بينه وبين ابن خلدون فى دمشق مناقشة تاريخية حول الاصل الذى ينحدر منه الملك بختنصر ورجح تيمورلنك أن يكون منحدرا من أصل فارسي بينما أصر ابن خلدون على أنه من ملوك بابل المتأخرين.

وأنه كان ذا شخصية قوية التأثير، شجاعا، صارما، محاربا، مقداما لا يعرف الهوادة في قتاله، ولذلك أخلص له أتباعه، وتسابقوا في تنفيذ أوامره ورغباته.

وقد امتاز تيمولالنك - كقائد حربي بارز - بأنه كان يترصد أحوال وتطورات جيرانه ويرسل العيون الذين يتجاوزون خطوط الأعداء ويتجولون في المدن والقرى على هيئة تجار أو متصوفين أو مهرجين كما استخدم النساء في أعمال التجسس وكانت تقارير هؤلاء ترسل مشحونة بالمعلومات عن الحكام والأغنياء والأسعار.كما اهتم بجمع المعلومات واختار ألف سائق جمل سريع وألف فارس سريع وألف واحد من الرجال الموائمين وكان هؤلاء يزودون أنفسهم بالمعلومات والأخبار حول وقائع الممالك وأخبارهم والثغور والجبهات ونوايا وخطط سلاطين الجوار ويتم توصيلها إلى تيمورلنك في أسرع وقت ممكن. وأن الصراعات بين حكام آل مظفر كانت عاملا حاسما في تشتت قوتهم مما مكن تيمورلنك من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القضاء عليهم، فعندما تحقق لتيمورلنك الاستيلاء على ما وراء النهر وخراسان رغب في الاستيلاء على فارس وثمة دافع آخر دعا إلى الزحف على آل مظفر في فارس وكرمان وهو ما حل بهم من اضطراب ومنازعات بعد وفاة السلطان شاه شجاع . فاتجه بقواته نحوهم مدعيا رغبته في اعادة الهدوء والاستقرار واصلاح ما حل بهم من تفكك ، واجبارهم على طاعته ليحقق هدفه الكبير بأن يكون الوريث الشرعي للدولة الايلخانية التي كانت تمثل جزءا هاما من أهدافه التوسعية.

وأن الانحلال السياسي في العراق وضعف شخصية سلطانها أحمد بن أويس وتخاذله أمام تيمورلنك وهروبه من مواجهته عاملا مهما سهل للقائد المغولي مهمة القضاء على حكم الجلايريين في العراق، والاستيلاء عليها إلى حين ، ثم كان يعود لغزوها مرة أخرى.

وأثبتت الدراسة أن السلطان برقوق كان يمثل القوة الكبرى القادرة على مواجهة تيمورلنك وصده في المنطقة آنذاك، رغم ما كان يتعرض له حكمه من ثورات خصومه من المماليك ، فنراه يقبل التحالف مع جيرانه ليكونوا حلفا مشتركا يتصدى لتيمورلنك مما جعله يتحاشى الدخول في حرب مع المماليك.وقد أوضحت هذه الدراسة أن السبب المباشر لتوتر العلاقة بينهما هو لجوء السلطان الجلايري أحمد بن أويس إلى دولة المماليك، التي بدورها رفضت تسليمه إلى تيمورلنك، وبينت أن السلطان فرج خليفة برقوق وأمراءه الذين سيطروا عليه بجانب بعض قواته العسكرية قد وقعوا في خطأ كبير عندما أهملوا التحالف مع السلطان العثماني با يزيد حيث كان في امكات هذا التحالف الوقوف في وجه الخطر التيموري، وقد سهل هذا الاختلاف لتيمورلنك مواجهة كل فريق على حدة وانزال الهزيمة بجيوشهما.

وأثبتت الدراسة أن هزيمة العثمانيين في أنقرة كانت كارثة حلت بهم، حيث دمر جيشهم، وأوقف توسعهم في الأناضول وأوروبا الشرقية، وهي الهزيمة الوحيدة التي تلقاهاالعثمانيون في هذا القرن.

وأظهرت الدراسة أن أبناء السلطان المهزوم (با يزيد) لم يحاولوا لم شملهم بعد مقتل أبيهم فنشبت المنازعات والحروب فيما بينهم ، فاستغل تيمورلنك هذه الفرصة وأشعل نار الفتنة والاختلاف بينهم مما أدى إلى تمزيق وحدة الدولة فترة من الزمن، ولم تستعيد عافيتها ونشاطها من جديد الا على يد السلطان محمد الفاتح.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وساعدت حروب تيمور من ناحية ثانية، على تنشيط حركة التجارة على طرق جديدة تصل إلى الأقطار التي دخلت في الإمبراطورية التيمورية، كالطريق التي تصل سمرقند بالهند، إما بشكل مباشر عن طريق كابول وممر خيبر، أو بشكل غير مباشر بواسطة الطريق الذاهب إلى إيران ومنها إلى الموانى، الهندية، وقد مكن استيلاء تيمور على الموصل من فتح طريق التجارة إلى بلاد التركمان، وبلاد القبجاق وأسيا الصغرى.

ومن الحقائق المؤسفة التي أوضحها البحث، أن انتصار تيمورلنك هذا (على العثمانيين) كان له مردود طيب على الامبراطورية البيزنطية ، التي تنفست الصعداء فترة من الزمن، حيث كان با يزيد على وشك الاستيلاء على القسطنطينية فتأخر ذلك – إلى حين- بعد هزيمة با يزيد من تيمورلنك .

وقد توصلت هذه الدراسة بعد تمحيص وتدقيق في مسألة عقيدة ومذهب تيمورلنك إلى أنه كان يميل إلى التشيع وأنه على أحسن حالات الظن به كان رافضيا وان كنا لا نستطيع تكفيره نظرا للقيود الشديدة على تكفير المعينين.

كما أن الدراسة أثبتت أن الهدف الذي لا يعرف غيره من فتوحات تيمورلنك وهجماته الوحشية، انما كان تحقيق مطامعه الشخصية في تكوين امبراطورية كبيرة تحمل اسمه وتخلد ذكراه وترفع شأن أسرته في التاريخ.

كما بينت من خلال البحث أن تيمورلنك قد غلب على طبعه التوحش والبربرية ، فلم يعرف عنه الميل أو الرغبة في البناء والتعمير واقامة المنشآت الحضارية التي يمكن – لو شيدها – أن تحقق هدفه في ابقاء ذكراه وذيوع شهرته في التاريخ ، ولم يذكر له في ذلك المجال الا اهتمامه بعاصمة امبراطوريته (سمرقند) حيث اهتم بتجميلها وعمارتها واقامة مظاهر الفخامة المتعددة بها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و نرى أن كل ما حققه "تيمورلنك" من انتصار وتفوق يعزى في الدرجة الأولى إلى ماكان يتمتع به من كفاءة عسكرية لا تنكر بجانب مواهبه الشخصية المتعددة ، وقد اتخذ سبيله إلى المجد الشخصي على جثث ضحاياه وأنقاض المدن الزاهرة التي داسها بحوافر خيله وضربها واعتدى على حرماتها .فلم يسبق لفاتح آسيوي في التاريخ كله أن أعد مثل هذه الجيوش الهائلة ومن ثم لا يصل لمدارج شهرته وتفوقه أحد وان أفعاله لترتفع إلى مافوق مستوى البشر فقد أنشأ امبراطورية عظمى من تفكيره وتدبيره وحده ولم يخض معركة الا كسبها ولم يقدم على مشروع الا كان النجاح حليفه فهو لم يعرف الهزيمة قط . ولكنه لم يكن مهتما بانشاء دولة ثابتة فلم يألف بيئة معينة يستقر فيها.

وأظهرت الدراسة أن تيمورلنك كان مهتما اهتماما أساسيا بالفتوحات والتوسعات العسكرية ومرجع ذلك إلى طبيعته البدوية، فلم يكن بالرجل المدني الذي يعرف طبيعة الدولة، فلم يألف بيئة معينة يستقر فيها ولكنه كان رحالة وكان محاربا جوابا يتنقل بين الآفاق بحد سيفه من موقعة إلى أخرى، لا يكاد ينتهي من حرب الا ليتهيأ ويعد عدته لحرب تالية وهكذا. ولذلك لم تستمر دولته بعد وفاته. واذا كان بعض الباحثين يعزو عدم استمرار الدولة التيمورية حقبة طويلة بعد وفاة مؤسسها إلى سوء حظ تيمور باولاده بسبب انهماكهم في الخصومات والحروب، الا أن امبراطورية تيمورلنك نفسها منذ أيام تيمورلنك كانت تفتقر إلى الروابط التنظيمية التي تساعدها على الاستمرار لان تيمورلنك سعى دائما بحكم طموحه ونزعته إلى الاستبداد لأن تكون هذه الروابط في امبراطوريته الواسعة روابط شخصية، سرعان ما أخذت بلانهيار السريع بعد موت مؤسسها.

فبعد وفاته ضعف جانب المغول ولم يعد يخشى على البلاد الإسلامية منهم بل هدى الله سبحانه وتعالى الأجيال التالية منهم إلى الإسلام وجعلهم أنصارا له.

وأوضحت الرسالة أهم درس تاريخي وهو أن سبب نجاح تيمورلنك في الحروب على أعدائه هو أن هؤلاء الأعداء كانوا مشغولين عن الدفاع ضد غارات تيمورلنك بمشاغل محلية، كانشغال القبجاق في حروبهم مع الروس، وانشغال الصينيين في صراعهم مع أسرة يوان، والأتراك العثمانيين مع الدولة البيزنطية وبحروبهم في القارة الأوروبية، اضافة إلى أن دولة المماليك كانت تجتاحها الأزمات السياسية والاقتصادية الحادة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي الختام فان تيمورلنك بلا شك شخصية متناقضة، وتاريخه حافل بالأمجاد العسكرية والخراب لحضارات كانت قائمة وأن أعماله الحربية لم تحل دون مواصلة الحضارة الإسلامية مهمتها التاريخية في آسيا، فقد قامت دولة سلاطين المغول المسلمين في الهند على يد ظهير الدين بابر في أواخر القرن 11 الهجري (أحد أحفاد تيمورلنك) وسعى حكام هذه الدولة إلى نشر الإسلام والحضارة على نطاق واسع لم يسبق له مثيل في العصور الإسلامية، ومن المشاهد الباقية إلى يومنا هذا تاج محل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التوصيات

- أوصى الباحثين الذين يودون البحث في تاريخ وسيرة الدولة التيموريةبالاعتماد على مصادر متعددة من بلدان مختلفة للمادة العلمية التي يعتمدون عليها فقد واجهتني مشكلة في هذا البحث وهي أن المادة العلمية التي تناولت شخصية تيمورلنك وأعماله العسكرية والحضارية كانت إما متحيزة له وتمثل وجهة نظر الدولة التيمورية وأغلبها فارسية، أو مصادر متحيزة ضده وتمثل وجهة نظر دولة المماليك الجراكسة وأغلبها عربية، لهذا وجد الباحث اختلافا كبيرا بين المؤرخين حول هذه الشخصية؛ فحاول الباحث التدقيق والكشف عن المادة البعيدة عن التحيز والخروج بمادة علمية مرضية إلى حدما.
- يمكننا استخلاص نتائج محددة من التجربة التيمورية قد تحفظ منطقتنا العربية من الاخطار المحيطة بها في الفترة الحالية والمستقبل القريب (ما أشبه اليوم بالبارحة) فالمدقق في الأمور يرى بوضوح أن ما تعاني منه منطقتنا العربية اليوم من متربصين وطامعين وأخطار تحيط بها من الشرق والغرب (سواء من أمريكا أو من إيران أو حتى من روسيا واسرائيل) أشبه ما يكون بالاحوال في تلك الفترة السحيقة من التاريخ. والمؤسف والعجيب أن الحكام العرب يكررون نفس الأخطاء التي وقع فيها أسلافهم فهم منشغلون بمشاغل داخلية وصراعات محلية ومنازعات وخصومات سائدة بينهم وغافلون أو متغافلون عن الأطماع من حولهم في سبيل التمسك بالسلطة وبكراسي الحكم متجاهلين بذلك حكمة التاريخ.
- أهم ما يمكن أن أوصى به الباحثين الذين يريدون أن يبحثوا للاستزادة في هذا الموضوع هو أن أقترح عليهم بعض العناوين لأبحاث ومواضيع لم يتم التطرق اليها وهي:

1. العلاقة بين تيمورلنك والدول المعاصرة له (العثمانيين – فارس وخراسان-أوروبا- الهند- الصين).
2. الدولة التيمورية، البداية والسقوط (أسباب انهيار الدولة التيمورية بعد وفاة تيمورلنك).
3. معارك تيمورلنك الكبرى (أسباب انتصار تيمورلنك في كل معاركه مع الدول المعاصرة له).
4. تيمورلنك: الشخصية التي حيرت العالم (تناقض المؤرخين حول نشأته-شخصيته- مذهبه- ثقافته- الهدف من فتوحاته).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

- الإسحاقي، محمد عبد المعطي، لطائف أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول، مكتبة الإيمان بالمنصورة، مصر، 1296هـ.
- الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي(346هـ)، مسالك الممالك، نسخة مصورة عن طبعة ليدن، بريل، 1827م.
- ابن إياس، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (930هـ)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1982م.
- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله الطنجي، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار، شرحه وكتب هوامشه محمد حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.
- ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي(874هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1939م.
- الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس، كتاب الوزراء والكتاب، مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي، القاهرة، 1938م.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد(852هـ)، انباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق وتعليق حسن حبشي، دار الكتب العلمية ببيروت، لبنان،1971م.
- الخطيب الجوهري، علي بن داود الصيرفي(900هـ)، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، ثلاثة أجزاء، تحقيق حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، القاهرة ،1970م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(808هـ)، تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، المطبعة الرحمانية للنشر، مصر، 1936م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(808هـ)، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، دارالكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1957م.
- السخاوي، شمس الدين محمد، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ.
- ابن الشحنة، أبو الوليد محمد، روض المناظر في علم الأوائل والأواخر، تحقيق سيد محمد مهني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الشوكاني، محمد بن علي(1250هـ)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر، القاهرة، 1348هـ.
- ابن صصري، محمد بن محمد، كتاب الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، تحقيق برينر، لوس انجلوس، 1963م.
- ابن طولون، شمس الدين محمد(953هـ)، الثغر البسام في ذكر من ولى قضاء الشام، تحقيق الدكتور صلاح المنجد، دمشق، 1956م.
- ابن عبد الحق البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن الخطيب بن عبد الله بن علي(739هـ): مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، الطبعة الأولى، تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1954م.
- ابن العبري، غريغريوس الملطي، تاريخ مختصر الدول، أشرف على طبعه انطون صالحاني اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، دار الرائد، لبنان، 1958م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- ابن عربشاه، أبو محمد حمد بن محمد بن عبد الله الدمشقي(854هـ)، عجائب المقدور في أخبار تيمور، باهتمام كبير الدين أحمد، مكتبة الانجلو المصرية، مطابع نافع، القاهرة، 1979م.
- ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي ابن العماد(1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة، بيروت، 1979م.
- العيني، بدر الدين أبو محمد محمود بن شهاب الدين(855هـ)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمود رزق محمود، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1987م.
- العيني، بدر الدين أبو محمد محمود بن شهاب الدين(855هـ)، عصر سلاطين المماليك، الغياثي، عبد الله بن فتح الله البغدادي، التاريخ الغياثي، تحقيق طارق نافع الحمداني، مطبعة أسعد، بغداد ، 1975م.
- أبو الفداء، السلطان الملك عماد لدين اسماعيل، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية، القاهرة، 1907م.
- ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم(807 هـ)، تاريخ ابن الفرات، المجلد التاسع، عني بتحريره ونشره الدكتور قسطنطين زريق، المطبعة الأمريكانية، بيروت، 1936م.
- ابن فضلان، أحمد بن العباس، رسالة ابن فضلان، تحقيق سامي الدهان، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق 1959م.
- الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي(817هـ)، القاموس المحيط، دار الفكر بيروت، 1978م.
- ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبو بكر أحمد بن محمد بن عمر(851هـ)، تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق عدنان درويش، دمشق، 1977م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- القرطبي، عريب بن سعد، صلة تاريخ الطبري، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1939م.
- القرماني، ابو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي(1019هـ)، تاريخ سلاطين آل عثمان، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي، دار البصائر، دمشق، 1985م.
- القرماني، أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي(1019هـ)، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، بغداد، 1282هـ
- القزويني، زكريا بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1979م.
- القلقشندي، أبو عباس أحمد بن علي(821هـ)، صبح الأعشى في صناعة الانشا، نسخة مصورة من الطبعة الأميرية، مطابع كوستاتسوماس، القاهرة، 1963م.
- القلقشندي، أبو عباس أحمد بن علي(821هـ)، مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب، الكويت، 1964م.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي(774هـ)، البداية والنهاية، الطبعة الثالثة، مكتبة المعارف، بيروت، 1970م.
- المستوفي القزويني، حمد الله بن أبي بكر، تاريخ كزيدة، المجلد الأول، لندن، 1910م.
- المقدسي، مطهر بن طاهر، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بيروت، مغفل تاريخ الطبع.
- المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر(845هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق الدكتور محمد مصطفى زيادة، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، 1970م.
- المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر(845هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، مغفل تاريخ الطبع.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- النرشخي، أبو بكر محمد بن جعفر(959هـ)، تاريخ بخارى، دار المعارف، مصر، 1339هـ.
- النعيمي الدمشقي، عبد القادر بن محمد، الدارس في تاريخ المدارس، جزءان، مطبعة الترقي، دمشق، 1948م.
- الهمذاني، أبو بكر أحمد بن محمد المعروف بابن الفقيه، مختصر تاريخ البلدان، مطبعة بريل، ليدن، 1302هـ.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، معجم البلدان، دار صادر للنشر، بيروت، بدون تاريخ.

ثانيا: المراجع العربية والمراجع المترجمة:

- أحمد عبد الكريم سليمان، تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة مع ترجمة مقال الكاتب اللاتيني دي ميجنانللي عن حياة تيمورلنك، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1985م.
- أحمد محمود الساداتي، تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ، 1979م.
- أحمد محمود الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، جزءان مع ملحق الترك والمغول، القاهرة، 1957م.
- أرمنيوس فامبري، تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة أحمد محمود الساداتي، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، بدون تاريخ.
- البيهقي، أبو الفضل، تاريخ البيهقي، ترجمة يحيى الخشاب، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1956م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- حسن، زكي محمد، الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1940م.
- حفظ الله ناصر عبد الله مصلح، "تيمورلنك وشخصيته السياسية والعسكرية "، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة دمشق، سوريا، 2009م.
- محمد سالم بكر با عامر، "صلة الدولة التيمورية بالعالم الإسلامي"، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة أم القرى، السعودية، 1993م.
- مظهر شهاب، "تيمورلنك عصره، حياته، أعماله"، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة القديس يوسف، بيروت، 1981م.
- دهمان، محمد أحمد، ولاة دمشق في عهد المماليك، دمشق، 1981م.
- الراوندي، محمد بن علي بن سليمان، راحة الصدور وآية السرور، ترجمة إبراهيم الشواربي، القاهرة ، 1960م.
- زياد، نقولا، الرحالة العرب، مجموعة الألف كتاب، رقم 97، القاهرة، 1956م.
- الشواربي، إبراهيم أمين، غزليات حافظ الشيرازي، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، 1944م.
- الصياد، مؤرخ المغول رشيد فضل الله الهمذاني، القاهرة، 1967م.
- عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ثمانية أجزاء، بغداد، 1956م.
- العريني، السيد الباز، المغول، بيروت، 1967م.
- أنور زقلمة، المماليك في مصر، مطبعة المجلة الجديدة، القاهرة، بدون تاريخ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- بارتولد فاسيلي فلاديميروفتش، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة أحمد السعيد سليمان، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1956م.
- بارتولد فاسيلي فلاديميروفتش، تاريخ الحضارة الإسلامية، ترجمة حمزة طاهر، القاهرة، 1966م.
- برسوم، ماراغناطيوس افرام الأول، تاريخ طور عبدين، ترجمة غريغوريوس بولس بهنام، مطبعة بيبان جونيه الشير، لبنان، 1963م.
- حربي أمين سليمان، المؤرخ الإيراني غياث الدين خوانامير كما يبدو في كتابه دستور الوزراء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1980م.
- حسين لبيب، كتاب تاريخ الأتراك العثمانيين، مطبعة الواعظ، القاهرة، 1917م.
- ستانلي لين – بول، الدول الإسلامية، ترجمة محمد صبحي فرزت، مكتبة الدراسات الإسلامية، دمشق، 1973م.
- م. س . ديماند، الفنون الإسلامية، ترجمة أحمد محمد عيسى، القاهرة، 1953م.
- هارولد لامب، جنكيزخان إمبراطور الناس كلهم، ترجمة بهاء الدين نوري، بغداد، 1964م.
- هـ.ج. ويلز، معالم تاريخ الإنسانية، المجلد الثاني، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة، 1950م.
- ياسر عبد الجواد، "حملة تيمورلنك وآثارها على الهند الإسلامية"، جامعة الموصل، العراق.

ثالثا: مصادرومراجع فارسية وتركية:

- آبرو، حافظ عبد الله بن لطف الله، زبدة التواريخ، بسعي واهتمام فلكس تاور، براغ، 1956م.
- تيمورلنك، الملك المغولي (807هـ)، مذكرات تيمور أوتزوكات تيمور، ترجمه إلى الإنجليزية ماجور دافي، جامعة اكسفورد، 1782م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- جودت باشا، تاريخ جودت، دار الطباعة العامة، القاهرة، 1257هـ.
- رشاد علي، تاريخ عمومي، استانبول، 1341هـ.
- رشيد الدين، فضل الله الوزير، جامع التواريخ، بوكشش كريمن، تهران، 1338هـ.
- رضا بازوكي، تاريخ إيران، وزارات معارف، طهران، 1316هـ.
- سمرقندي، كمال الدين عبد الرازق، مطلع سعدين ومجمع بحرين، اهتمام عبد الحسين نوائي، طهران، 1356هـ.
- شامي، نظام الدين، ظفرنامة، تحقيق فيلكس تاور، بيروت، 1937م.
- شرف خان البدليسي(1574هـ)، شرفنامة، ترجمة محمد علي عوني، الجزء الثاني، القاهرة، 1962م.
- شرف الدين علي يزدي(858هـ)، ظفرنامة، تصحيح محمد عباس، 1335هـ.
- عزيز بن اردشير الأسترابادي(801هـ)، يزم ورزم، الأوقاف مطبعة سي، استانبول، 1928م.
- غياث الدين بن همام خواندامير، حبيب السير في أخبار البشر، الجزء الثالث، 1283هـ.
- فريدون بك، احمد(991هـ)، مجموعة منشآت الملوك والسلاطين، استانبول، طبع 1265هـ.
- قزويني، عالم حمد الله مستوفي، كتاب نزهة القلوب، بسعي وإهتمام كاي ليسترانج، لندن، 1919م.
- كمال، أثر، أوراق بريشان، دور استيلا، مغفل مكان الطبع، 1301هـ.
- الهمذاني، رشيد فضل الله(717هـ)، منتخب التواريخ، تحقيق جين أوبن، مكتبة الخيام، طهران، 1957م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Abstract

This study targets a recognition of Timurlanc's political and military identity, his conquests and expansion as well as the relations he had with his major neighboring countries.

Historians disagree on almost every aspect of Timor's personality whether it's his origins, upbringing, cultural background or even his beliefs.

The importance of this study lies in the fact that it tackles the issue accurately with no prejudice and leads to satisfying scientific evidences based on diverse authentic sources.

The study also tracks down both strength points and potentials that abled Timor to achieve victory in his battles.

Moreover the study explains this historical stage of Tamerlane's political and military life to answer the question about whether Timor intent to destroy the Islamic countries and remove and ruined its civilization; especially that there were several countries at Europe and middle Asia in front of him to spread Islam among them if he wanted to assure his loyalty to Islam as he insisted to repeat.

By the end of the study it concludes specific results from Tamerlane's case experience that can actually protect the Arab countries both in present and near future if applied. It's clear for observers that what the Arab countries are facing, especially with the dangers and threatens from America, Iran, Turkey.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com